اسقفية شئون أفريقيا

مذكرات من أفريقيا

اعبر... إلينا وأعنا

اع ١٦: ٩

قصة الكنيسة القبطية فى افريقيا
فى عصرنا الحاضر
الكتاب الأول
فى اليوبيا وشرق افريقيا

نيافة الأنبا انطونيوس مرقس
أسقف عام شئون افريقيا

أسقفية شئون أفريقيا
مذكرات من أفريقيا

اعبر... إلينا وأعنّا

قصة الكنيسة القبطية فى أفريقيا
فى عصرنا الحاضر
الكتاب الأول
فى أثيوبيا وشرق أفريقيا

بيافة الأنبا
أثناسيوس مرقس
أسقف عام شئون أفريقيا

صورة توضح المبنى الرئيسى لمجلس كنائس كل أفريقيا AACC وفوقه صليب قبطى لأن الكنيسة القبطية هى أم كنائس أفريقيا . وقد قدمته الكنيسة القبطية كهدية للمجلس وقد تم تثبيته عام ١٩٨٤م .

الناشر : أسقفية شئون أفريقيا رقم الإيداع بدار الكتب : ٥٣٥٢/ ٩٣

قداسة البابا شنودة الثالث

البابا رقم (١١٧) من البابوات الأقباط

سيادة الأنبا

أنطونيوس مرقس

أسقف عام شئون أفريقيا

قصة الكنيسة القبطية فى أفريقيا

هذه القصة تبدأ من القرن الأول الميلادى .

حينما أسس القديس مارمرقس الرسول كنيسة الأسكندرية ، والكنيسة فى ليبيا التى كانت بداية للخمس المدن الغربية، التى تمتد من برقة شرقاً إلى تونس غرباً، هذه هى المرحلة الأولى. وفى القرن الرابع وقت إجتماع مجمع نيقية سنة ٣٢٥م كان للكنيسة القبطية اسقفان فى ليبيا . حالياً لنا كنيستان إحداهما فى طرابلس والأخرى فى بنى غازى .

فى عهد القديس أثناسيوس الرسولى أسست الكنيسة القبطية الكنيسة فى أثيوبيا .

ورسم لها البابا أثناسيوس فى سنة ٣٢٩م أول أسقف لخدمتها وهو الأنبا أفرومنتيوس (ومعنى إسمه رجل الله) . ويعرفه الأثيوبيون باسم الأنبا سلامة .

كما أسست كنيستنا أيضاً الكنيسة فى النوبة .

وظلت تحت رعاية الكنيسة القبطية حتى قامت الثورة فى القرن التاسع عشر ...

ودخل إسم النوبة فى ألقاب بابا الأسكندرية ، كما دخل إسم ليبيا وأثيوبيا والخمس المدن الغربية . فنقول فى مناطق خدمته :

Ⲡⲁⲉⲁⲅⲁⲣⲓⲁⲥ ⲁⲩⲱ ⲛⲉⲛⲭⲁⲛⲟⲗⲉⲙⲟⲥ Ⲉⲑⲓⲟⲡⲓⲁⲥ ⲛⲉⲙ Ⲁⲣⲓⲕⲓⲁ ⲕⲉⲛⲁⲥⲏⲥ ⲉⲧⲏ

هذه المناطق (بالإضافة إلى أورشليم) تعرف باسم الكرازة المرقسية .

وفى منتصف القرن العشرين امتد العمل إلى جنوب أفريقيا .

وذلك فى عهد البابا يوساب الثانى ، الذى رسم الأنبا مرقص مطراناً لجنوب أفريقيا لرعاية المنضمين إلى الكنيسة هناك . غير أن هذه الرعاية لم تدم سوى سنوات قليلة . وبعد رحيل الأنبا مرقص عن عالمنا الحاضر ، بقى القمص اسحق الأنبا ببشوى فترة من الزمن ثم عاد إلى ديره .

أما هذا الكتاب الذى بين يديك ، فيسجل قصة خدمة الكنيسة القبطية فى أيامنا ، منذ منتصف السبعينات .

إنه يحكى جهاد نياقة الأنبا أنطونيوس مرقس فى خدمة أفريقيا ، منذ خدم هناك وهو طبيب علمانى ، ثم سيامته راهباً وقساً ، ثم سيامته أسقفاً فى سنة ١٩٧٦م وانتشار خدمته فى كينيا ، ثم فى زامبيا ، وزيمبابوى ، ومناطق خط الاستواء حتى وصل إلى جنوب أفريقيا...

نياقته وضع الكتاب بأسلوب مذكرات خاصة .

يحكى ما مرّ عليه فى الخدمة من أحداث ، بأسلوب جذاب ، يدخل فيه أحياناً فى تفاصيل التفاصيل ويعطى صورة عن طبائع الناس ، وعن طبيعة الأرض ، وعن الأخطار التى تعرض لها ، وعن عمل النعمة معه، وأيضاً علاقته بالكنائس الأخرى .

ولاشك أن ما نقرأه هو جزء من القصة .

فنياقة الأنبا أنطونيوس مرقس لا يزال يعمل ، وقصته مستمرة فى أفريقيا .

وقد حباه الله بموهبة فائقة فى تعلم اللغات . فقد تعلم النيجرى والأمهرى فى أثيوبيا ، ثم السواحيلى فى كينيا ، مع لهجات أخرى لبعض القبائل الأفريقية ، إلى جوار إتقانه للغة الإنجليزية التى ألقى بها محاضرات كثيرة فى أمريكا واستراليا .

وهو أيضاً يتميز بالنشاط والذكاء اللذين خدماه فى كثير من رحلاته .

أرجو له من الرب توفيقاً فى خدمته ، التى بدأها من الصفر ، بلا إمكانيات مادية ، وبلا إمكانيات بشرية . ولكن الله كان معه . ولذلك يكفى ...

أتركك الآن إلى هذا الكتاب أيها القارئ العزيز . ولاشك أنك ستجد فيه متعة ، وستجد معلومات هامة عن تاريخنا الحديث فى بعض بلاد أفريقيا من وسط القارة إلى جنوبها .

ولعل هذا الكتاب يكون حافزاً للخدام أن ينضموا إلى هذا العمل الكرازى بالخدمة فى أفريقيا . كونوا جميعاً معافين فى الرب .

أغسطس ١٩٩٣ (صوم العذراء) **البابا شنوده الثالث**

مقدمة الطبعة الثانية

أيها القارئ الحبيب :

منذ القرن الأول الميلادى والكنيسة القبطية كنيسة كارزة حيث أن الاقباط اتبعوا خطوات الرسول الأفريقى مارمرقس الإنجيلى والشهيد، أو يوحنا مرقس أبا سلامة وكاشف النور كما يلقبه الأثيوبيون .

لاشك أن دراسة كتب التاريخ تعطيك معلومات كافية عن الكارزين الأقباط الأوائل الذين اسسوا كنائسنا فى ايرلندا وسويسرا والنوبة وأثيوبيا وأريتريا والخمس مدن الغربية.

أما هذه السلسلة من الكتب "أعبر إليها .. وأعنا" فإنها تعطيك فكرة عن دعوة الرب لنا فى أجيالنا الحاضرة أن نتبع خطوات كارزنا العظيم وخطوات الرسل والمبشرين لكى تنتقل الكنسية من التركيز على العمل الرعوى إلى الامتداد إلى العمل الكرازى أيضاً .

وإن كان العمل فى القارة الأفريقية قد استمر ١٩ عاماً ، إلا أنه فى البداية فقط ويحتاج إلى جهد وعمل جاد وإمكانيات بشرية ومادية كبيرة ، لأنه إذا امتد إلى ستة دول فى القارة إلا أن أمامه أن يمتد إلى عشرات أخر فيها اشتياق حقيقى وأرض خصبة للثمر حقيقى لأجل امتداد ملكوت الله .

ومنذ ظهرت الطبعة الأولى للكتاب الأول ونفدت فى شهور قليلة ، وظهرت أيضاً باللغة الإنجليزية ، فى منتصف عام ١٩٩٤ حيث كان الإشتياق لها كبيراً فى الكنائس القبطية فى بلاد المهجر.

كما ظهر الجزء الثانى باللغة العربية ونسعى لإصداره بالإنجليزية .

وبنعمة الرب سنبدأ فى إصدار الجزء الثالث .

ونقدم الشكر لربنا يسوع المسيح الذى أعطانا هذه الخدمة المباركة ، وأيضاً أعطانا أن نوصل لكم هذه القصة للكنيسة القبطية فى أفريقيا ، التى بدأت بتشجيع قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث وأمام مساعدة من قداسته وتأييده لها .

وتقدم الشكر للأستاذ مجدى بيارى (جى سى سنتر) فى القاهرة على مساعدته القيمة فى فصل الألوان والغلاف ، والأستاذ زكى شنوده الذى قام بمراجعة الكتاب لغوياً .

الأنبا أنطونيوس مرقس

أسقف عام شئون أفريقيا

الفصل الأول

نداء الرب

سمعت صوت السيد قائلاً :

من أرسل ومن يذهب من أجلنا ..

ها أنذا أرسلني (أش ٦ : ٨) .

أذهب أول خطوة :

فى صيف عام ١٩٥٠ فى إجتماع الشباب فى كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، أعلن أحد الخدام عن إجتماع جديد إسمه "خدمة القرية" ، ويدعو إليه من يشتاقون إلى خدمة أبناء القرى المحيطة بالقاهرة ، ممن يعيشون فى مناطق ريفية ليس لهم أحد يذكرهم ، وكان إجتماع القرية يعقد فى كنيسة مارجرجس بجزيرة بدران .

وأُلصقت إلى هذا الإعلان جيداً ، طالب ثانوى كان قد بدأ حديثاً فى خدمة أطفال مدارس الأحد، وكان فى سن الرابعة عشرة ، وهو ضمن إعداد خدام الكنيسة التى نشأ فيها. واشتاق الشاب أن يتعرف على خدمة أولئك البسطاء البعيدين عن المدينة، المنعزلين فى بيوتهم الريفية وسط الحقول . وانضم إلى إجتماع خدمة القرية . ولم يخف من الحديث عن المسافات والسفر فى مناطق خارج حدود الحى الذى نشأ فيه والمدينة التى تربى فيها، على الرغم من صغر سنه وقلة خبرته فى الحياة . بل أحس برغبة قوية فى أن يشترك فى تلك الخدمة، على الرغم من عدم اتفاق كثير من زملائه الخدام من جهة الخروج خارج حدود البيئة التى تربوا فيها .

خدمة عبر البيئة :

وفى إجتماع خدمة القرية ، تم اختيار الخادم الناشئ ، كى يخرج مرة كل اسبوع إلى قرية فى خط المرج إسمها "أبوزعبل البلد" . على أن لا يذهب وحده إلى الخدمة فى محيط غريب عليه ، بل يرافق أحد الخدام القدامى ، ويقوم بخدمة الأطفال ، مرافقاً لخادم الكبار . وذلك لأن الرب أرسلهم إثنين إثنين . ولم يكن الشاب الصغير يعلم أن يد الرب تقوده لكى يخدم فيما يسمى "وراء حاجز البيئة" .

وكانت القرية أولاً غريبة عليه ، حيث كان القطار يصل إلى أطراف القاهرة . ثم يسافر مسافات إلى مكان هادئ بعيد ، لا يعرف فيه أحداً .

وهنا سوف نخدم مَنْ ؟ وأين هم ؟ وكيف نتعرف عليهم؟ وكيف نقدم أنفسنا لهم؟ وهل سيقبلوننا أم يرفضوننا؟ وإذا قبلونا ، هل ستكون خدمتنا وسطهم مثمرة ؟

وأول زيارة كانت مفاجئة له منذ نزل فى محطة السكة الحديد ، وهو يتطلع إلى كل ما حوله: الطريق ترابية، البيوت من الطين، وسائل الإنتقال بدائية. الجلوس على الحصيرة.

الإجتماع في بيت المعلم ملاك . الإضاءة من لمبة جاز . ماء الشرب من ترعة أو طلمبة. الإختلاف في العادات، وفي لهجة بعض الكلمات. هدوء الحياة ، وبطء الحركة .

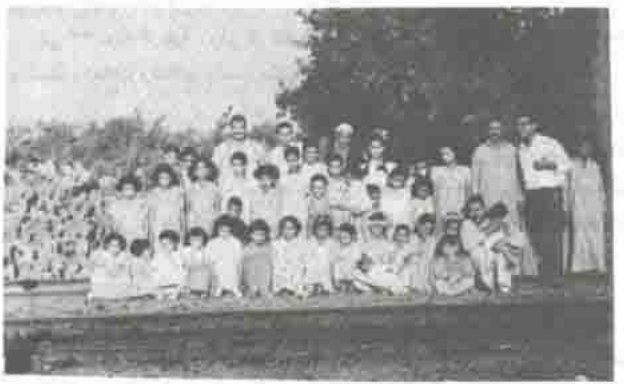

عام ١٩٥٣ خادم القرية مع أطفال مدارس الأحد وبعض كبار أبوزعبل البلد قليوبية ويظهر في الصورة خادم شريك هو دكتور رؤوف فوزي ميخائيل

في الأسابيع الأولى لخدمة القرية ، أحس الخادم الصغير أنه دخل في "صدمة بيئة" . ولن كانت بسيطة جداً وهينة ، استطاع أن يخرج منها سريعاً، **لكي يتأقلم على عادات الريفيين** ، ويتعلق بهم ويحب خدمتهم . ويرى فيهم نفوساً بسيطة بريئة روحانية ، مشتاقة إلى كلمة الله. ولا عجب ، فهم ولن كانوا قد أهملوا من الرعاية الروحية ، إلا أنهم أبناء المعمودية الذين ولدوا من الماء والروح .

ولم يكن خادم القرية هذا أو اعدادى خدمة المدينة يعرف أن الذى قاد خطواته من القاهرة إلى أبوزعبل، هو الذى سيقود خطواته إلى أن يعبر حدود البيئة إلى دول أخرى في القارة الواسعة التي ينتمي إليها وهي قارة أفريقيا ...

فبعد ١٦ سنة من خدمة القرية ، أراد الرب أن يكون العبور للخدمة من القاهرة إلى أديس أبابا بأثيوبيا .

وعلى مدى تسع سنوات فى أثيوبيا ، كان التعرف على دول إفريقية أخرى كثيرة، ثم العودة من أديس أبابا إلى دير البراموس ، ومن برية الأسقيط إلى نيروبى بكينيا ، ومن نيروبى كينيا إلى لوساكا زامبيا، ومن لوساكا إلى هارارى زيمبابوى، ومن نيروبى إلى كنشاسا زائير ، وإلى بوتسوانا ومالاوى ، وغيرها ...

إلى ٢٣ دولة أفريقية . وفى كل تلك البلاد ، تكتشف اختلافات فى اللون واللسان والقبيلة والعادات والتقاليد والممارسات، وأيضاً فى الفكر ونظرة هذه الشعوب للأمور .

وهنا تكتشف شيئاً إسمه رؤية العالم . وهنا لازم جداً وضرورى، لكى تستطيع أن تصل إلى التفاهم معهم ، وهو كيف يرون العالم ؟ وكيف يرونك أنت عندما يقابلونك؟ وكيف يضعونك .وهن يتعاملون معك: بحذر وحرص أولاً ، قبل أن تتفتح قلوبهم إلى قبولك، وقبول كل ما تقدمه لهم من تعليم وصداقات وأعمال محبة .. أو يرفضونك لكى تحاول مع آخرين .

المدخل :

وكما علمتنا خدمة القرية كيف نبدأ ، وكيف نتعرف على شعوب لم نكن نعرفها من قبل، وكيف نستعمل المدخل المناسب لكى يكون هناك قبول للرسالة والخدمة .. كذلك أيضاً ، بل بالأكثر ، لابد أن يكون للإنسان ترو وفكر ، وأن يطلب حكمة من الله قبل أن يدخل ، حتى لا يُرفض من الشعوب الأفريقية التى تعرفنا عليها ، وقدمنا لها تعليماً من الكنيسة الرسولية الأفريقية الأصيلة الأولى .

والمداخل الأولى فى الخدمة كانت تحتاج إلى صبر وجهد :

ولكن ما أن نصل إلى المدخل ، حتى يصبح كل شئ سهلاً وجميلاً ، ويتكاثر الثمر . وإن كان يحتاج إلى صبر كثير ووقت طويل .

ففى مايو سنة ١٩٦٦ قبل السفر إلى أثيوبيا بأيام ، كانت هذه أول خبرة لى للتغرب عن الوطن، طلبت نصيحة وإرشاد من قداسة البابا شنوده (نيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم وقتذاك) .. قال لى نصيحة كانت معيناً كبيراً على المدخل إلى شعوب، وتجمعات فى أثيوبيا وكينيا وبلاد كثيرة ...

قال لى : اسمع كثيراً ، وانظر كثيراً أولاً، قبل أن تظن رأياً أو تتكلم .

كوّن فكرك أولاً عن الناس وفكرهم ، قبل أن تقول شيئاً . لئلا يكون ما تقوله لا يناسب عاداتهم ولا معتقداتهم ، فيرفضونك .

والنصيحة الثانية هي : تعلم لغات الناس الذين تخدم وسطهم .

وذلك لكي تكسب قلوبهم . لأن لغة الناس عزيزة عليهم جداً . ومتى خاطبتهم بها، تتفتح قلوبهم لك ويلصقون إليك .

"وأما شركتنا نحن ، فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١يو١: ٣) .

خادم القرية :

بالعودة إلى خادم القرية الجديد ، كانت الغربة يوماً واحداً في الأسبوع . وكانت خبرة جديدة عليه ، وهو حدث قليل الخبرة في كثير من أمور الحياة . كان يشعر بالفارق بين مكان نشأته ، وبين مكان خدمته .

ولكن إسم "يسوع المسيح" كان هو أجمل اتفاق بينه وبين المخدومين . فما أن يقفوا للصلاة ، وما أن يقرأ لهم كلمة الله، حتى تتفتح قلوبهم وتتأثر نفوسهم .

تعلم الشاب وهو على مستوى الجامعة ، أن ينزل إلى مستوى الناس . وتعلم أن كلمة الله لا تفيد بأي فارق في العلم أو المعرفة أو اللون أو القبيلة أو الوطن . وتعلم أنه لابد أن يصبر على كل شئ لأجل المختارين ، لكي يحصلوا أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي .

الإلتفاف حول كلمة الله ، على مستوى الأطفال والصبيان في مدارس أحد القرية، ثم على مستوى الكبار، كان فعالاً جداً في تهيئة جو من اللقاء والشركة الحلوة التي زيملت بين قلوب الجميع. وكانت الفرحة روحية، فرحة التسبيح والترتيل، والتعزية في الصلاة، والإنتماء إلى جسد واحد في يسوع المسيح ، الذي هو الكنيسة .

ولم يكن يعلم خادم القرية الصغير أن الرب يريد أن يرسله إلى أماكن أخرى كثيرة، لكي يجد تعزية وفرحة روحية، وسط قبائل وشعوب وألسنة غريبة، ومصدر التعزية والفرحة ، هو واحد ، الذي هو يسوع المسيح .

"لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب. وتتكلم بما آمرك به" (أر١: ٧)

وتمر الأسابيع، ويتقدم الخادم الشاب في دراساته، ولكنه لم ينقطع قط عن خدمته وسط

الريفيين الذين أحبهم، حتى أيام الامتحانات أو الاستعداد للتخرج فى السنوات النهائية .

مع رجال كنيسة أبوزعبل البند قليوبية سنة ١٩٥٥

كان قضاؤه لفترة خلوة فى دير السريان بوادى النطرون وسط الآباء الرهبان والمرشدين الروحيين ، لمدة اسبوع أثناء أسبوع الآلام ، وأسبوع آخر فى الأجازة الصيفية، يعطيه عمقاً ووقتاً للتأمل فى أعمال الله معه، ولم ينقطع عن خدمته القروية من صيف ١٩٥٠م حتى سافر إلى أثيوبيا فى مايو سنة ١٩٦٦م .

الإحتياج :

شعوره بالإحتياج الكبير الموجود وسط أهل القرية ، جعله يدرك خطورة إهمال النفس البشرية، وشعر بما قاله الرب "هلك شعبى من عدم المعرفة " (هو٤: ٦) .

اكتشف أن كثيراً من مسيحيى القرية لم يتناولوا منذ سنوات ولا يعرفون ما هو الإستعداد للتناول ، ولا يعرفون الإعتراف ولم يمارسوه . اكتشف شباباً على وشك الزواج، ولم يعمدوا بعد !

وكان يرتب لشعب القرية رحلات بالقطار إلى الدير كنيسة لحضور القداس، والإعتراف والتناول من يد الكاهن الذى لم يروه منذ مدة .. وكم كانت فرحتهم باستقبال الكاهن لهم بالأبوة والحب والترحاب والإهتمام بهم . وكم كانت أحزانهم وحسرتهم إذا

أعمالهم الأب الكاهن، أو عاملهم بطريقة روتينية ليس فيها حب ولا حرارة ...

كانت تتقاطر فى نفسه أحاسيس كثيرة . وعلى كل حال كان يشتاق إلى أن يجعل أولاد الرب فى القرية "يذوقون أن الرب صالح" (١بط٢: ٣) لكى يقتربوا منه كمخلص لنفوسهم.

أعبر إلينا واعظا :

لا ينكر خادم القرية أنه قرأ كتاباً عن عمل المبشرين فى القارة الأفريقية ، أو أنه رأى فيلماً تأثر به . ولكن خدمة القرية عمقت الشعور فى نفسه بأن هناك الآلاف بل الملايين من الذين ليس لهم أحد يذكرهم . وكان كلما اقترب من مرحلة التخرج من كلية الطب ، يعمق فى داخله الشعور بأن وزنة الطب أيضاً يمكن أن يتاجر بها ويربح كثيرين لأجل ملكوت السموات .

وتملك على قلبه شعور قوى وعميق ، بأنه لابد أن يخدم الرب وسط شعوب فيها كثير من الجوع والعطش الروحى ليس لها نصيب من الرعاية روحياً ولا طبياً ولا جسدياً . إن كل ما لديه من معرفة وإيمان، لابد أن يكون لخدمة الرب بالكامل ، ولأجل نفوس كثيرة..

ماذا لو كانت تلك الشعوب تختلف عنا فى اللون أو اللغة أو الوطن أو العادات أو التقاليد؟ .. وهكذا أحس فى قلبه بقوة وجسارة على تخطى هذه الحواجز ، وأن العبور الأول من المدينة إلى القرية ، أزال من القلب أى خوف من العبور إلى المجهول ، والقاه أنه سيجد هناك من يعرفه ويثق به، وهو الرب يسوع المسيح .

كان يستمع فى تعجب إلى زملائه الأطباء وأمالهم بعد التخرج والعمل : العيادة، والشهرة، والسيارة الفخمة، والزوجة الغنية، والعمارة.. ولم تكن اشتياقات أو تطلعات زملائه الأطباء تهز أية اشتياقات فى قلبه مطلقاً ، بل لا يجد لها مكاناً .

إشتياقات قلبه نحو الكرازة لم تكن منه . ولكنه يعرف مصدرها . وضعها كثيراً فى صلواته . ثم إذا ألحت عليه ، بدأ يجاهر بها . ولكن ليس لكل إنسان ، فهو يعرف جيداً رأى أهل العالم ، ومشورة الجسد والدم . لذا جاهر بها فى الإعتراف وفى الإرشاد الروحى، لآباء الكنيسة الروحيين ، الرهبان الذين وثق بهم وأحبهم .

كان أول تصريح لأب اعترافه فى دير السريان سنة ١٩٥٦ ، عندما ناقش الأمر مع أبيه الروحى ومع أكثر من مرشد روحى ، أحس وكأنهم يستمعون إلى اشتياقات غريبة

على ذلك الجيل ، بل وعلى الكنيسة فى ذلك الوقت ، من جهة السعى إلى رفع مستوى الرعاية للشعب، وإعداد الرعاة وخدام كثيرين فى نفس المجال . ومفهوم الكرازة أيضاً كان يدخل فى نطاق عمل الرعاية : ليس لدينا إمكانيات ، ولا الخبرة ليس لدينا الخدام المستعدون، لابد أن العمل سيكون صعباً جداً وسط شعوب وقبائل ولغات وعادات غريبة.

ولكنه لم يقتنع ، بل ألح وطالب وكرر . وكان يرجو أن يجد أحداً يتفق معه. وكان كلما يطلب مشورة من أحد الآباء يكون الرد واحداً تقريباً: خذ الأمر بطريقة لا فارق. ولكن حيث كانت الأيام تمر ، ويقترب من إنتهاء دراسته للطب ، لم يستطع أبداً أن يشعر داخلياً وكأن الأمر "ما تقرقشى معاه".

الأسقف وسط قبيلة الكيكويو فى كينيا عام ١٩٧٧

صانع الخيام :

فهم الخادم موقف الكنيسة جيداً ، ولكنه كان يشعر براحة ويفرح غامر عندما يتذكر قول القديس بولس الرسول "إن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان" (أع٢٠: ٣٤) . إذ كان يعمل مع أكيلا وبريسكلا بيديه فى صناعة الخيام .

وزنة الطب التى أعطاها الرب له هى من أقدس المهن والصناعات، فيها عمل الرحمة والحب نحو الضعفاء والمرضى والمتألمين. أليست هذه المهنة هى التى يمكنه بها أن يعطى الرب؟ وخرج بها إلى أفريقيا ...

مفترق الطرق :

وتخرج الطبيب فى سن صغيرة (سنة ١٩٥٩) شهر ديسمبر . وظن الكثيرون من داخل الكنيسة ومن خارجها، أن تهنئتهم على تخرجه هى بداية لعمل طبى فيه شهرة ومال وحياة واستقرار . ولم يكونوا يدرون أن فى داخل القلب إنشغالاً آخر بشعوب بعيدة غريبة لم تدعوا باسم الرب بعد، لأنهم لم يؤمنوا به، لأنهم لم يسمعوا به، لأن كارزاً لم يذهب إليهم، ولأن أحداً لم يرسل هذا الكارز .

سنة التدريب – التى هى سنة الإمتياز – لم تخلُ من حروب خطيرة وفخاخ ومصايد، بسبب الجو الذى يعيش فيه الأطباء الجدد .. ولكن كان إرشاد آباء الإعتراف الرهبان والمرشدين الروحيين أكبر قوة وتشجيع .. ومرت سنة التدريب بسلام . ثم رفض أن ينخرط فى وظيفة حكومية تمنعه من العبور لمن أرادت مشيئة الرب ...

وفضّل أن يعمل عملاً حراً فى الطب ، عيادة جراحية وعمليات فى القرية، مستوصفات جمعيات خيرية فى القاهرة، لتغطية إحتياجات الجسد، وخدمة القرية وخدمات أخرى مستمرة، وإذ وجد فرصة سانحة ووقتاً كافياً ، درس دراسات عليا فى التخصص فى أمراض الأطفال والأمراض الباطنية والجراحة .

"من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السموات" (لو٩: ٦٢) .

طريق العمل الحر والإنتظار والدراسة العليا لم يكن سهلاً ، وخصوصاً إذا قارن نفسه بزملاء له استثمرت أوضاعهم ونجحوا مادياً ، وأدركوا كثيراً من أشواقهم . ولكن اشتياق قلبه جعله ينتظر أكثر دون تردد، حتى تقوده يد الرب، وحتى يرى علامات واضحة تشير له الطريق، طريق الخدمة .

لم تهتز نفسه فى صوت الرب الذى يتكلم فى داخله ، على الرغم من عدم إتفاق أى أحد معه فى فكرة السفر، أو الخدمة فى أفريقيا، لا فى العائلة ولا الأصدقاء أو الزملاء الخدام، ولا المرشدين الروحيين . وعُرضت عليه كل أنواع الخدمات فى داخل الوطن ، وفى نطاق العمل الرعوى، فى أية صورة يصلح لها سواء فى الزواج أو الكهنوت، أو فى التكريس، أو فى الرهبنة، واحتياج الكنيسة إلى طاقات تعمل بها. لم يكن يحلو له أن يناقش أو يكابر أو يجاهر ، بل فى تسليم كانت نبضات قلبه تقول "لتكن لا إرادتى بل إرادتك" ...

وحاربه فكر قوى بأنه يسعى وراء سراب، وأن هذا العبور ما هو إلا خيال وأحلام

يقظة . وشعر بالألم إذ هو وحده فى هذا الفكر ، ثم الخوف من المستقبل والمجهول الذى يتطلع إليه . وتعليقات وأفكار الناس فى مصر عن أفريقيا ، لا تخلو من فزع وخوف من التعرض لأخطار كثيرة فى الحياة وسط هذه الشعوب، بالإضافة إلى الغربة .

مرور تسع سنوات على إحساسه نحو هذه الخدمة، لم يدفعه إلى اليأس والخوف والتراجع، بل إلى السعى والمثابرة والطلب .

كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له" (مت٧: ٨) .

قام الإمبراطور هيلاسلاسى إمبراطور أثيوبيا بدعو الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة وهم الأقباط والأثيوبيون والسريان الأرثوذكس والهنود والأرمن، وكلهم مشاركون معاً فى الإيمان والعقيدة والتناول منذ العصور الأولى للمسيحية... دعاهم إلى الإجتماع معاً فى أديس أبابا العاصمة الأثيوبية . فلقاء رؤساء ووفود هذه الكنائس لم يحدث منذ ١٥ قرناً . وكان قد دعا لرئاسة الإجتماع البابا الأسكندرى خليفة مارمرقس الـ١١٦ المتنيح الأنبا كيرلس السادس باعتبار مكانة كنيسة الأسكندرية وسط الكنائس الرسولية .

وما أن علم الطبيب الذى ينتظر الرب أن إثنين من الآباء الأساقفة (الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والمتنيح الأنبا صموئيل) سيغادروا القاهرة إلى أديس أبابا، حتى تحرى عن وقت ومكان سفرهما، وتوجه إلى مطار المانظة الدولى فى الساعة الثالثة صباحاً، لكى يودعهما ويطلب منهما ألا يعودا إلى القاهرة دون أن يفتحا له طريقاً لكى يخدم الرب فى أفريقيا .

ولا ينسى مقدار العجب والتساؤل الذى عبر عنه الأبوان الأسقفان، وهما يريانه أمامهما فى المطار فى تلك الساعة من الفجر ، وكيف أتى! لابد أنهما أحسا أن الدافع كان أقوى من كل الظروف والعقبات . ولما سألهما إن كان سيذهبان إلى كينيا، أجابا بالنفى. فلم يكتف بل سأل : وهل يمكنكما المرور على كينيا لكى تجدا لى مكاناً للخدمة هناك؟ ولم يكن يعرف طبيعة الأسفار فى تلك البلاد .

وحينما ودع الأبوين الأسقفين عند دخولهما إلى صالة السفر، طلبا منه أن يصلى وأن يضع طلبته أمام الرب، فوعدهما بذلك لأنه يؤمن أن "غير المستطاع عند الناس، مستطاع عند الله" (لو١٨: ٢٧) .

الفصل الثانى

أذهب

فقال لى : يا ابن آدم

اذهب وامضى إلى ...

أثيوبيا وكلمهم بكلامى .

(خر٣: ٤) .

أثيوبيا أولاً :

وعاد الآباء الأساقفة بعد إنتهاء المؤتمر فى أديس أبابا الذى رأسه البابا كيرلس السادس وفى لهفة بحث الطبيب عن الأبوين الأسقفين لكى يعرف منهما نتيجة بحثهما عن مجال لخدمته فى أفريقيا فأجاباه بالإيجاب : **نعم ، سوف تذهب إلى أثيوبيا ...**

الطبيب مع مجموعة من المصريين وسط الفنانين الأثيوبيين بملابسهم الوطنية

ولكنه اعترض وقال : هذه كنيسة قديمة، وقد صار لها بطريرك وأساقفة ومؤسسات ، ولا تحتاج إلى خدمة كرازية. وكرر وقال إنه كان يظن أنه سوف يذهب إلى شعوب لا تعرف شيئاً عن الرب ، ولم تسمع به ...

ولكن الآباء أقنعوه بأنه لابد أن يعتمد على نفسه أولاً . ومن الأفضل أن يغطى احتياجات نفسه واحتياجات الخدمة من عرق الجبين . وأنهم قد اتفقوا مع وزير الصحة الأثيوبى بأن يعينه كطبيب فى وزارة الصحة الأثيوبية . وأن يعطى للخدمة كل إمكانيات الفائض من وقته ومن دخله .

ووجد هذا الإتجاه إرتياحاً فى نفسه . ورن فى أذنيه قول بولس الرسول الذى كان يغطى إحتياجاته بعمل يديه. وما هو المقصود بخادم يكفى احتياجاته بيديه؟! هذا ما يسمونه بصانع الخيام .

وحيث أنه ليست لنا خبرة بأية خدمة فى قارة أفريقيا الواسعة، وخصوصاً جنوب خط الأستواء، فإن هذه الخطوة تعتبر مقدمة ومدرسة لما يقودنا إليه الرب فى المستقبل

التعاقد مع وزارة الصحة الأثيوبية :

تحدث أثناء المؤتمر وزير الصحة الأثيوبي (أتوبابا ريتا) عن إحتياج أثيوبيا إلى أطباء يعملون فى مجال الطب وكذا ليساعدوا الكنيسة فى مجال مدارس الأحد والشباب وإعداد خدام ومناهج التربية الكنسية .

وتم الإتفاق مع وزير الصحة الأثيوبى ، بأن يعين ذلك الخادم الشاب طبيباً فى وزارة الصحة الأثيوبية. وفعلاً وعد الأستاذ مريت غالي رجل الأعمال الذى كان يقيم فى أديس أبابا بأن يرتب إكمال التعاقد مع وزارة الصحة الأثيوبية .

وبدأت إجراءات تحضير أوراق تخرج باللغة الإنجليزية ، وشهادات الخبرة والإمتياز وغيره، وفعلاً إستمارات وإجراءات طويلة ومعقدة. وأرسلت الأوراق إلى رجل الأعمال القبطى المقيم فى أديس أبابا ، وهو على اتصال بوزير الصحة الأثيوبى.

وطال إنتظار وصول عقد العمل من الوزارة الأثيوبية. واكتشفنا أن العقد قد أرسل على عنوان المنزل منذ شهور. ويبدو أنه قد فقد وضاع. ودخلوا فى بحث عنه فى مكاتب البريد من العتبة إلى العباسية إلى الظاهر . وأخيراً وجد ملقى فى أحد الرفوف حيث أن العنوان كان ينقصه رقم المنزل .

وبدأت رحلة جديدة من الإجراءات الروتينية ، والأوراق والأختام والتوقيعات من حوالى عشر هيئات ، منها سفارة أثيوبيا بالقاهرة، ثم مكتب الصحة الدولية بوزارة الصحة المصرية لاستخراج تصريح عمل الطبيب بالخارج. وكانت الإجراءات تكلل بالحصول على فيزة خروج ، وشركة الطيران الأثيوبية تؤكد أن تذكرة السفر موجودة عند الإنتهاء من الإجراءات .

"القدوس الحق الذى يفتح ، ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح" (رؤ٣: ٧) .

وفى مارس ١٩٦٦ عاد الطبيب من عمله مرهقاً . وكانت أيام الصوم الكبير . وبينما هو يتناول طعام العشاء ، أعلنت الإذاعة فى نشرة أخبار الحادية عشرة مساء، عن قرار رئيس الجمهورية بمنع خروج الأطباء والمهندسين فى الخارج، بسبب احتياج الدولة لهم.

وترك الطبيب المائدة ودخل إلى غرفته وأغلق الباب. ولكن والدته تابعته لتقول لـه، إن هذه الأخبار هى إستجابة لصلوات العائلة . لأنهم بصراحة خائفون عليه من هذه المغامرة

وهذه الغربة، وتساءلت إن كان قد أصيب بشيء في قواه العقلية؟ ولماذا يريد أن يترك مصر ليعيش وسط شعوب غريبة.. ولم يستطع أن يجاوب إلا بقوله لتكن إرادة الله. وطلب من والدته في أدب أن تتركه وحده .

وأغلق الباب ، وأنحنى ركبتيه ورأسه على الأرض. وفي دموع صارع مع الله في صلاة عميقة ، طالباً من الرب بلجاجة أن يتدخل: أنت يارب الذي وضعت هذه الرغبة والإشتياق في قلبي. وأنت قادر أن تحقق واحدة من إثنين: إما أن تحقق الرغبة، وإما أن تريحها تماماً، وتعطيني الحرية أن أختار طريقي مثل كثيرين .. إنها يارب عشر سنوات مذ وضعت اشتياق هذه الخدمة في قلبي . أظهر لي إرادتك وعلمني يارب طريقك .

ربما استمرت تلك الصلاة العميقة ، حتى ما بعد منتصف الليل . ونام الطبيب والدموع في عينيه ، وهو يردد إسم الرب الحلو، واستيقظ عند أول خيط من الفجر ، وبدأ يقرأ في سفر المزامير حتى شعر بتعزية غامرة وسلام كامل يملأ نفسه وقلبه. وشعر بفرحة ليست من هذا العالم .

ورفع عينيه عن الكتاب المقدس، لكي يجد إنساناً نورانياً يقف في وسط الحجرة وينظر إليه . وكان يلبس ثياباً بيضاً، ووجه مشرق وحول رأسه هالة من نور .. رفع يديه وقال له "سوف تذهب إلى أفريقيا، وسيكون الرب معك ويعمل بك.." وقال كلاماً كثيراً. وكان الموقف كله خشوعاً ورهبة .

وحاول الطبيب أن يناقش ويقول "وماذا عن قرار رئيس الجمهورية ، بمنع الخروج؟ وأجاب الزائر النوراني بأن هذه رسالة ممن يفتح ولا أحد يغلق.. ثم تحرك الزائر لكي يخرج من باب الغرفة، ونزل الطبيب من السرير لكي يتابعه ويطلب منه البقاء لحديث أطول، ولكنه اختفى ...

وأحس الطبيب برهبة قوية تسري في كل كيانه . وركع وأنحنى ليصلي صلاة عميقة . ثم في لهفة أعد نفسه للخروج ، وأخذ معه ما يحتاج للبقاء في الدير لمدة أسبوع. وأيقظ أهل البيت، لكي يعتذروا لمرضاه في العيادات والمستوصفات . وخرج ليجد الرب يهيئ طريقه بسهولة جداً، بمواصلة تلو الأخرى ، حتى وصل إلى دير السريان ولم تكن الساعة قد قاربت الثامنة والنصف صباحاً .

وذهب إلى قلاية الأنبا شنوده أسقف التعليم، الذي كان يقيم في الدير في ذلك الوقت،

وقرع الباب. وحيث لم يكن يتوقعه، تعجب أبوه الروحى من وصوله فى تلك الساعة، وهل الأمر فيه عجلة؟ وجلسا على سلم القلاية. وحكى لأبيه الروحى ما حدث، منذ ساعات قليلة بالتفصيل وقصة الزائر النورانى ...

طلب منه الأب الروحى أن يضع الأمر فى الصلاة، وألا يحكيه لأحد ما. ولم يرد أن يفسر ماذا يكون الزائر. ربما تكون رؤيا، وإن تحقق كلام ذلك الزائر تكون الرؤيا من الله.

قضى الطبيب أسبوعاً فى الدير فى جو روحى عميق ، وكانت له فرصة طيبة أن يتأمل فى أعمال الله معه . وازداد قلبه تسليماً لإرادة الله .

يستجيب لك الرب فى يوم شدتك . يرسل لك عوناً من قدسه، يعطيك الرب حسب قلبك ويتمم كل مشورتك .

ربما لم ير أى من الآباء الروحيين دموع هذا الطبيب، وهو يشعر بحيرة شديدة، وقد تعلقت كل أموره بعلامة من الرب، وبطريق خاص يفتحه الرب. والآن يحتاج الأمر إلى إستثناء خاص. ولكن أحد الآباء الأساقفة المحبين شعر بما يعتمل فى قلب هذا الخادم الطبيب، وسعى بأن يكلم أحد الوزراء الأقباط فى أن يتفاهم مع وزير الصحة فى منح هذا الطبيب إستثناءً خاصاً .

وحدث أن رئيس الدولة سافر بالقطار يوم أول مايو سنة ١٩٦٦ مع الوزراء إلى السويس، لإلقاء خطاب فى عيد العمال . ودبر الرب أن يجلس الوزير القبطى بجوار وزير الصحة، وأن يتذكر أن يتفاهم معه فى أمر ذلك الطبيب. وتكلم الرب فى قلب وزير الصحة، ووافق أن يعطيه إستثناءً خاصاً باعتبار أن أثيوبيا من الدول الصديقة التى لم تخدمها فى مجال الطب ، وأن إرسال أطباء إليها سوف يفتح الباب أمام كثيرين للعمل هناك فى المستقبل .

وفى يوم ٢ مايو سنة ١٩٦٦ استدعى الأب الأسقف (الأنبا صموئيل) الطبيب، وطلب منه أن يحضر مجموعة من الأوراق تماماً مثل التى قدمت إلى الصحة الدولية. وتم تحضير تلك المستندات . وأرسلت إلى الوزير القبطى دكتور كمال رمزى استينو، وزير التموين، ومنه أرسلت إلى وزير الصحة، الذى وقع تأشيرة خاصة باستثناء خاص للسماح لهذا الطبيب للسفر للعمل فى دولة أثيوبيا .

"لكن ما كان لى ربحاً ، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة" (فى٣: ٧) .

كان هيناً عليه أن يخلق عباءته، وأن يترك أصدقاءه في المستوصفات الخيرية، وأن يهتم بأن يجمع ما تحتاج إليه الخدمة في أثيوبيا وأن يطلب بركة الآباء ، وعلى رأسهم أبو الآباء خليفة مارمرقس بابا الكنيسة، الذي باركه وشجعه وأفهمه أن مهمته ستكون هامة للعلاقة بين الكنيستين المصرية والأثيوبية ، التي استمرت على مدى ١٦ قرناً .

وذكر له الآباء أنه رائد ، ولكنه لم يفهم ماذا يعنون بهذا. كل ما كان يعرفه أنه ذاهب إلى خدمة حسب تدبير الرب، ولا يهمه ماذا يكون في نظر الناس ...

وزودوه بنصائحهم وبركاتهم ، وأوصوه أن يكون دائم الإتصال بهم ...

ضع يدك على رأسك :

ولما قرب موعد السفر ، بدأ يطالب بأن ترسل رسالة إلى أحد ما من أقباط أديس أبابا، لكي ينتظره في المطار ، لأنه ذاهب إلى مكان جديد لا يعرف فيه شيئاً .

ولكن الأب الأسقف أكد له أنه لا لزوم لذلك . ثم قال له وهو يبتسم في أبوة حانية "ضع يدك على رأسك" . وتعجب الطبيب لذلك. ولكن الأسقف كرر الطلب. فوضع الطبيب يده على رأسه ، وسأله الأسقف ما هذا؟ قال هذه رأسي. قال له الأسقف ضاحكاً: اركب تاكسي من المطار . وقل للسائق : أريد أن أذهب إلى راس هوتيل لأن رأس في الأمهرية تعني رئيس أو كبير أو ملك .

وهناك عند مدخل راس هوتيل ، ستجد بقطة باسم زكي المصري وهذا من رجال الأصال الأقباط وسوف يهتم بأحوالك .

وكان يوم ٦٦/٥/٢٦ حيث غادرت الطائرة الأثيوبية أرض الوطن في طريقها إلى أديس أبابا بأثيوبيا، حيث بدأ الطبيب الذي كان يبلغ من العمر وقتذاك ثلاثين عاماً رحلة طويلة للعمل والخدمة في تلك البلاد لمدة تسع سنوات كاملة .

الخروج إلى الحقل الأفريقي :

"اخرج من أهلك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك، إلى الأرض التي أريك إياها" (تك١٢: ١) .

كلمات الرب هذه التي قالها لإبرام أبي الآباء، عندما أوصاه أن يخرج ليكون بركة، كانت تتردد في قلب الطبيب حيث وضع قدمه في المطار .

أقلعت به الطائرة من أرض الوطن حيث كانت أفكار رأسه تحيره من جهة المجهول في عالم الخدمة والطب الذي هو منطلق إليه. كانت كلمات الرب لإبرام تعزية، لأنه ليست غربة بلا بركة ولا إكليل . وكانت أصوات آباء الإعتراف والمرشدين الروحيين ترن في أذنيه "الرب معك أينما تذهب، لأنك ستجده في كل مكان تذهب إليه. فللرب الأرض وملؤها ، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز ٢٤: ١) .

أول درس في اللغة الأمهرية :

وصلت الطائرة إلى مطار أديس أبابا حوالي الثامنة صباحاً . وكان إسم البلد فوق مبنى المطار مكتوباً بحروف كبيرة بارزة بالإنجليزية ADDIS ABABA ولكن على الجانب الآخر حروفاً أخرى ليست له أية دراية بها قبلاً، وكانت أشكالها غريبة عليه. ولكنه أنتهز فرصة الوقت حتى تتوقف الطائرة، ناظراً من الشباك . وبدأ يقارن بين الحروف الإنجليزية والأمهرية . ولابد أن الحروف الأثيوبية تنطق بنفس الكلمة (أديس أبابا) . وبدأ من شباك الطائرة أول درس في تعلم اللغة الأثيوبية. واستطاع بالمقارنة بين الحروف، أن يتأكد من حرف الألف الأمهرية مع كلمة أديس، وأيضاً حرف الباء من كلمة أبابا. وأخرج ورقة صغيرة من جيبه ، ونقش عليها حرف الألف والباء بالأمهرية، حتى يراجعها ويتعلمها .

وفرح بهذه المعرفة ، وشكر ربنا عليها. وأحس ببركة الطاعة تسري في كيانه، وهو يتذكر وينفذ وصية أب اعترافه المحبوب "تعلم لغة الناس، تكسب قلبهم " .

ومما هو جدير بالذكر أن كلمة أديس أبابا ، تعني الزهرة الحديثة . حيث أن زهرة تعني أبابا وحديث تعني أديس .

"غريب أنا على الأرض ، لا تخف عني وصاياك " .

وما أن أكمل إجراءات الوصول إلى المطار ، وخرج إلى صالة الإستقبال، ووجد الكثيرين يستقبلون الواصلين بالحب والترحاب والشوق ، وعبارة "حمد الله على السلامة" ، حتى دارت عيناه في كل الموجودين : إن كان أحد ينتظره، أو يتعرف عليه ، أو يتقدم لاستقباله، وشعر بوحدة في أرض غريبة. ولكن قلبه كان يتأمل في عبارة "ولكنني لست وحدي، لأن الآب معي" (يو١٦: ٣٢) . وأحس بطمأنينة الإتكال على الرب وحده .

ولكي يركب التاكسي إلى رأس هوتيل حسب وصية الأب الأسقف ، كان لابد أن يغير

ما في جيبه مما يسمى العملة الصعبة ، وهي خمسة جنيهات استرلينى. ووصل الهوتيل ، ووجد الأستاذ زكى المصرى، الذى رحب به ما أن عرف من هو. وأرسل بسرعة يحجز له حجرة فى الراس هوتيل، تليق بالطبيب القادم ، لكي يقضى فترة راحة بسبب الجهد فى السفر الطويل طوال الليل وحتى يعرف مكان تعيينه وتستقر أوضاعه .

وفى مساء نفس اليوم ، حضر الأقباط الموجودون فى العاصمة الاثيوبية ، لكى يأخذوه إلى منازلهم ويتعرفوا عليه، وبعد وقت ليس بطويل، اتفقوا على أن يبحثوا له عن مكان للإقامة أرخص، لأن النقود القليلة التى بقيت معه بعد الرحلة ، لا تكفى لأن تغطى أجرة الراس هوتيل ولا حتى ليلة واحدة .

وعلم أنهم يعملون فى هيئة الأمم المتحدة فى مركز ECA وهى اختصار اللجنة الاقتصادية لأجل أفريقيا Economic Commission For Africa .

فى هوتيل المحطة :

اقترح أحدهم أن المكان المناسب هو هوتيل صغير ملاصق لمحطة سكة حديد أديس أبابا . محطة القطار الذى يصل إلى مدينة ديريداوا ثم بميناء جيبوتى .

وهوتيل المحطة يتميز بقربه من وزارة الصحة ، وبرخص الإقامة فيه . واعترضت الأغلبية لأنه لا يليق بطبيب قادم، فماذا يقول الناس؟ ودارت مناقشة استمع إليها بمفهوم آخر يختلف عن مقاييسهم واعتباراتهم .. هو جاء ليخدم الفقراء المعدمين، ولا يهمه أين يسكن، أو يقيم فى بساطة أو فى فقر . الأهم من هذا كله نظافة المكان ونقاوته . وتذكر النذر الذى أخذه على نفسه فى فبراير سنة ٦٤ ، ولم يعرف به أحد إلا أب اعترافه ، وهو نذر الفقر والبتولية والطاعة. وأن اشتياقه إلى دخول حياة الدير ، هو فى حينه حسب مشيئة الرب وتدبيره .

الطبيعة فى أفريقيا :

كانت وزارة الصحة الأثيوبية واسمها Tena Tabaka Minister فى اللغة الأمهرية وتعنى وزارة حماية الصحة . صحة = Tena ، تابكا Tabaka = حراسة أو حماية .

كانت الوزارة قريبة من هوتيل المحطة. ولكنها كانت بعيدة بالنسبة له حوالى ١,٥كم. ونصحوه بالمشى إليها. وما أن بدأ طريق المشى، حتى أحس بعد فترة قصيرة أنه يتنفس

بصعوبة، وأن جهده قليل جداً، وأحس بتعب شديد، وأنه لا يستطيع الإستمرار .. وجلس على الرصيف ليستريح. وواصل السير والراحة . حتى وصل إلى الوزارة وهو يلهث .

وسأل أول مَنْ تمكن من الحديث معه عن سبب صعوبة التنفس هذه؟ وقيل له إن أديس أبابا مقامة على سلسلة من التلال والمنخفضات ، وأن العاصمة كلها تعلو فوق سطح البحر ثمانية آلاف قدم . وماذا عن أرض الوطن ؟ قيل له إنها في مستوى سطح البحر .

وشعر بالفارق بين الطبيعة هنا وهناك . وأنه عليه أن يتأقلم مع الحياة فوق الجبال العالية. وعلم أن نسبة الأوكسجين في الهواء فوق هذه المرتفعات ، تقل حتى تصل إلى ٥٠٪ فقط من الطبيعي . وتحتاج إلى فترة شهرين أو ثلاثة ، يراعى فيها بطء الحركة وقلة المجهود ، حتى يتعود جسمه على الحياة مع قلة الأوكسجين .

ملعون من يتكل على ذراع بشر :

علم الطبيب أن الرب أراد أن ينزع عنه كل معونة بشرية ، حتى يكون إتكاله على الرب إلهه . ففي أول زيارة له لوزارة الصحة الأثيوبية، سأل عن وزير الصحة الذي اهتم بقدومه للعمل والخدمة، ولكنه صُدم إذ علم أن الوزير أصبح مسئولاً عن وزارة أخرى، وليس أحد في الوزارة يعرف شيئاً عن قدومه أو خدمته !

وشعر من المسئولين أنهم يستغربون وجوده ، وما هي أهدافه؟! وهذا لأن أثيوبيا لم يكن بها أطباء مصريون من قبل. وفضّل أن تكون إجابته كلها بسيطة ومختصرة . وكان هذا أول تعامل له مع الأثيوبيين . فكان يستعمل أسلوب نحميا؛ يطلب حكمة من الله قبل أن يجاوب على أي سؤال مباغت، متذكراً نحميا النبي عندما سأله الملك ، قال "فصليت إلى إله السماء" وقلت ... " (نح٢: ٤) .

وتأخر قرار تعيينه لمدة أسابيع ، وكان يحاربه الملل والوحدة . وبدأ يحاربه فكر أه لو كان وزير الصحة صديقاً موجوداً ، لكانت تغيرت أمور كثيرة : مكان التعيين ، موعده، حرية الحركة في الخدمة مستقبلاً ...

زاد إحساس الغربة عليه "ليس من يعرفني . ضاع المهرب مني ، وليس من يسأل عن نفسي" (مز ١٤٢) . ولكن مزامير صلاة النوم كانت تعزية وتقوية "لا تتكلوا على الرؤساء، وعلى بني البشر ، الذين ليس عندهم خلاص . طوبى لمن إله يعقوب معينه، وإتكاله على

الرب إلهه" (مز١٤٥) . أليس هناك ضابط للكل ؟ هو الذى يدير كل أمور الحياة ، سواء كان الوزير موجوداً أم لا.. فإن الرب موجود يعينني في كل شئ" .

أسمرة بوتقة التمحيص :

وصدر أمر التعيين فى مستشفى الإمبراطورة منن فى مدينة أسمرة، فى شمال أثيوبيا وهى عاصمة أريتريا ، وهى مدينة جميلة متوسطة الحجم وطابعها إيطالى .

الطبيب مع شباب دبرهان فى دبرهان أثيوبيا

وتم تعيينه فى قسم الجراحة ، وعلم أن رئيس القسم وأيضاً رئيس القطاع الطبى فى المحافظة إسرائيلياً ، وكان التوتر بين مصر وإسرائيل فى ذلك الوقت على أشده. وبدأ يدرك أن وجوده فى تلك البقعة هو لفحصه ومعرفة نواياه للوجود والعمل فى أثيوبيا .

كان فى العمل تحديات كثيرة ، ولكن الرب أرسل له تعزيات كثيرة من زميل بلغارى مسيحى، شمله هو وعائلته بكل حب ورعاية .

وأخذوه إلى حاكم أسمرة ، وهو الرأس أسرات كاسا للمقابلة . وما أن علم أنه قادم من قبل الكنيسة القبطية ، وبترتيب مع وزير الصحة السابق ، حتى رحب به جداً ، وتمنى له عملاً وخدمة موفقة . وشرح له وجوب الإحتراس من حساسيات فى المنطقة . وعبر عن ارتياحه بتأكيد الطبيب أن هدفه من الخدمة هو إنسانى وروحى . ورتب له مقابلة مع مطران أسمرة "أبونا ميخائيل" لكى يسلم لنياقته خطابات من الآباء الأساقفة فى مصر ...

والأثيوبيون يستعملون كلمة أبا ، وأباتى لنداء الأب الكاهن ، وينطقونها Abbati ويستعملون كلمة أبونا لنداء الأب الأسقف أو المطران أو البطريرك باعتباره أب الجميع .

ومنطقة أسمرة أو أرتريا تتكلم لغة القبيلة وإسمها تجرينيا وهى تقترب كثيراً من اللغة العربية ، وتختلف كثيراً عن اللغة الأمهرية واللغة السامية هى أصل هذه اللغات وأصل العبرية أيضاً ، وجدير بالذكر أن أثيوبيا فيها حوالى ٣٦ لغة مختلفة ، بمعنى أن هذا هو عدد القبائل فيها ، ولكن هناك لغة قديمة إسمها جى أيز ، وهى التى تستعمل فى الصلاة أثناء القداس الإلهى ، وتعتبر لغة كنسية للصلاة، مثل استعمالنا للغة القبطية ، وهناك بعض الرهبان يتكلمونها فى بعض الأديرة ، كما أن بعض عائلات الأقباط والآباء الرهبان يتكلمون اللغة القبطية بطلاقة .

كان الإسرائيليون يسألونه أسئلة كثيرة فيها جوانب سياسية ، ولكنه كان يبدو كمن لا يعرف ، وكان يتحاشى الإختلاط معهم، إلا فى أوقات العمل الرسمية ، وإن كانت علاقته معهم علاقة سلام وإحترام .

القديس مارمرقس أبونا والأسكندرية أمنا :

كان اللقاء مع "أبونا ميخائيل" مطران أسمرة مشجعاً جداً ومعزياً، لأنه لاقى الطبيب بترحاب وبأبوة جميلة أثرت فى قلبه ، إذ بادره المطران بقوله "أنت ابنى ميعوث أخوتى وأحبائى أساقفة الكنيسة القبطية الأم، واستطرد قائلاً إن الأثيوبيين كلهم يؤمنون ويرددون عن إيمان وعقيدة أن "الأسكندرية أمنا"، والقديس مارمرقس أبونا" ، وفى حديث طويل، أحس الطبيب أنه وجد أباه وروحين من الأثيوبيين، يمكن أن يحبهم ويأخذ منهم إرشاداً .

ودعاه المطران إلى مائدة الغذاء يوم الأحد بعد الصلاة فى كنيسة كندست مارينم . وهم يستعملون كلمة كدوس عن القديس ، وكدست عن القديسة .

لن أكلا هذا الطعام مرة أخرى ، ولن أستطيع تعلم هذه اللغة الصعبة :

كانت خبرة الطبيب فى التعامل مع الطعام الأثيوبى لأول مرة مؤلمة وصعبة . لأنه كثير التوابل جداً ، وحراق بشدة .. فبعد صلاة القداس توجه الطبيب مع الأب المطران

إلى سكنه . وهناك كانت مائدة معدة ، مغطاة بملاءة كبيرة ، وبعد أن صلى الأب المطران، رفع الخادم الملاءة . وما أن وصلت رائحة الطعام إلى أنف الطبيب ، حتى أحس بسريان الأنف وجريان الدموع، بطريقة يصعب التحكم فيها. وشجعوه أن يأكل. ومأن ذاق أول لقمة، حتى أحس أن حلقه أيضاً قد اشترك في الإلتهاب والتهيج. وشجعوه على الأكل، وأكل فعلاً . ولكنه أحس بعد لحظات أن هذا الغذاء هو معركة كان يود أن تنتهي بأسرع ما يمكن. ولم يطفئ هذه النيران جزئياً إلا مشروبات مثل الكوكاكولا وأكل الخبز الجاف والسلطة الخضراء .

وودعه الأب المطران متمنياً له كل نجاح ، وباركه ودعاه أن يلجأ إليه في أية مشاكل أو متاعب . ورحب به لكي يخدم في فصول الشباب وإعداد الخدام، في جماعة روحية تخدم في كنيسة العذراء بأسمرة ، إسمها فينوتي برهان ومعناها نور الإيمان .

وخرج الطبيب إلى الشارع ، متوجهاً إلى الينسيون الذي يسكن فيه ، ولا تزال نيران الشطة الشديدة تعمل في حلقه ومعدته ، ولسانه يقول "ان أكل هذا الطعام مرة أخرى" هو لذيذ حقاً ، ولكنه مؤذ .

وبدأ يحاول أن يقرأ يفط الذكاكين في الشارع . ولكنه وجد أن اللغة أكثر تعقيداً وصعوبة مما تصور أولاً ، وبدأ يقول في نفسه : "إن الحياة ههنا صعبة من كل ناحية" . وكما قال عن الطعام، قال أيضاً عن حروف اللغة الأثيوبية "الظاهر أنني لن استطيع تعلم هذه اللغة. ولكنه لم ييأس ، وعاد إلى نفسه وقال: هل هي محاولة واحدة؟ ولماذا لا أجرب مرة أخرى وأخرى، ربما تتعود على الصعب أيضاً . لأن الرب هو الذي يعين ...

"أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويني" .

طلب الطبيب من أحد موظفي المستشفى الذي تصادق معه ، أن يساعده في تعلم قراءة الحروف ، ويفك له رموزها. لأن اللغة الأثيوبية تتكون من ٣٦ حرفاً . وكل حرف له سبع تشكيلات، والتشكيل مرتبط بالحرف. وشكله بذلك يختلف عن الحرف الأصلي. لذلك تبدو الحروف متغيرة ومعقدة . وعددها يصل إلى ٢٥٢ حرفاً .

وبدأ يتعلم القراءة بسهولة . وفي أيام قليلة استطاع أن يقرأ، ولكنه لم يفهم ما يقرأ . وساعدته فكرة لطيفة، وهي أن يقرأ لغتين معاً. وكان أفضل كتاب يقرأه هو الإنجيل. فكان يقرأ آية بالإنجليزية والتجرينية . وأخذ يتعلم مفردات ومعاني . وأصبحت حصيلته في

اللغة تزداد ، وبدأ يتفاهم مع المرضى والعمال بها فى المستشفى ..

وبعد مرور ثلاثة شهور ، كان قد أصبح فى إمكانه أن يعمل فى العيادة الخارجية وحده دون مترجم . وكان الناس يتعجبون من صحة نطقه ، ويتساءلون إن كان قد تعلم اللغة قبل أن يأتى إلى أثيوبيا ، قائلين له : هل أتيت باللغة فى جيبك ؟

وكانت خدمته وسط الشباب ومدارس الأحد تتم أسبوعاً بعد آخر . وكانوا يدعونه للتعليم ودرس الكتاب فى إجتماعات كثيرة فى المدينة الصغيرة أسمرة ، وبدأت الناس تتكلم عن الطبيب الذى يعمل فى الطب والكنيسة معاً . وكانت تعليقاتهم لا تخلو من استغراب ، لأنهم لم يمكنهم أن يستوعبوا أن شخصاً يمكنه أن يعمل عملين مختلفين : الطب والوعظ والتعليم .

وانتشرت الأنباء فى كل الأوساط فى أسمرة ، وبدأت تساؤلات كثيرة عن النشاط الروحى الذى يقوم به الطبيب ، وهل يمكن أن يستمر ...

لا يمكن أن تتناول من جسد الرب ودمه :

لم يمنعه أبونا ميخائيل من التناول من جسد الرب ودمه ، ولكن هذا الطبيب حينما ذهب للصلاة والتناول فى كنيسة أخرى ، منع من التناول ، وأخرجوه من طابور المتناولين ، وتعجب جداً وحزن ، ولكنهم قالوا له : لأنك فى سن الشباب، من الخطيئة ...

والأثيوبيون لا يسمحون بالتناول إلا للأطفال والشيوخ .. ويمنعون الباقين الرجال والنساء ، وهذا بسبب تشددهم فى أن التناول نور ونار، كما يقول البعض فى مصر ، ولخوفهم من التناول بعدم استحقاق مما يؤدى إلى دينونة . فاصبحوا يمنعون بسبب احتمال الخطية. وهكذا حرموا كثيراً من الشباب والرجال والنساء من محاولة الجهاد بالإستعداد والإعتراف. وبالتالى حرمت الملايين من الثبات فى الرب ، بسبب بعدهم عن التناول " من يأكل جسدى ويشرب دمى، يثبت فىّ وأنا فيه " (يو٥: ٥٦) .

وناقش الطبيب هذا الأمر مع أبونا ميخائيل ، وأحسّ أنه يفضل عدم النزول بجسد الرب ودمه إلى مستوى الشعب القابل للخطية ، وذلك بسبب الحرص على هذا السر ، والخوف من عواقب الإستهانة به .

ولكن الطبيب أصرّ على وجوب تعليم الشعب الإعتراف والإستعداد "ولكن ليمتحن

الإنسان نفسه. وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب دون استحقاق ، يأكل ويشرب دينونة لنفسه، غير مميز جسد الرب.." (١كو١١: ٢٨، ٢٩) .

وأعطاء الأب المطران خطابين : أحدهما أمر إلى الآباء الكهنة ألا يمنعوه من التناول، والثانى كتبه فى نهاية مدة عمل الطبيب فى أسمرة ، بعد ستة شهور من وصوله، موجهاً إلى الآباء الأساقفة فى مصر ، يشكرهم على إرسال الطبيب وعلى خدمته فى أثيوبيا فى مجال الطب والتعليم الكنسى .

" أفأستعطف الآن الناس أم الله؟ أم أطلب أن أرضى الناس؟! فلو كنت بعد أرضى الناس، لم أكن عبداً للمسيح" (غل١: ١٠) .

الحياة فى أسمرة كانت سهلة ، وكان الجو جميلاً جداً ، والعمل فى المستشفى مريحاً ، لأنه مستشفى على مستوى عالٍ من التجهيز والإدارة . وكان الكثيرون يتمنون للطبيب أن يستمر فى أسمرة ، لأجل راحته . ولكنهم كانوا يحذرونه بأن قيامه بالخدمة الروحية، سيجعل المسئولين يفكرون فى نقله إلى بلاد بعيدة ، لأنهم لا يقبلون أن يعمل طبيب فى العمل الروحى ...

كان المسئولون يعرفون عن خدمته ، وعن غرض وجوده : حاكم أسمرة ، مطران أسمرة. الجميع يرحبون بخدمته، ويحبون تعليمه الروحى .. ومع ذلك وضع الشيطان المخاوف فى نفسه : قيامك بالخدمة الروحية سيضر موقفك ، سيدفعك إلى سوء فهمك .. وكان يسمع هذا كله ، وهو يقول : أنت يارب تعرف ما فى قلبى نحو هذا الشعب ، لأنك فاحص القلوب والكلى . هل أرضى الناس ، أم أرضى الذى أرسلنى وأتمم عمله ؟!

واستمر فى خدمته ، دون أى توقف أو تخفيف ، أو أى اعتبار للمخاوف . فهو يخدم الرب "الرب لى معين فلا أخاف ، ماذا يصنع بى الإنسان " (مز١١٧) .

إلى العمل فى جبل النور :

واستدرجه المسئولون بخصوص عمله الطبى، وهل هو يصر على العمل فى المدينة، حيث الراحة والعمل وسط مستوى عالٍ من الحضارة والعلم ؟ وكانت دائماً إجابته بأنه مستعد أن يخدم أثيوبيا فى أى مكان ، وأن خدمة الفقراء والمساكين هى أقرب إلى قلبه، لأنهم أخوة الرب .

الطبيب وسط موظفى المستشفى فى ملابس الطب البيضاء أمام مستشفى دير برهان

وفوجئ بصدور أمر بنقله إلى مدينة صغيرة إسمها دير برهان ومعناها جبل النور ، بمحافظة شوا ، وأنه سيكون مديراً للمستشفى هناك. وكان ذلك فى ديسمبر سنة ١٩٦٦م، أى بعد مرور ستة شهور من تعينه تحت الاختبار فى أسمرة .

وأحس أنه صغير جداً على هذه المستشفى ، وهل سيقدر أن يدير مستشفى فى أثيوبيا، وهو جديد على العمل هنا .. وخصوصاً أن كل التعليقات التى سمعها عن هذه المدينة، كانت غير مشجعة على الإطلاق بالمقارنة بأسمرة أو أديس أبابا التى عاش فيهما أولاً . ولكنه لجأ إلى الصلاة ، ووضع الله فى قلبه .

"تشدد وتشجع وكن رجلاً " (١مل٢: ٢) (يش١: ٦) .

فى جبل النور :

بدلاً من أن تلعنوا الظلام ، أضيئوا شمعة .

كما كانت الحالة العامة فى المستشفى التى عين عليها تحت الصفر ، هكذا وجد الحالة العامة من جهة الإهتمام بالأطفال والتعليم فى الكنيسة .

نقص خطير فى الأدوية وفى كل المعدات اللازمة لإجراء جراحات أو علاج المرضى. كما وجد نقصاً خطيراً فى الخدام والتعليم فى الكنيسة وفى توجيه الشباب أو أطفال مدارس الأحد .

الكنيسة تصلى القداس مبكراً جداً يوم الأحد ، الجو بارد جداً ، لا يسمح بالدخول إلى الكنيسة، إلا الذى يصلها قبل الساعة السادسة والنصف صباحاً . أكثر من تسعين فى المائة

من الشعب يقف فى حوش الكنيسة ، يسجدون ويقبلون حائط الكنيسة . ثم يقفون للصلاة السرية الفردية . ثم يأتيها الوعاظ لكى يعظوهم مدة القداس وبعده . ولا يسمح بالتناول إلا للأطفال والشيوخ . وكأن حال هذه الكنيسة يقول إن أغلب شعبها من الموعوظين .

الخطية والفساد منتشر فى كل مكان . وله سوق كبير وزبائن . الأطفال والشباب فى الشوارع حفاة الأقدام . وتائهون كغنم لا راعى لها . الفقر والجهل صفات غالبة على المجتمع . وهذه البلدة – كمركز – تخدم حوالى ٢ مليون مواطناً. فى القرى والمناطق الجبلية المحيطة بها .

نقطة فى بحر :

ماذا يستطيع طبيب واحد أن يعمل فى حقل الطب أو التربية الكنسية ، والوضع بهذا السوء ؟! وكانت تمر به فترات يشعر فيها بحزن شديد يجتاح نفسه، حتى كان يبكى بدموع غزيرة ، بسبب الأوضاع التى يراها ، والواقع الذى يعيش فيه ...

وحاربه فكر أنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً وحده ، والمتطلبات كثيرة جداً . وحورب بفكر أن يترك كل شئ ، لأنه لا فائدة من أى جهد كان . والأفضل أن يعود إلى بلده مصر ، أو أن يطلب ويصر أن ينقل إلى المدينة .

ماذا عن رسالته التى أتى لأجلها ؟ أليس هو صانع الخيام (أع١٨: ٣) يعمل ليغطى حاجيات الجسد ، لكى يخدم الرب . هل يستطيع أن يقبل أن تتحول صناعة الخيام فى حياته إلى تجارة، دون أن يخدم؟ وكان يفكر كثيراً وتضغط عليه الأفكار ، وهو فى وحدة صعبة، وليس بجواره مرشد روحى أو أب اعتراف يعطيه ارشاداً ...

وتعلم أن الفكر يؤدى به إلى المرارة والتعب والضيق .

وهرب من الفكر إلى الصلاة . وتعلم كيف يحول الفكر إلى صلاة ، بدلاً من أن يفكر فى أمر لا يجد له حلاً . فالأفضل أن يصلى إلى الله ، لأن فى هذا يجد السلام والراحة والتعزية . وأيضاً لأن الصلاة لها قوتها ، وتفتح باب السماء ، ويستجيب لها الرب .

الفصل الثالث

قيادة الرب

يقودك الرب على الدوام
ويشبع فى الجدوب نفسك
ومنك تبنى الخرب القديمة
(أش٥٨: ١١ - ١٢)

لا أعرف ، لا أفكر ، لا أفهم :

كيف أبدأ ؟ لا أعرف . وماذا استطيع أن أعمل ؟ لا شئ .

هل كانت حكمة فى وجودى وبقائى هنا ؟ لا أفهم .

وكرر هذه الصلاة فى كل وقت ، تاركاً للرب تدبير أمور حياته وخدمته وعمله . وجاهد لكى يجعل المستشفى قادرة على خدمة المرضى ، باستحضار أدوية وأجهزة وبدأ العمل الطبى ينشط تدريجياً . أما العمل الروحى .. ؟!

أنا واقف على الباب وأقرع (رؤ٣: ٢٠).

بعد مرور بضعة أسابيع على عمله هناك ، فوجئ فى إحدى الأمسيات بمجموعة صغيرة من الشباب يطرقون بابه طالبين مقابلته . فاستضافهم فى مسكنه ، وعرفوه بأنهم مسئولون عن جمعية الشبان المسيحية فى البلدة YMCA. وأنهم عرفوا أنه مسيحى من مصر . وأنهم يطلبون منه أن يساعدهم باعطاء بعض الدروس فى الإسعافات الأولية ومبادئ العلاج والوقاية لأعضاء الجمعية .

فسألهم ما هى أهداف جمعيتهم ؟ فقالوا : العقل السليم بالتعليم ، والجسم السليم بالرياضيات ، والنفس السليمة بالروحيات وكلمة الله .

الإسعافات الأولية :

ووافق أن يعطيهم دروساً فى الطب ، أو فى الإسعافات الأولية ، مرتين فى الأسبوع . ثم سألهم كيف يحققون هدف الجمعية فى النفس السليمة ؟ فقالوا : ليس لدينا أحد يعلمنا كلمة الله والإنجيل . فعرض عليهم أن يساعدهم فى هذا الأمر . واشترى للجمعية عشرين كتاباً مقدساً باللغة الأمهرية . وبدأ إجتماعات لدراسة الكتاب المقدس معهم ، جذبت عدداً كبيراً من شباب البلدة فى وقت قصير . وانتظم الإجتماع مرتين فى الأسبوع فى وقت المساء .

وأدرك الطبيب أنه لابد من البدء فى تعلم اللغة الأمهرية . لأن اللغة التجرينية التى تعلمها فى أسمرة ، لا تناسب قبيلة الأمهرة التى تتكلم الأمهرية .

وإذ وجد منهم اشتياقاً وقبولاً ، طلب منهم أن يساعدوه فى تعلم اللغة الأمهرية ،

وتطوع أحدهم لذلك . وبدأ الطبيب يتعلم اللغة الأمهرية التى أتقنها فى ستة أشهر وحاول أن يعلّم بها إلى جوار الإنجليزية .

البدء فى مدارس الأحد :

ولم تمض أسابيع أخرى ، حتى ناقش مع شباب جمعية الشبان المسيحية أهمية التعليم الروحى ، والإنجيل للأطفال المنتشرين بالآلاف فى البلدة . وشجعهم على أن يكونوا هم خدام الأطفال ، بأن يساعدهم فى تحضير درس مدارس الأحد . وعليهم أيضاً أن يجمعوا مع الأطفال أقاربهم وجيرانهم فى قاعة الجمعية (YMCA) ويقوموا بالتدريس .

وكان عدد الحضور فى أول يوم أحد حوالى ٦٠ طفلاً ، فقفزت فى الأحد الذى يليه إلى ٢٥٠. ثم تضاعف العدد إلى ٥٠٠، ١٠٠٠، ١٢٠٠، ١٥٠٠، حتى لم نستطع الإستمرار بسبب ضيق المكان . فكانوا يجمعون الأطفال فى أركان ملعب كرة القدم التابع لجمعية الشبان المسيحيين .

أطفال مدارس الأحد فى بلدة دير برهان بأثيوبيا سنة ١٩٩٧.

" رحمتك تعضدنى . عند كثرة همومى فى داخلى، تعزياتك تلذذ نفسى" (مز ٩٤: ٨) .

وفى وقت قصير ، بدأ الطبيب يشعر بالتعزية فى وجوده فى هذه البلدة . وبدأ النجاح فى العمل وفى الخدمة الروحية .

وأظهر له الرب علامات تشجعه وتدفعه للإستمرار . إذ زاره حاكم المدينة ، وأظهر له تقديراً لما يقوم به نحو شعب المدينة . دعاه لكى يكون عضواً فى لجنة المستشارين فى المدينة التى تساعد الحاكم بالرأى والمشورة .

وفى أول إجتماع لهذه اللجنة تعرّف على مدير التعليم بالمنطقة ، وكان مسيحياً متديناً، وعبّر لأعضاء اللجنة عن تقديره لفصول مدارس الأحد وعرض خدماته . فطلب منه

الطبيب أن يفتح المدارس الإبتدائية يوم الأحد، ويحضر الأطفال ، كل واحد فى فصله يوم الأحد لتلقى دروس مدارس الأحد والإنجيل. ورحب جداً بهذا الطلب ، ووعده بتنفيذه فوراً.

البدء فى فصول إعداد الخدام :

على أن الطبيب "الدكتور ميخائيل" وكان هذا إسمه ، لم يجد خداماً يكفون لتغطية هذا الإتساع الضخم فى فصول مدارس الأحد بالبلدة . ولكن الرب أرسل عونه، بأن تعرف على مجموعتين من الشبان والشابات ينتمون إلى جماعة إسمها : Haimanote Abou ومعناها "إيمان الآباء" . ولها أعضاء فى المدرسة الثانوية بالبلدة ، وكذا بمعهد المعلمين الأبتدائى . ورحبوا به جداً فى المكانين ، وبدأت حركة نشاط واسعة لإعداد خدام ، ودروس الكتاب وسط الشبان والشابات .

وأحبوا جداً الخدمة فى مدارس الأحد ، وأنتظموا بها ، وأدركوا أهميتها فى تعليم الأطفال منذ الصغر . وجاءت وفود من القرى القريبة يطلبون تقديم خدمة مدارس الأحد بها: قرية فى الشمال على بُعد ١٥ كيلومتراً، وقرية أخرى فى الجنوب على بُعد ٢٠ كيلومتراً. وأحب الطبيب جداً هذه الخدمات . وكان ينقل الخدام بسيارته يوم الأحد إلى مناطق الخدمة ، ويعطهم الصور والصلبان والهدايا لتوزيعها .

ويتعرفه على الشباب فى الإجتماعات الروحية ، تكشف مقدار الفقر الذى يعيش فيه بعضهم ممن يطلبون العلم فى المدرسة الثانوية . ووجد أن كثيرين منهم على درجة عالية جداً من الذكاء والجدية فى الدراسة ، ولكن ليس من يعطيهم الحاجات الضرورية .

تبنى طالب أثيوبى :

وتبنى الطبيب طالباً وديعاً ذكياً هادئ الطبع ، وكان أحد أبناء كاهن فقير فى قرية بعيدة عن المدينة . وذلك لكى يعطيه فرصة للدراسة والخدمة . وأسكنه معه، وتبناه حين كان عمره ١٤ سنة .

وأكمل الطالب دراسته الثانوية بنجاح سنة ١٩٧٠م. وأرسله إلى مصر . والتحق بالكلية الإكليريكية بدير الأنبا رويس. وحصل على بكالوريوس العلوم اللاهوتية سنة ١٩٧٥، وعاد للخدمة فى أثيوبيا ، ثم حصل على بعثة لدراسة الماجستير فى التعليم المسيحى فى ألمانيا، وحصل عليها سنة ١٩٨٣. وهو يخدم الآن فى أثيوبيا فى هيئة الإغاثة ورعاية المعوقين.

الإبن الأثيوبى المتبنى مع القمص ميخائيل وعائلته أمام الكنيسة المرقسية بالبطريركية القديمة سنة ١٩٧١

وتبنى الطبيب شباناً آخرين أيضاً ، ولكنهم لم يكملوا دراستهم الجامعية :

تأسيس جمعية خيرية وبيت للطلبة الفقراء :

وتكاثر عدد الطلبة الذين يطلبون المعونة والتبنى . وأحسّ الطبيب بقدرتهم على التعلم ومقدار ذكائهم وروحانيتهم . فتبنى إثنين آخرين من الطلبة . وزادت الطلبات أكثر ، فشعر بضرورة عمل شئ لأجل حوالى عشرين طالباً وحوالى عشرين طالبة يطلبون المعونة لكى يستطيعوا أن يكملوا تعليمهم .

وقام بدعوة حاكم المديرية، وكل المديرين والمسئولين أيضاً ، إلى حفل شاى فى مسكنه، قدم لهم فيها وصفاً تفصيلياً لحالة الطلبة واحتياجاتهم . ثم شرح لهم كيف قدم الأقباط فى مصر خدمات كثيرة للشعب ، بتأسيس جمعيات خيرية يساهم فيها الأعضاء بالاشتراك شهرى بسيط . وبتجميع هذه الإشتراكات انشئت كثير من الملاجئ والمستشفيات مثل المستشفى القبطى ومستشفى التوفيق وغيرهما. كما قامت جمعيات بإعالة وتربية آلاف من الأيتام فى ملاجئ ، أخرجت منهم مواطنين صالحين وأبناء مخلصين للكنيسة .

واقتنع الحاضرون وشكلوا الجمعية الخيرية، واشتركوا فيها باشتراكات شهرية. وتم تأجير منزل وتأثيثه . وأختير للإقامة فيه ٢٢ طالباً من أوائل فصولهم الذين يحتاجون إلى الوقت الضرورى وإلى الإحتياجات الأساسية لدراستهم .

واستمر عمل بيت الطلبة لمدة ثلاث سنوات ، حتى نقل الطبيب من دير برهان ، وتسلمه بعد ذلك مسؤلون لم يهتموا به بالقدر الذى يضمن استمراره ، فتمت تصفيته .

ترجمة مناهج مدارس الأحد إلى اللغة الأمهرية :

حيث استمر عمل إعداد الخدام وإعداد دروس مدارس الأحد ، ظهرت الحاجة إلى طبع كتب لمناهج مدارس الأحد باللغة الأمهرية ، لتساعد الخدام فى تحضير الدروس ، فكان الطبيب يقضى ساعات طويلة مع أبنائه الشباب الأثيوبى ليترجموا مناهج مدارس الأحد ، فترجموا ستة كتب قدمت إلى قداسة البطريرك ، الذى صرح بأنه ليست لدى البطريركية ميزانية لطبع هذه الكتب ، فاشترى الطبيب كل ما يلزم لطبعها من أوراق وأحبار ، وطبعت بمطبعة الكنيسة بعد أن وضع الأنبا ثاوفيلس مقدمة لها ، وتم توزيعها بمعرفتهم ، واستعملت فى إجتماعات مدارس الأحد ، ولا تزال موجودة يستخدمها خدام مدارس الأحد فى فروع أديس أبابا وغيرها .

وكان الطبيب ينزل إلى أديس أبابا مرة كل شهر أو كل بضعة أسابيع ، لكى يصلى القداس مع الأقباط الذين يعملون هناك ، وذلك عن طريق دعوة أبا بطرس وهو كاهن أرتيرى يعرف قراءة اللغة العربية ، يقودهم فى صلاة القداس ، ويناولهم الأسرار المقدسة وقد رسم أبا بطرس أسقفاً باسم الأنبا مكاريوس الأريريترى عام ٩١ فى عيد العنصرة .

ظهورات العذراء فى الزيتون عام ١٩٦٨ كانت بركة لكثيرين فى أثيوبيا :

تعود الطبيب أن يطلب أجازته السنوية فى شهر أبريل قبل عيد القيامة كل عام لكى تكون له فرصة قضاء أسبوع الآلام فى الدير كما تعود قبل سفره إلى أثيوبيا .

وكان مقرراً عام ٦٨ أن يحضر إلى مصر ٥ أبريل ، وما أن وصل إلى مطار القاهرة حتى وجد فى شرفة المطار مجموعة من المستقبلين وكان هتافهم فى المطار العذراء ظهرت فى الزيتون وجئت فى الوقت المناسب ، وشكر الله أن يحضر إلى مصر فى وقت تحدث فيه مثل هذه الإعلانات السمائية النادرة ، وصلى : أعطنى يارب بركة أن اراها لكى تسبحك نفسى ويمجدك قلبى .

وسهر ليلة بأكملها فى انتظار ظهور السيدة العذراء بجانب كنيسة العذراء بالزيتون. وفى الساعة الثالثة والنصف صباحاً وسط هتاف الآلاف رأى بعينيه السيدة العذراء نورانية حقيقية لا يتطرق إليها الشك . ودخلت هذه الظاهرة السمائية إلى أعماق نفسه وتكرر أن رآها مرتين آخريين قبل سفره .

وما أن وصل إلى أثيوبيا بعد إنتهاء أجازته حتى كانت الأنباء قد سبقته إلى هناك، وسأله المئات بل الآلاف من الأثيوبيين عن حقيقة هذا الظهور - وكانوا يسألون فى شغف بسبب المحبة العميقة التى يكنها الأثيوبيون للعذراء مريم . وجاوب الجميع فى شهادة حقة عما رأى بعينيه وما شعر فى قلبه حتى أنه القى عن هذا الظهور محاضرات فى مجموعات من الشباب وإعداد الخدام وكان الجميع يستقبلون هذه الشهادة بفرح غامر- والكنيسة الأثيوبية تضيف إلى صلاة "السلام لك أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء كل حين ، أيتها العذراء بفكرك والعذراء بجسدك والعذراء بقلبك " .

الفصل الرابع

التجربة

محرمون بإيمان .. مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة (ابط ٥،٦)

التجربة والمنفذ :

وبعد مرور حوالى ثلاث سنوات على خدمة فيها جهاد وعمل وتعب كللها الرب بثمار مفرحة معزية فى بلدة دبير برهان ، بأثيوبيا . كان على الطبيب أن يجوز تجربة قاسية عرضته لأخطار ، ولكن يد الرب امتدت لكى تنقذه وتخرجه منها وهو أكثر خبرة ودراية بحساسيات الخدمة فى القارة الأفريقية .

ألم يقل الرسول بولس بالروح القدس :

"لم تصبكم تجربة إلا بشرية ، ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو ١٠: ١٣) .

أما التجربة فكانت هكذا :

المدرسة الثانوية الوحيدة فى البلدة كان يتعلم فيها أكثر من ١٥٠٠ طالب وطالبة، وهى مدرسة مشتركة وكانت تخدم أيضاً المناطق البعيدة الجبلية المحيطة بالمنطقة . وكان فى نهاية عام ١٩٦٩م أن لاحظ الطبيب توافد عدد كبير من الطلبة فى كل يوم على عيادة المستشفى الخارجية وهم صغار السن من ١٥- ١٨ سنة مثلاً، وهم يطلبون العلاج من أمراض ناتجة عن الخطية والعلاقات الجنسية المنحرفة .

أحس بإشفاق شديد عليهم أن يسقطوا فى هذه الخطايا والأمراض وكل مضاعفاتها - وحاول أن ينصح ويعلم كل طالب يدخل إليه ولكنه لم يكن الأمر ممكناً عملياً لأن عددهم كان يصل من عشرة إلى ١٥ طالب كل يوم. وأحس أنه وباء قد تفشى بسبب عدم المعرفة والتعليم فى المدرسة أو الكنيسة ، ولابد من علاجه بطريقة جذرية .

وأراد أن يشرك ناظر المدرسة وهو صديق فى علاج الموقف وكان الناظر متفاهماً جداً، وسارع إلى تبادل الرأى مع الطبيب وأدركا سوياً خطورة الموقف : هناك إنحراف شديد فى فهم الجنس بين الطلبة كما أن فرص الخطية متاحة بسبب وجود منحرفات كثيرات فى البلدة يتاجرن بهذه الصناعة . ورأى الناظر أن يناقش الأمر فى مجلس إدارة المدرسة ورحب الطبيب بذلك لأنه يحتاج إلى وقت لكى يضع الأمر فى يد الرب فى الصلاة وأيضاً يفكر فى الأمر بعمق ، لأنه يشتاق حقاً أنقاذ شباب أثيوبيا المساعد من مضاعفات هذه الأمراض وأخطارها عليهم جسدياً وروحياً ونفسياً وهم مستقبل أثيوبيا .

واقترح الناظر أن يقوم الطبيب بإلقاء محاضرة على طلبة المدرسة باللغة الانجليزية يشرح فيها هذه الأمراض وكيفية الإصابة بها وطرق الوقاية منها وخطورتها عليهم وعلى مستقبلهم . عموماً المطلوب محاضرة شاملة فيها توعية وتثقيف طبياً واجتماعياً وروحياً .

احفظ نفسك طاهراً لأن أجرة الخطية موت (١تي٥: ٢٢، رو٦: ٢٣) .

هذا كان عنوان المحاضرة التي قام بتحضيرها وراعى أن تكون بسيطة وسهلة، ولكن فيها ما يفيد الطلبة. وتم إلقاء المحاضرة يوم الجمعة بكراً في أول حصة بينما كان الطلبة كلهم واقفين في فناء المدرسة وهيئة التدريس والناظر موجودون، وعقب الناظر بكلمة تقدير وشكر وأكد أنه هو نفسه تعلم أشياء كثيرة من هذه المحاضرة وانصرف كل إلى دراسته وعمله .

الزوبعة :

ولكن الأمر لم ينته بالنسبة للطبيب لأنه لم تمض سوى ساعات قليلة حتى انتشر خبر المحاضرة وما تضمنته من مبادئ ومفاهيم مما أثار هياج وغضب هؤلاء اللواتي يعتبرن مثل هذا التعليم تهديداً لصناعتهن . وتوالت الأنباء من موظفي المستشفى ثم من ضابط البوليس بأن سوق البلدة والشارع الرئيسي كله متوتراً وأن صاحبات هذه الصناعة سوف ينتقمن من الطبيب أشد إنتقام ، وأنهن يئوين تقطيعه بألسنتهن وأيس بآلات أخرى، ومع شيطان الظهيرة في نفس اليوم الجمعة تأكد الطبيب حقاً أن حياته في خطر . ولم يستطع وهو مشغول الفكر أن يستمر في عمله في فحص المرضى ، فاعتكف في مسكنه ولجأ إلى الصلاة والصوم لكي ينجيه الرب من انتقامهن .

وفي المساء حضر إليه عدد كبير من أصدقائه المخلصين من الأثيوبيين والأجانب العاملين بالبلدة لكي يشجعوه، ويؤكدوا له وقوفهم بجانبه وألا يتركوه يبيت وحده تلك الليلة.

وباكراً جداً فجر السبت والظلام باق أخذ سيارته وترك البلدة مسافراً إلى أديس أبابا لقضاء نهاية الأسبوع ولكي يقدم تقريراً لوزارة الصحة عن الموقف .

أمام لجنة التحقيق :

ويوم الاثنين ما أن وصل إلى وزارة الصحة حتى علم أن الوزارة على علم بكل شئ من مصدر ما وأنهم يرون أن الموقف ليس في صالحه على الإطلاق لأنه تعدى حدود

أختصاصاته ، وأن هناك لجنة تحقيق من وكيل الوزارة ومساعد الوزير وثلاثة أطباء هم رؤساء إدارات بالوزارة سيحققون معه وسيستجوبونه، وبينما هو ينتظر استدعاءه أخرج من جيبه إنجيله الصغير وطلب إرشاداً من الرب ، وفتح إنجيل مرقس ليجد هذه الآيات الجميلة القوية المعزية :

" فمتى سلموكم ليسلمونكم فلا تهتموا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس " (مر١٣: ١١) .

وأمام اللجنة واجه إتهاماً بأنه قام بعمل خارج عن حدود اختصاصه في إدارة المستشفى وقد أدى إلى إثارة شعب في البلدة قد تكون له عواقب وخيمة على أمنه شخصياً وعلى العمل في المستشفى .

درهم وقاية خير من قنطار علاج :

بدأ الطبيب دفاعه بهذا المثل الشائع في مصر وأكد للتحقيق أنه حسب القسم الذي يقسمه الطبيب عند التخرج وهو يرى أن ما قام به هو من صميم الطب الوقائي الذي يعمل على تجنيب المرضى بالتعليم أو التحصين أو الإجراءات التي توقف إنتشار المرض ، وأن ما يصرف على الوقاية أقل بقليل جداً مما يصرف على العلاج بما فيه من معاناة وآلام ، وأكد لهم أنه مسئول عن صحة الناس وقانياً وعلاجياً - ولاحظ أن اللجنة لم تكن تتوقع هذا الرد - فرحب الثلاثة أطباء بإجابته وفرحوا بها فرحاً لم يستطيعوا أن يخفوه ودافعوا عن الطبيب وأعلنوا تقديرهم لمجهوده وإخلاصه وقدموا مساعدتهم لأنقاذه من هذه الورطة وعملوا على أن يشجعه المسئولون على خدمة أثيوبيا أكثر .

وقرروا نقله مؤقتاً إلى مستشفى الجامعة في أديس أبابا لمدة ٣ شهور ، حتى يهدأ الجو في البلدة "جبل النور" وكان عزيزاً جداً عليه أن يترك خدمته في إعداد الخدام وفصول مدارس الأحد المنتشرة في المدينة وما حولها وكذا ملجأ الطلبة وأيضاً أولاده الذين تناهم ويعيشون معه هناك .

ورتب نظاماً لكي يخدم هؤلاء كلهم عن بُعد ، ويحاول بكل الطرق أن يرسل لهم المعونة المادية والمعنوية في حينها لئلا يفشلوا ، وكان ينتابه خوف على مستقبل هذه الخدمات في عدم وجوده . وتعلم دروساً روحية وهي :

١ – أنه ليس إنساناً ما أو خادم ما لا يمكن الإستغناء عنه : لأن الله قادر أن يكمل خدمته بآلات أخرى وهؤلاء الخدام الذين يظلون أن الخدمة تتعلق بهم فقط دون غيرهم وإن تركوها ماتت ، هم واهمون لأنه ليس هناك أى شخص Indespensible أى لا يمكن الإستغناء عنه ، لأن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لأبراهيم .

٢ – ضرورة إعداد الخط الثانى فى أى خدمة وأنه على القادة أو المؤسسين أن ينظروا إلى مستقبل الخدمة دون أية أنانية أو ذاتية ويكونون على إستعداد لتسليم القيادة والمسئولية لمن يتبعهم من القادة فى تنازل حقيقى .

" هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشئ إلا بالصلاة والصوم " (مر ٩: ٢٩) .

وكانت فترة العمل الطبى فى أديس أبابا أول خبرة له بالحياة فى المدينة الكبيرة أديس أبابا ومستشفياتها وكم واجه من تحديات العالم وحروبه ، وكان الصوم الكبير على الأبواب وقرر أنه لابد أن يصوم الصوم كله إنقطاعياً حتى بعد الظهر ، وأن يقرنه بصلاة دائمة ، لأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات (اف٦: ١٢) .

وبدأ الصوم ، ولكنه أحس بضعف شديد غير عادى ودوران فى الرأس وصداع وزكب مخلمة ، وتحامل على نفسه حتى المساء ، وما أن فطر حتى أحس برغبة نحو كوب مركز من الشاى ، وما أن شربه حتى زالت كل أعراض الضعف والتعب ، وتكرر هذا الأمر على مدى أيام الصوم الأولى ، بل زادت الأعراض بالصوم المستمر واكتشف إنه عبد لكيف الشاى والقهوة ، وأنه بدون تعاطيهما كل يوم كعادته القديمة من أيام الدراسة لن يستطيع أن يكمل صومه الإنقطاعى ، وأيقن أنه مدمن للشاى والقهوة وكان عليه أن يختار الصوم أم الكيف للشاى والقهوة . واختار الصوم لما له من بركات روحية وقوة تعين على طاعة الوصية والتلمذة للإنجيل .

الحرب مع الكيف والمكيفات :

ليس سهلاً أن يتخلص الجسم من تأثيرات الكيماويات التى تحويها المكيفات من مواد فعالة تؤثر على الجهاز العصبى للإنسان مثل الكافيين فى القهوة والشاى والكوكاكولا والنيكوتين فى السجائر وغيرها الأقوى تأثيراً فى الكوكايين والأفيون والحشيش وغيرها .

كل هذه الكيماويات إذ تدخل الجسم بانتظام تجعل الجهاز العصبي مشروطاً بها لا يعمل طبيعياً إلى إذا حصل عليها، ويطالب بها بإلحاح، وإذا لم تُعط له يطلبها بإلحاح عن طريق احساس بأعراض كثيرة تشبه المرض وتؤدي إلى زيادة في التعاطي ويسمى الإدمان .

وكان على الطبيب أن يواجه صعاب الام انسحاب وفطام الجسم من هذه الكيماويات ، وقضى أسبوعين يعاني من نقص الشاي والقهوة ولكن كل يوم كان يصير فيه على الآلام والأعراض ، تزول تدريجياً حتى تحرر من تأثيرها ، وأصبح نشيطاً بدونها ، وتحسن نومه واستيقاظه ، وفرح جداً بهذه الحرية . الآن يمكن له أن يصوم كيفما يشاء دون أية معوقات، وفرح جداً بكلمات النبي أشعياء عن الصوم في الإصحاح ٥٨ "أليس هذا صوماً اختاره حل قيود البشر، فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير" (أش٥٨: ٦) . حقاً كم أدت العبودية إلى كيف أو عادة مثل التدخين إلى حرمان كثيرين من الصوم أو التناول من الأسرار المقدسة .

شكوى مكتوبة :

وعلم في العاصمة أن المنحرفات في بلدة دير برهان ومؤيديهن قد كتبوا شكوى ضده قام بتوقيعها أكثر من خمسين شخصاً وأرسلوها إلى الإمبراطور ووزارات الداخلية والخارجية والصحة والتعليم والسفارة المصرية في أثيوبيا، يشكون الطبيب باتهامات كاذبة

وما أن علم أحباؤه ومرضاه ومخدوموه في البلدة بهذه الشكوى حتى كتبوا دفاعاً مطولاً وقعه أكثر من ٥٠٠ شخص وأرسلوه إلى نفس الجهات التي تلقت شكوى الإتهام .

العودة إلى جبل النور مرة أخرى :

وتمت أيام عطله المؤقت في أديس أبابا وعاد إلى البلدة ورحب به أصدقاؤه ومحبوه ومخدوموه ، ولكنه وجد شعوراً عدوانياً وسط رجال الشارع وطلبة المدرسة وبعض موظفي المستشفى . وحاول جاهداً على مدى ٣ شهور أن يصادق المعاندين ، لم ينجح .

وكان أن مرض بانفلونزا حادة شديدة وصار طريح الفراش بحمى شديدة ، ولم يتقدم أحد موظفي المستشفى للسؤال عنه أو خدمته ، وما أن شعر بتحسن أمكنه من قيادة سيارته إلى العاصمة حتى ذهب إلى الوزارة وقدم طلباً طلب فيه أن ينقل إلى مكان آخر أو يعطى سماحاً بقبول استقالته للعودة إلى أرض الوطن .

النقل إلى العمل فى مستشفى الجامعة فى أديس ابابا :

واستجابت الوزراة ونقل إلى مستشفى PRINCESS TSAHAI وأصبح يعمل فى قسم الجراحة كمساعد لرئيس قسم الجراحة وعميد كلية الطب بجامعة هيلاسلاسى الأول .

حفلة وداع من أصدقائه :

وتأثر كثير من أصدقائه ومحبيه الأجانب من جنسيات كثيرة كانوا يعملون فى البلدة ، وكان أغلبهم قد حضروا كمحولة لأثيوبيا من بلادهم الأوربية أو الأمريكية أو الكندية والأسترالية وكثير من الهنود الذين يعملون فى التدريس، ودعوه لحفلة وداع فى نهاية الأسبوع لتشترك فيها الجميع فى تأثر عبر عنه البعض بالكلمات والبعض بالدموع والآخرون بالهدايا .

فتاة تقدم لوحة تعبر عن مشاعر عميقة :

وكان يعمل فى البلدة مدرس لغة إنجليزية كندى الجنسية وله زوجة إنجليزية وهى رسامة على مستوى عالٍ من الإتقان والإلهام قد انفعلت جداً بتصرف أهل البلدة نحو من خدمهم سنوات فى إخلاص وحب وصفت هذا بعجز عرفان بالجميل ورسمت صورة من واقع الحياة فكانت على مدى أسابيع تستدعى بضع الشحاذين والفقراء وتعطيهم نقوداً لكى ترسمهم من الواقع كنماذج حية .

وأثناء حفلة الوداع وقفت هذه المرأة الفاضلة وفى تأثر واضح بالموقف قدمت اللوحة إلى الطبيب وهى تقول هذه لم أرسمها فقط بألوان والفرش والأقلام ، ولكن بمشاعرى ودموعى عن حبائك فى وسطنا ، وهى هدية لك كتعبير عن محبتنا وتقديرنا لخدمتك وسطنا لهذا الشعب ، ولكنى أطلب منك وعداً أن تكون معك هذه اللوحة فى كل مكان تعيش فيه ولا تفرط فيها وإن أردت يوماً أن تتخلص منها فهى لى وليست لأحد لأننى أعتز بها جداً .

وأعطاها الطبيب الوعد الذى طلبته ، وما أن نظر إلى اللوحة حتى وجد الرب يسوع المسيح واقفاً فى الوسط ، وعلى رأسه إكليل الشوك وآثار المسامير على يديه ورجليه ولم يفهم باقى التعبير فى هذه اللوحة . وأمام الجميع طلب منها توضيح معناها .

تصورت أن الرب يسوع بعد أن قام بمعجزات شفاء وأقام الموتى وأظهر كل حب

وعطف على شعوب كخراف لا راعٍ لها ، فلم عليه الأشرار وشهدوا عليه زوراً وصلب وقبر وقام، وتصورت أنه ظهر في وسط الناس الذين كانوا يرونه كثيراً وكل منهم يعبر عن مشاعره أو تساؤلاته نحوه .

رجل يجلس على الأرض على اليمين وهو مجزوم ، وقد أدى المرض إلى قطع أصابعه وهو يشير إلى ثقب المسمار في قدميه واليد الأخرى على عينه لكي يمسح دموع التأثر من آلام دق المسامير في قدميه .

إمرأة عجوز تقف على شماله وتكاد تضع يدها على كتفه وهي في لهفة تقول ماذا صنع بك هؤلاء الأشرار؟ وما هذا الإكليل من الشوك فوق رأسك؟ إنك لا تستحق أياً من هذه الآلام ولا الإهانات .

لوحة الرسم التي قدمتها الفنانة الإنجليزية

على يمينه إمرأة تحمل طفلها على ظهرها كعادة الأثيوبيات فى حمل أطفالهن وهى راكعة طالبة منه بركة لطفلها دون أن تلاحظ علامات الصلب والآلام التى جاز فيها وعلى يمينه رجل فارع الطول وهو فقير معدم وبيده عصا طويلة وينظر إليه نظرة فيها تساؤل : هل صنعت بهم شراً حتى صلبوك ؟ أحك لنا حقيقة الأمر ، لابد أنهم اختلفوا معك فى شئ أو أشياء ، هل هم على حق ؟ أم أنهم أسلموك حسداً لأنك قدوس وبار .

وفى خلف المنظر على يمين الصورة واقفتان على البابا إثنتان من النساء المتحرفات إحداهن تعبر عن غضبها لرؤيته مرة أخرى ، وكأنها تقول تآمرنا عليه وقتلناه وظننا أنه قد أنتهى إلى الأبد ولا عودة له . فكيف نراه الآن قائماً حياً؟ والأخرى تضحك على آثار التعذيب التى تظهر عليه وعلى النقاف الفقراء والمعدمين والمخدومين حوله .

وفى شمال الصورة يظهر فى الشباك رجل بدين ينظر فى تعجب ودهشة كيف يراه حياً - وهذا الرجل كان حقاً وراء كل المؤامرة والشكوى والهياج الذى قام ضد الطبيب .

اللوحة عموماً تظهر البيئة الحقيقية التى عاش فيها الطبيب فى بلدة جبل الدور لمدة ثلاث سنوات كاملة .

التعرف عن قرب على أبونا باسيليوس بطريرك جاثليق أثيوبيا :

كان بداية عام ١٩٧٠ مع بداية عمل الطبيب فى العاصمة أديس أبابا . وكان أبونا باسيليوس هو أول بطريرك جاثليق أثيوبى فى تاريخ الكنيسة . وقد رقى إلى الدرجة فى أوائل عهد المتوج البابا كيرلس السادس فى ١٩٥٩/٦/٢٨م، وكان ذلك فى الكاتدرائية المرقسية بالدرب الواسع بالقاهرة ، بحضور الإمبراطور هيلاسلاسى وآخرين من رجال الكنيسة والدولة فى أثيوبيا .

توقيع اتفاقية :

وكان قد تم توقيع إتفاقية بين الكنيستين ، تعطى فيها الكنيسة القبطية الأم درجة بطريرك جاثليق ومعناها بطريرك تابع لكرسى رسولى، أو بطريرك محلى. كما نظمت هذه الإتفاقيات العلاقة بين الكنيستين والمجمع المقدس فى كل منهما ورسامة الأساقفة والمطارنة وأمور أخرى كثيرة تعطى حريات فى الإداريات الكنسية الأثيوبية. ومن المعروف أنه حتى ذلك الوقت كانت الكنيسة الأثيوبية تعرف باسم الكنيسة القبطية الأثيوبية.

ولكن بعد توقيع الإتفاق أصبحت تسمى الكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية Ethiopian Orthodox Church باعتبار أن إسم قبطى تعنى مصرى مشتقة من الإسم الفرعونى القديم Hakaptah الذى اختصر إلى Kiptah ثم قبط أو قبطى وفى اليونانية Aegiptos ومنها Coptic .

مرض أبونا باسيليوس :

وبعد سنوات قليلة من تجليسه ، مرض أبونا باسيليوس وأصبح طريح الفراش ، ولكن روحه كانت عالية جداً . وكان الطبيب بين الحين والأخر يطلب زيارته، للسؤال عن صحته وأخذ بركته . وكانا يتحدثان فى أمور كثيرة من أمور الكنيسة باللغة الأمهرية . وكان يقول الطبيب "أنا سمعت عن خدمتك ، وتعبك فى خدمة الشباب والأطفال وتعليم الإنجيل، أحب أن نتقابل كثيراً مع أبونا ثاوفيلس مطران هرر، وهو القائم بأعمال البطريركية . ووعده الطبيب بذلك .

الطبيب مع أبونا ثاوفيلس قائم مقام البطريركية فى أثيوبيا عام ١٩٧١

أبونا ثاوفيلس قائم مقام بطريرك جاثليق أثيوبيا :

وكانت إقامة الطبيب فى أديس أبابا تعطيه الفرصة أن يزور البطريرك أكثر من مرة

كل أسبوع، للخدمة أو لمقابلات مع المسئولين ومع أبونا ثاوفيلس. وكانت بينهم صداقة ومحبة كبيرة، ووجد الطبيب أن الجو ملائم أن يتحدث عن تغييرات لازمة وهامة فى الكنيسة، لتشجيع الشعب على العبادة والتعليم والتناول. ولم يكن يقدمها كإنتقادات أو إصلاحات أو تعليم، بقدر ما كان يقدمها كقصص وحكايات عن مناقب الشعب، والصعاب التى يجدها فى فهم اللغة القديمة الصلاة لغة الجيز Geeze، ومواعيد القداسات، وكيف تكون فى وقت مقبول مثل الثامنة صباحاً بدلاً من السادسة، حين تغلق أبواب الكنائس على المصلين، ومشكلة خلع الأحذية داخل أسوار الكنيسة مما ينفر الناس من الحضور لسبب السرقات. وكذا اقناع الكهنة والرعاة أن يشجعوا الشعب على انتظام أولادهم فى حضور مدارس الأحد، وأيضاً إجتماعات درس الكتاب المقدس وإجتماعات أعداد الخدام . وتحدث معه كثيراً عن ضرورة تشجيع الشعب على الإستعداد للتناول والإعتراف .

وكان أبونا ثاوفيلس ينصت ويناقش بعض النقاط ويهز رأسه مفكراً أو موافقاً !؟ وكان يدعو الطبيب لزيارته كيفما يشاء حسب وقته ، للحديث والمؤانسة ومناقشة أمور الخدمة وسط الأطفال والشباب .

وإذ تمر الأسابيع والشهور يجتمع المجمع المقدس الأثيوبى ، ويصدر قرارات تنشر فى الجرائد، فيها تجديد وتطوير : مثل أن يترجم القداس ، ويصلى بلغات القبائل الأثيوبية، وأن تقام الصلاة فى مواعيد تناسب الناس، وغيرها، مما يفرح قلب هؤلاء الذين يحبون أن تؤدى الكنيسة رسالتها كاملة ويترجون امتداد ملكوت الله على الأرض .

من أهم توصيات المجمع تشجيع مدارس الأحد ، وتعليم الأطفال والشباب، وإعداد الخدام بدراسة الكتاب المقدس ، وإعطاء الفرصة كاملة لجمعيات الشباب مثل "ايمان الآباء" فى أداء رسالتها .

مع إيمان الآباء :

المقر الرئيسى لهذه الجمعية الأرثوذكسية كان فى البطريركية فى أديس أبابا ، ولها فروع فى كل مكان فى الإمبراطورية . وبدأ الطبيب يعمل معهم ويزور معهم فروع الجمعية فى كنائس أديس أبابا . ويعمل على تأسيس فصول إعداد خدام وفصول مدارس الأحد فى كل كنيسة . فكان لا يطلب الأمر من أن يتقابل مع كاهن كنيسة يشك فى أرثوذكسيته ، لاهتمامه بتعليم الكتاب المقدس، طالما أن هذا الإهتمام هو فى البروتستانتية

فقط . فكان ما أن يزور كنيسة ليعطى درساً لإعداد الخدام ، حتى يجتمع الكهنة ويبدأوا فى إمتحان الطبيب عقائدياً عن القديسة العذراء مريم والصوم والأسرار والمعمودية والكهنوت . ودائماً يكون الحوار باللغة الأمهرية . وإذا يجاوب الطبيب إجابات أرثوذكسية، يرتاحون ويرحبون به، ويسمحون له بالتعليم. ولكن كان يشعر أنهم كانوا يراقبونه خفية، ويتابعون تعليمه سراً، للتحقق من عدم وجود أى إنحراف .

وتلقى كثيراً من الدعوات لزيارة فروع الجمعية فى بلاد المحافظات . فكان يسافر فى نهاية الأسبوع بالطائرة أو السيارة ، لكى يجتمع مع أعضاء الجمعية هناك، لكى يؤسس لهم فصول إعداد الخدام ، ويريهم كيف تبدأ مدارس الأحد ، ويعطيهم الكتب المطبوعة بالأمهرية من مناهج مدارس الأحد .

وتم تأسيس فصول إعداد خدام فى بلاد كثيرة مثل هارار وجوندر وبحر دار (وتعنى بيت النيل أو منابع النيل . وجيما وهذه تقع فى محافظة كافا Kafa وهى أكبر منتج للبن الأثيوبى، ويسميه الأثيوبيون بونا Bounna . ويلاحظ التقارب بين كلمة كوفى Coffee وكافا Kafa . ومدن أخرى فى أثيوبيا أعطاها الإمبراطور هيلاسلاسى أسماء إنجيلية مثل مدينة جبل الزيتون ومدينة الناصرة ، وجبل مرقس ، وجبل سيناء، وجبل البخور .

محاضرات عن العلم والدين فى جامعة هيلاسلاسى الأول :

واشتد نشاط جمعية إيمان الآباء إلى الجامعة أيضاً ، حيث طلب منه أن يعطى محاضرات لطلبة الجامعة فى مدرجاتها . وذلك بسبب انتشار حركات إلحاد وأفكار ضد الدين وسط الطلبة .

وكان يلقى المحاضرات دائماً يوم الجمعة كل أسبوع مساء ، وكان يحضر حوالى ٦٠٠ – ٨٠٠ طالباً . وكانوا يدققون كثيراً ، فكان يرد عليهم من آيات الكتاب المقدس . وكان البعض يحاول إحراجه ، بأن يعلق على كلامه باللغة الأمهرية فيضحك الآخرون. أما هو فكان يرد عليهم بالأمهرية فى حب وسلام وصبر . فكانوا يقتنعون .

واستمرت هذه المحاضرات أسبوعاً لمدة سنوات ، أثارت مشاعر رجال الطوائف الأخرى، الذين كانوا يحاولون أن يحولوا طلبة الجامعة بعيداً عن الأرثوذكسية ، بحجة أن خدام الكنيسة الأثيوبية جهلة وغير قادرين على المواجهة .

ونمت جمعية إيمان الآباء فى الخدمة ، وإن كانت تتعرض لحروب كثيرة من أفكار الألحاد والطوائف الأخرى .

كما رتبت هذه الجمعية إجتماعات روحية ودرس كتاب للخدام فى صالات الإجتماعات الملحقة بالبطريركية وكان يحضرها كل سبت مئات من الخدام والخادمات . وكان الطبيب يشترك معهم بكل طاقاته وحسب إمكانيات وقته .

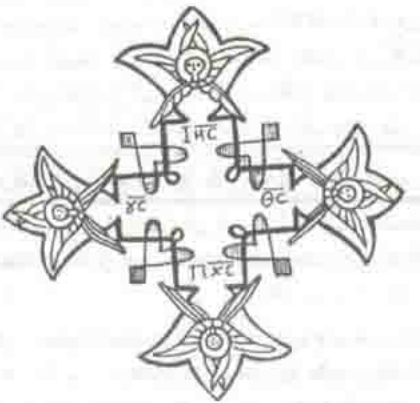

الفصل الخامس

الإمبراطورية الأثيوبية والكنيسة القبطية

الأمبراطور هيلاسلاسي يزور المرضى :

وكان الإمبراطور هيلاسلاسي يعامل شعبه بالأبوة والحب، ويشترك معهم في أفراحهم وأحزانهم وآلامهم . فما من مرة يتقابل موكبه في الطريق مع موكب فرح، حتى يتوقف الموكب وينزل ويهنئ العروسين ، ويعطيهم الهدايا ، ويتصور معهم ، وكذا أيضاً في حالة الحزن. فهو يقف موكبه وينزل من سيارته، لكي يعزي أهل المتقل، وإن كانوا فقراء كما يبدو عليهم، يعطيهم معونة مادية . ودائماً كانت أخبار مثل هذه اللمسات الأبوية تنتشر في العاصمة، ويسمع بها الناس ، دون أن تُنشر في الجرائد أو تذاع في الراديو أو التلفزيون.

وكان يزور المستشفيات فجأة وخصوصاً في ساعة بعد الظهر . وكنت تجده أمامك في أي عنبر من عنابر المستشفى ، دون حرس خاص أو أية ضجة ، بل في هدوء كامل وتواضع عجيب ، وحب نحو المتألمين .

وكم من مرة كان الطبيب يعتني بمريض في سريره ، حتى يجد الإمبراطور بجواره، يسأله عن حالته وتشخيص المرض ، وإمكانية شفائه . وكانت هذه تؤثر في قلوب الناس . وتكررت الزيارات وتكررت اللقاءات بينه وبين الطبيب في الطرقات ، على السلم ، في حجرات المرضى . وبدأ صاحب الجلالة Jan Hoy (وهكذا يسمى في أثيوبيا) يجد في التحدث مع الطبيب باللغة الأمهرية تسلية ، وتعجب لأنه في أكثر من مناسبة قال الذي يسمع لغتك لا يصدق إلا أنك أثيوبي مولود هنا ، وكان يشجعه دائماً .

التعرف على العائلة المالكة :

ولم تمض شهور على بدء عمله في مستشفى الجامعة ، حتى فوجئ بمكالمة من سكرتير الأميرة تاناتي وورك إبنة الإمبراطور الكبرى، وهي تشغل مكان الإمبراطورة مينن التي انتقلت منذ سنوات . وكان السكرتير يطلب أن يزورهم الطبيب في قصرهم . وأعطاه العنوان والميعاد . وبدأ هذا الأمر يشغل فكر الطبيب : ماذا يكون وراء هذا الإستدعاء؟ لأنه لا يعرف بروتوكول التعامل مع العائلات الحاكمة .

وحين ذهب إليهم، وجد ترحيباً كبيراً ، وشعور محبة لم يكن يعلم لأي سبب كل هذا؟ وأظهروا إشتياقات أن تكرر الزيارات في مواعيد قريبة ، وتعجب بالأكثر وطلب من الرب معونة وإرشاداً .

وصرحوا أنهم سمعوا عن الخدمات التى قام بها ويقوم بها فى أثيوبيا ، وأنهم يرون من واجبها حياً حقيقياً من الأقباط المصريين لهم : وهو بالأكثر عبر عن الأرتباط الروحى الذى يربط الشعبين الأثيوبى والمصرى منذ ١٦ قرناً ، وإنتماء الكنيستين إلى إيمان وعقيدة وكهنوت واحد . وأكد لهم أنه حضر لكى يقدم خدمة ، كما قدمت الكنيسة القبطية ، قيادات وأساقفة ومطارنة أقباط على مدى قرون طويلة .

هل ستعطى كل حياتك للخدمة ؟ ألا تفكر فى ذاتك ؟

أحس أنهم فى جلساتهم معه كانوا يجتمعون كلهم إساقفة وشيابهم وشاباتهم (أحفاد وحفيدات الإمبراطور) ويناقشونه فى أمور الدين والكنيسة والرهبنة . ثم جاء يوم سألوه سؤالاً مباشراً : هل أنت مشغول جداً بالطب والخدمة الروحية فقط ؟ ألا تفكر فى تكوين أسرة وتستقر ؟ وعرضوا عليه أن يعيش طول حياته فى أثيوبيا . وإنهم يعتبرونه أثيوبياً، لأنه تلاءم مع البيئة والناس واللغة والكنيسة ، وعرضوا عليه مصاهرة العائلة . وبالتالى أن يصبح أثيوبياً .

وتذكر النذر الذى أخذه على نفسه عام ٦٤، وجاوب فى أدب : إن هذا ليس هو طريقى. بل طريق آخر تقوده يد الرب . وشكر هو جداً على حسن نقتهم ومحبتهم ، وتملى من قلبه ألا يكونوا قد تضايقوا أو أهينوا . وأحس بفرح أنهم استمروا فى دعوته لزيارتهم وكأنه لم يحدث شئ . وكان فرحه أكبر أن الرب استخدم مثل هذه الزيارات لتكون نواة لزيارة قداسة البابا شنوده الثالث إلى أثيوبيا فيما بعد أى فى عام ١٩٧٣م .

زيارة أبونا باسيليوس أول بطريرك جاثليق لأثيوبيا :

فى نهاية ١٩٧٠ تنيح أبونا باسيليوس ، بعد مرض ألزمه الفراش سنوات . حضر من مصر والسودان أحبار الكنيسة القبطية ، الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة فى وفد قبطى لكى يشتركوا فى تشييع جنازته ، ولكى ينقلوا تعزيات ومشاركة الأقباط فى أحزانهم ، وكان تأثر الإمبراطور هيلاسلاسى على إنتقاله عميقاً واضحاً جداً أمام الجميع ، إذ كانت دموعه لا تجف فى كل مكان فى الكنيسة والطريق، ودفن أبونا باسيليوس فى دير ليبانوس، وهو دير مقام على رفات القديس تكلا هيمانوت الأثيوبى .

وكان جميع الشعب يعرفون المواقف القوية الجليلة التى وقفها أبونا باسيليوس فى الدفاع عن الإمبراطور فى أكثر من موقف ، عندما قام بالتمرد عليه بعض من رجاله

المقربين وكيف أن أبونا البطريرك ذكّر الشعب بأن الإمبراطور ملكاً ممسوحاً من الله بالزيت المقدس . وكان قد مسحه المطران القبطي الأنبا متاؤس في أثيوبيا ، عند تجليسه على العرش ملكاً على أثيوبيا باسم هيلاسلاسي ، وقبل تجليسه كان إسمه Ras Tafari تعني الراس تافاري .

أما إسم هيلاسلاسي فهو مركب ، ويعني الثالوث : Sellasie ، قوة : Haile وكلمة Haile أو هيل في العربية تقترب جداً من كلمة جيل = قوة ومعناها واحد يقول "أحد الشيد حيلك" أو "مافيش حيل" ليس في قوة وكلمة هيل تستعمل كثيراً في أسماء الأثيوبيين مثل :

قوة مريم = Haile Mariam ، قوة الصليب = Haile Maskal ، قوة ميخائيل رئيس الملائكة = Haile Mikhail .

الإمبراطور هيلاسلاسي يوقر الكنيسة وآباء الكنيسة جداً :

وكان الإمبراطور يوقر الكنيسة جداً، ما من مرة دخل إلى كنيسة ، حتى يسجد بالكامل إلى الأرض أمام الهيكل ، وكان كثير الصلوات والأصوام والتناول . وكان يوقر رجال الكنيسة وآباءها ، وبالأكثر بابا الأسكندرية خليفة مارمرقس الرسول ، وكان ينحني أمامهم إنحناءة كبيرة، ويقبل أيادهم في توقير وحب . وبالتالي كان الأثيوبيون يحبونه ويخدمونه، ويرون فيه ملكاً مؤمناً مسيحياً ، مختاراً ممسوحاً من الله، وحامي الأرثوذكسية والكنيسة.

تياحة البابا كيرلس السادس حدثت بعد تياحة أبونا باسيليوس بشهور قليلة :

فوجئت الكنيسة كلها بخبر إنتقال قداسة البابا كيرلس السادس في مارس ١٩٧١. وترقع الكل أن يتم اختيار ورسامة بابا جديد للكرازة المرقسية في بحر شهور، وأن يتم بعدها رسامة بطريرك جاثليق جديد لأثيوبيا، ولكن الكنيسة في مصر فوجئت بطلب أثيوبيا أن يرسم لها جاثليق لها في شهر مايو دون إنتظار ، وأن يرسم في أثيوبيا لأول مرة بعد أن كان يرسم في مصر ليأخذ بركة رفات القديس مارمرقس الرسول . وكان على رأس الكنيسة في حالة خلو كرسي مارمرقس قائم مقام بطريركي ، هو نيافة الحبر الجليل الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج .

والظاهر أنه كان هناك إصرار من جهة الأثيوبيين أن يرسم جاثليق في حالة خلو كرسي الأسكندرية . والكنيسة الأم في مصر لم تشأ أن تتركهم وحدهم، بل بكل أبوة

وحبذا قررت إرسال وفد قبطى لرسامته فى أرض أثيوبيا ، ووسط شعبه لأول مرة . وأعطى المجمع المقدس القبطى للقائم مقام سلطات بابا الأسكندرية فى حفل رسامة البطريرك الجاثليق لأثيوبيا.

رسامة أبونا ثاوفيلس البطريرك الجاثليق الثانى لأثيوبيا :

وفى منتصف مايو ٧١ حضر إلى أديس أبابا وفد قبطى من الآباء الأحبار الأجلاء ، تحت رئاسة القائم مقام البطريركى ، ومعه نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف ، والمتنيح الأنبا صموئيل والأنبا بولس أسقف حلوان ، والقمص مرقس عبالى وكيل البطريركية ، والشماس الدكتور يوسف منصور .

وكان الطبيب فى استقبالهم مع الآباء المطارنة الأثيوبيين ، وكان يعمل على راحتهم. وكانوا قد وصلوا من القاهرة فجر الجمعة على أن تكون الرسامة يوم الأحد الذى يليه.

وفى يوم السبت فوجئ الوفد القبطى بأن برنامج صلوات رسامة أبونا ثاوفيلس يحوى أسماء كتائس كثيرة أعطيت خمس دقائق لكل واحدة منها ، لتشترك فى الصلوات على البطريرك الجديد . وأيضاً الكنيسة القبطية أعطيت ٥ دقائق فقط لإشتراك عابر فى صلوات الرسامة . ولكن الأنبا أثناسيوس أمسك بكتاب طقس رسامة بطريرك جاثليق أثيوبيا المعد فى أيام البابا المتنيح الأنبا كيرلس السادس وقال كيف تعطى الكنيسة الأم خمس دقائق لإتمام هذا الطقس الرسولى؟! نحن أتينا لرسامته، وليس للإشتراك فى رسامته. وهل نعامل معاملة الكتائس الأخرى .

وطوال يوم السبت عقدت إجتماعات بين الأساقفة والأثيوبيين ، استنفذوا فيها مناقشات كثيرة لإقناع المسئولين عن الرسامة بأن الكنيسة القبطية لابد أن تقوم بإكمال صلوات طقس رسامة الجاثليق والظاهر أن النتيجة لم تكن إيجابية .

" متحيرين لكن غير يائسين " (٢كو ٤ : ٨) .

وإن كان الطبيب لم يكن يعرف فى تلك اللحظات ماذا يدور بالتفصيل داخل حجرات الإجتماعات المغلقة ، إلا أنه كان يرى بوضوح حيرة وحزناً على تعبيرات وجوه الوفد القبطى ، وتضح الأمر له بالأكثر عندما استدعاه الأنبا أثناسيوس، يطلب منه أن يسرع ويحجز لهم على أول طائرة للعودة إلى القاهرة ، دون الإشتراك فى الرسامة. وفعل الطبيب ما طلب منه ، وكان الحجز على طائرة السابعة فجر الأحد .

تغيير فى الموقف :

وفى ساعة متأخرة من عشية الأحد تغير الموقف . وعلم الجميع أن الإمبراطور عندما أبلغ بحزم الوفد القبطى على عدم الإشتراك فى الرسامة ومغادرة البلاد فوراً ، أن أعطى أوامره أن تحترم رغبة الكنيسة القبطية ، وأن يعطى الأقباط الوقت الذى يريدونه لإتمام طقس صلوات سيامة البطريرك الجاثليق .

واتفق على أن تعطى الكنيسة الأم نصف ساعة من الوقت لإتمام صلوات الرسامة ، وأن يُعطى قائم مقام البابا القبطى القيام بتتويج البطريرك الجاثليق الجديد .

فى كاتدرائية الثالوث الأقدس فى أديس أبابا :

وكان القائم مقام القبطى يطلب إلى الطبيب أن يكون بجانبه كل الوقت ، لأنه كان يحتاج إلى مترجم . وأثناء دخول الوفد القبطى إلى الكاتدرائية صباح الأحد حاول المنظمون بكل الطرق منع الطبيب من الدخول ، بحجة أن ليس له مكان ، وأنه ليس عضواً فى الوفد القبطى ، ولكن الأنبا أنطونيوس أصر على دخوله ، قائلاً : إن لم يدخل إبنى الشماس هذا ، لن أدخل أنا أيضاً . وسمحوا للطبيب بالدخول ، بعد تردد ومشاورات.

وكان الإمبراطور أثناء احتفال الرسامة ، يجلس على الجانب الأمامى الأيسر من الكنيسة ، وبجانبه جلس الأنبا أنطونيوس . وكان الطبيب يقف وراءه ويمسك بالمظلة (الشمسية)، وهو يلبس تونية الشماس .

وما أن جاء الوقت المعين للكنيسة القبطية أن تؤدى صلواتها ، حتى طلب الأباء الأساقفة من الشماس أن يقود الأنبا أنطونيوس إلى منصة الرسامة أمام الهيكل ، ولكن أثناء ذلك حاول أحد الكهنة أن يرجعه إلى كرسيه ، ويمنعه من الصعود إلى المنصة . وبدأ يصرخ بصوت عالٍ موجهاً كلامه للطبيب : أرجعه إلى كرسيه .

ولكن الإمبراطور لاحظ ارتباك الموقف ، وحسمه بنظرة واحدة . ووقف الأنبا أنطونيوس فى الوسط أمام الهيكل ، وعلى يمينه الأنبا صموئيل ، ووقف على شماله الأنبا أثناسيوس ثم الشماس الطبيب . وأمسك رئيس الشمامسة يوسف منصور بالميكروفون وبدأ يتلو ألحان الرسامة .

وبعد مرور دقائق من بدء تلاوة صلوات الرسامة بالقبطية والعربية ، جاء أحد

المطارنة الأثيوبيين ، وبدأ يطلب من الشماس الطبيب أن ينتهوا فوراً من الصلاة ، وأن ينزلوا إلى المنصة . وكرر الطلب ، ولكن الشماس استمهله قائلاً بالأمهرية نحتاج لوقت أطول . ولكن الأب المطران أصر على استعجال الأقباط على إنهاء الصلاة والنزول فوراً. ولم يجد الشماس ما يجاوب به، لأن الآباء أعضاء الوفد ورئيسه مشغولون بالصلاة. وفوجئ الشماس بالأب المطران الأثيوبي يضربه بيده على جانبه الأيسر على ضلوعه، ويكرر الضرب وهو يقول : خلصوا ، أنزلوا . وأحس الأب الواقف بجوار الشماس بآلامه، وكان يقول له احتمل واصبر ، حتى تنتهي من قداس الصلاة ، واحتمل الشماس الضرب بفرح لأنه لأجل الكنيسة .

تتويج أبونا ثاوفيلس :

وحانت لحظة تتويج البطريرك الجاثليق الجديد ، وسعى الشماس يوسف منصور ، وأحضر التاج من داخل الهيكل ، وسلمه للبابا الأنبا أنطونيوس رئيس الوفد القبطي. وبالتالي أعطى أبونا ثاوفيلس ، وتم التتويج بيدي الأنبا أنطونيوس، في حين أن الآباء المطارنة الأثيوبيين أحضروا باقي ملابس البطريرك الجديد ، وقاموا بتلبيسه بأنفسهم وكانت في تلك اللحظات تؤخذ صور كثيرة من مصورين كثيرين .

وكملت طقوس الرسامة ، وعاد كل إلى مكانه . ووقف البطريرك الجديد على المنصة ليلقي خطاباً . وأخرج ورقة ووضع نظارته على عينيه ، وطال إنتظار المجتمعين ، ورفع يديه لكي يعدل وضع التاج فوق رأسه ، وفوجئ الجميع بأحد المطارنة الأثيوبيين يقوم من مكانه، ويسرع لمساعدته في تعديل وضع التاج فوق رأسه . ورفع يديه إلى أعلى وأمسك التاج وبدأ يحركه . وهنا هب المصورون لأخذ صور فوتغرافية لهذا المنظر . وتعجبنا لماذا يكون تصوير ضبط تاج البطريرك ، بعد أن تم تصوير تتويجه سابقاً .

وبعد نهاية صلاة القداس ، علمنا أن الأقلام التي تحوي صور التتويج لم تعد بعد موجودة، ولم تظهر إلا صور تعديل وضع التاج بيد المطران الأثيوبي. وعلق عليها "لأول مرة الكنيسة الأثيوبية تتوج بطريركها بنفسها، في أرضها ووسط شعبها" . وبعد الإحتفال اجتمع الشعب في غداء الكاتدرائية الفسيح ، وألقى الإمبراطور كلمة مطولة عن الكنيسة في اثيوبيا ، تلاها حفل غداء في البطريركية .

وحيث لم يظهر فى وسائل الإعلام إلاّ الشئ القليل العابر عن أشتراك الوفد القبطى أو الكنيسة الأم فى إحتفالات الرسامة ، تأثر أعضاء الوفد ورئيسه ، وعادوا إلى مصر وهم غير مرتاحين لما حدث ككل .

الصورة تذكارية مع نيافة المتنيح الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج وقائم مقام بطريرك الكنيسة القبطية وأبونا ثاوفيلس والمتنيح القمص مرقس داود فى عام ١٩٦٩م

الفصل السادس

البابا شنوده الثالث وكنيسة أثيوبيا

القرعة الهيكلية وتجليس البابا شنوده الثالث ١٩٧١م :

وشاءت عناية الله أن يكون للطيب نصيب في حضور هذه المناسبات الهامة في حياة كنيستنا في عصرنا الحاضر ، إذ كان قد دعي لقضاء بضعة أسابيع مع اللجنة العليا لمجلس الكنائس العالمي في جنيف .

وأثناء عودته إلى أديس أبابا توقف في القاهرة بضعة أيام . وحضر قداس القرعة الهيكلية في ١٩٧١/١٠/٣١م ، وحضر أيضاً تجليس البابا شنوده الثالث ، وكان له وقت اللقاء قداسته ، قبل التجليس وبعده ، حين قال له الآن وقد وضع الله الكنيسة في أيدينا ، سنحاسبنا عما فعلناه بها" . وسافر إلى أثيوبيا وهو فرح مستبشر لأنه قد بدأ في الكنيسة عهد النهضة الحديثة ، التي يرجو أن تمتد إلى أرجاء القارة الواسعة افريقيا .

فكر الأمبراطور هيلاسلاسي عن الأقباط :

وحدث عام ٧٢ أن أخذ الطبيب أجازته السنوية في شهر نوفمبر في مصر ، وما أن عاد إلى أديس أبابا، حتى وجد سكرتير الأميرة إيلنة الإمبراطور تبحث عنه في كل مكان، ودعاه لزيارة الأميرة في منزلها، ثم تغير الميعاد في آخر لحظة. وما أن ذهب، حتى استقبلوه بالترحاب والسؤال عن أجازته في مصر. وفوجئ بعد وقت قصير بأن الإمبراطور هيلاسلاسي قادم لزيارة الأميرة . وطلبوا منه الإنتظار في صالون جانبي حتى دخل الإمبراطور . وبعد فترة استدعي الطبيب لمقابلة الإمبراطور ، والجلوس على جانبه الأيمن.

وبدأ جلالته يسأله عن الكنيسة في مصر ، وكيف حال الأقباط ؟ ثم صرح بأنه معجب جداً بالأقباط كشعب روحاني أصيل، وبدأ يؤكد أن أفضل نسك ورهبنة نجدها في الرهبان الأقباط. كما أن الأقباط أكثر مسيحيي العالم تمسكاً بإيمانهم وعقيدتهم، وأن الرعاية والتعليم في الكنيسة القبطية، هي أفضل ما يكون عليه في كل كنائس العالم . وكان الحديث كله باللغة الأمهرية ، ثم فاجأ الطبيب بسؤال لم يكن يتوقعه ، وقال "إنني أريد أن أعمل شيئاً لأجل الكنيسة القبطية والأقباط " ماذا تقترح ؟!

وأحس الطبيب وكأنه لا يستطيع أن ينطق ولا يفكر . وقال للإمبراطور : هل أنا أقترح؟ قال له نعم، فكر جيداً – خذ وقتك وفكر بهدوء .

وكما تعود في مثل هذه المواقف أن يفعل كما فعل نحميا فصليت إلى إله السماء وقلت" (نح٢: ٤) . رفع قلبه إلى الله وصلى صلاة سرية سريعة "منك الحكمة والتدبير

يارب" "يارب يسوع المسيح إلهى أعنى" . ومرت دقائق وجاءته فكرة ، وأحس بارتياح لها، وقال "جلالتكم قد دعوتم المتنيح البابا كيرلس السادس لزيارة أثيوبيا مرتين . وكانت لهذه الزيارات بركات كثيرة على شعب أثيوبيا وشعب مصر .. إنى أقترح أن تدعو البابا الجديد البابا شنوده الثالث لزيارة أثيوبيا وكل المواقع الهامة فيها ، لأنه معلم كبير وله كرامة عظيمة وسط شعبه وفى كل مكان فى العالم .

وافرجت اسارير الإمبراطور وقال "ألم أقل لك أنك ستعطينى إقتراحاً مناسباً . غداً أتصل بوزير القصر ، وسكرتير المجلس الإمبراطورى ، وكان وقتئذ هو الراس أسرات كاسا ، وابدأ معهما فى أجراءات ترتيب الزيارة . سأعطيهم تعليماتى " .

وقام جلالته ووقف ، وشد على يد الطبيب الذى أنحنى احتراماً لهذا الملك المسيحى الأرثوذكسى ، الذى يحب الكنيسة ، ورجالها وشعبها .

اتصالات وترتيبات من أجل الزيارة :

وفوراً وفى نفس الليلة ، قام الطبيب بالإتصال بالأستاذ كبير الأقباط فى أديس أبابا مريت غالى ، وفى صباح اليوم التالى قابل بمقابلة وزير القصر والراس أسرات كاسا واقترحا أن تكون الزيارة فى عيد الغطاس سنة ٧٣، حيث أن هذا العيد السيدى الكبير تحتفل به الكنيسة الأثيوبية والشعب هناك احتفالاً كبيراً ، حيث تجتمع الآلاف فى الميادين الكبيرة ، حول فسقيات ضخمة مملوءة ماء ، فى حضور الإمبراطور والبطريرك الجاثليق وكبار رجال الدولة ، يصلون على الماء ويباركون الشعب به ، والكثيرون يحبون أن يغطسون فى الماء . وهو يشبه إلى حد ما طقس لقان الغطاس فى الكنيسة القبطية ، إلا أنه يعمل على نطاق شعبى فى إحتفال كبير فى الميادين .

وكلفوا الطبيب بالإتصال بقداسة البابا شنوده تليفونياً ، الذى افاد بأن يناير قريب جداً ، ومثل هذه الزيارة الرعوية تحتاج إلى وقت للتحضير لها ، واقترح قداسته شهر مايو ٧٣ .

وعاد الطبيب إلى المسئولين بهذا الميعاد المقترح ، ولكنهم فضلوا ألا تكون فى ذلك الشهر لسبب زيارة سياسى كبير لأثيوبيا فى نفس الشهر ، وهو بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا وقتئذ ، وأرادوا أن تكون زيارة قداسة بابا الأسكندرية وحدها، حتى لا يغطى عليها شئ آخر .

وعاد الطبيب بالإتصال بقداسة البابا . واستقر الرأى على أن تكون الزيارة فى عيد الصليب فى سبتمبر ١٩٧٣ – لأن هذا العيد تحتفل به أثيوبيا احتفالاً شعبياً ضخماً فى

ميدان كبير جداً في أديس أبابا إسمه ميدان الصليب ، فيه يمر الآلاف من فئات الشعب والجيش والبوليس والهيئات في طوابير ، يرفعون الصليب بأحجام متفاوته وقد أتاروه بطرق كثيرة ، يمرون أمام منصة ضخمة يجلس فيها جلالة الإمبراطور ، وكل رجال الدولة والسفراء والضيوف . وفي نهاية الإحتفال يوقدون النار في كومة عالية وكبيرة من الخشب حتى تحترق تماماً ، رمزاً لأن الصليب قد حرق الشيطان وسحق قوته . وهذه تسمى "ديميرا" ويحتفل بها الأثيوبيون ليلة عيد الصليب في كل مكان في أثيوبيا وخارجها .

زيارة البابا شنوده الثالث لأثيوبيا عام ١٩٧٣ م:

كان وصول قداسة البابا والوفد المرافق لقداسته قبل عيد الصليب بأيام قليلة ، في شهر سبتمبر . وكان الإستقبال في مطار أديس أبابا لائقاً بالبابا الأسكندري خليفة مارمرقس الرسول (١١٧) . وحلقت مئات الطائرات السلاح الجوي الأثيوبي كتحية لإستقبال البابا ، ثم استقباله جلالة الإمبراطور ، وانحنى على يده وقبلها . ثم قبل الصليب وكذا رئيس الوزراء والوزراء والأمراء والأميرات ، واستقل جلالة الإمبراطور سيارة مع قداسة البابا ، تلتها سيارات تقل أعضاء الوفد ، واتجهوا إلى القصر الإمبراطوري ، وهو يقع في أجمل بقاع العاصمة أديس ابابا ، وأكثرها خضرة وجمالاً . وكانت إقامة قداسة البابا والوفد القبطي في الجناح الأيمن من القصر الجمهوري .

وأعطى الطبيب تصريحاً خاصاً من حرس القصر ، أن يدخل إلى مكان إقامة الآباء في أي وقت ليلاً أو نهاراً ، لتلبية طلباتهم والسهر على راحتهم .

وفي نفس الوقت أعطت وزارة الصحة للطبيب أجازة كاملة لمدة أسبوع ، لكي يرافق الوفد في أنتقالاته واحتفالات الزيارة . وهذه كانت بركة كبيرة للطبيب ، فيها تعلم الكثير ، وعاش أوقات مجيدة للكنيسة القبطية العريقة في أرض أثيوبيا ، لا يمكن أن تُمحى من الذاكرة مع الزمن .

الأسود في حديقة القصر الإمبراطوري :

كان يحلو للإمبراطور هيلاسلاسي أن يعيش وسط الأسود ، في حديقة القصر كما يقال "إنها كانت تحرسه ليلاً" . وكان قداسة البابا والوفد المرافق عندما يخرجون إلى حديقة القصر ، يجدون الأسود منها الصغير ومنها الكبير ، ويقف معها حارس . وكان من يتجرأ منا، يضع يده على رأس الأسد دون خوف لأنها لا تؤذي .

الطبيب يضع يديه على الأسد موكريا فى مطار أديس أبابا سنة ١٩٧١

ويحلو للأثيوبيين أن يشبهوا الامبراطور بالأسد الذى من سبط يهوذا ، ولن كان هذا التشبيه ليس صحيحاً ، لأن حقيقة الأسد كما جاء فى سفر الرؤيا "هو الرب يسوع المسيح" "هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ، ليفتح السفر ، وفك ختومه السبعة" (رؤ٥: ٥) .

إلا أن الأثيوبيين يحاولون اثبات الصلة بين الامبراطور ، والآباء الأوائل . لأنهم يحكون قصة عن زواج ملكة سبأ بالملك سليمان عندما ذهبت لكى تسمع حكمته (١مل١٠) أو أن الابن المولود منها كان الجد الأكبر للامبراطور، وهو الامبراطور منيليك الأول .

والمعروف عن طباع الأسود أنها لا تهاجم إلا لو هوجمت ، أو خافت على أشبالها ، أو كانت جوعانة لدرجة كبيرة . ولكن إن أكلت الإنسان مرة، تصبح آكلة للبشر ، وهذا ليس من طبعها ، لأنها تفترس الحيوانات بالأكثر .

تعليم رسولى من بابا الأسكندرية للأثيوبيين قادة وشعباً :

وكانت زيارة ناجحة جداً على كل المستويات . فكان الشعب يقف بالآلاف على جوانب الطرق التى يمر بها موكب البابا، وينحنون بشدة . وكانوا يحاولون بكل الطرق أن يقبلوا يده والصليب . ولن لم يتمكنوا يسعون للحصول حتى على لمسة لثوبه . ولن لم يتمكنوا من ذلك يقبلون الأرض التى عبرت بها سيارة البابا . وهذا تبركاً بخليفة مارمرقس .

وعاشت أثيوبيا وشعبها وكنيستها أياماً مباركة مجيدة ، وكانت وسائل الإعلام من صحافة وراديو وتليفزيون تنقل أخبار الزيارة وكلمات البابا فى كل مناسبة .

ولا ينسى الطبيب مناسبة هامة شهد فيها قداسة البابا المعلم شهادة قوية بروحانية وأصالة التعليم فى الكنيسة القبطية الأم .

حفل استقبال يقيمه أبونا ثاوفيلس لقداسة البابا والوفد المرافق :

وفى دار البطريركية أقام أبونا ثاوفيلس حفل استقبال لقداسة البابا، دعا إليه رئيس الوزراء والوزراء والآباء البطاركة والأساقفة وكثيراً من أراخنة الشعب الأثيوبى ، ووقف أبونا ثاوفيلس يلقى كلمة كرر فيها أن أثيوبيا أصبح لها بطريركها من أبنائها (ولم يذكر لقب جاثليق) بطريرك يتكلم لغتها، ويعرف عاداتها وطبيعتها . وتكلم عن كيف يقود الكنيسة كبطريرك ، وكراعٍ للكنيسة ورئيس لرعاتها وأساقفتها . وحاول أن يؤكد سلطته وقدراته . وكانت الكلمة بالأمهرية ترجمت إلى الإنجليزية .

ودعى بعدها قداسة البابا شنوده لكى يلقى كلمة فقال : من منا يستطيع أن يقول إنه راعى الكنيسة . نحن نخدم الراعى الحقيقى الرب يسوع المسيح ، الذى هو الراعى الصالح، هو الذى اختارنا لكى نكون آلات فى يديه ، يعمل بنا وفينا . وكانت الكلمات كلها من أقوال الآباء ، تتميز بالقوة والإتضاع والروحانية العميقة .

وأحسست الموجودون ، وأحسست أن الكلمات كانت تدخل إلى أعماقهم ، وتحرك نفوسهم، وتغير مفاهيمهم عن الرئاسة والسلطة والقيادة ، من الإفتخار إلى مفاهيم الأبوة والرعاية ، وعمل الرب وروحه القدوس فى الكنيسة . وكان يجلس بجانبى أحد الوزراء ولم يكن متديناً كثيراً، التفت إلىّ وقال "إننى واثق أن هذا التعليم لم يغير فقط فى قلوبنا نحن المعلمانيين، بل الإكليروس أيضاً ، وأبونا ثاوفيلس نفسه .

احتياج الأقباط فى أثيوبيا إلى كاهن قبطى :

وأثناء الزيارة كانت لقاءات البابا مع الجالية المصرية فى أثيوبيا فى منزل السفير المصرى ، وكذا مع الأقباط . تحدثوا فيها مع قداسته عن إحتياجاتهم لكاهن قبطى يرعاهم، لعدم إنتظام الخدمة بينهم . وكذا لسبب اختلاف اللغة إذا حضروا قداسات الكنيسة الأثيوبية

ورحب قداسة البابا برسامة الطبيب الخادم راهباً وقساً فى أديس أبابا أثناء الزيارة على أن يكون كاهنا قبطياً يعيش فى أثيوبيا، ويكون حلقة إتصال مع الكنيسة الأثيوبية . ويخدم الأقباط روحياً ويرعاهم .

وفى أبوة حقيقية وحب أعطى الطبيب فرصة ليفكر فى الأمر ، على أن يُعطى رداً قبل

إنتهاء الزيارة بأيام . ولكن الطبيب فضل أن يبقى كما هو حتى يحين الوقت ، ويعطى الرب علامات واضحة لإنتهاء خدمته كشماس صانع خيام وطبيب وبعدها يوفى نذره الذى أخذه عام ٦٤ أن يكون للرب بالكامل فى حياة البتولية والرهبنة .

الجالية القبطية فى أديس أبابا مع نيافة الحبر الجليل الأنبا باخوميوس فى١٩٧٤

إكليروس أثيوبى ينشر مفاهيم خاطئة :

وبعد إنتهاء الزيارة المباركة وعودة الوفد بسلامة الله فى أوائل أكتوبر ١٩٧٣م، لاحظ الطبيب أن مقالاً قد نشر فى الجرائد المحلية باللغتين الإنجليزية والأمهرية فى جريدة Addis Zeme , Ethiopian Heralk (وتعنى الزمن الحديث) يطرح أسئلة غريبة عن روح الكنيسة ، تؤدى إلى بلبلة أفكار الناس عن الكرازة المرقسية وأيضاً عن لقب بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية .

وقال الكاتب فى مقاله إنه لا يجد معنى لهذه الألقاب عن الكنيسة القبطية وعن رئيسها. وقال إن كنيسة أثيوبيا تفضل ألا تستعمل هذه الأسماء ولا تتبعها ولا تلتزم بها بل هى كنيسة لها بطريركها ومجمعها ، وإن كانت فى الماضى إبنة للكنيسة الأسكندرية، فإنها الآن أمت لها . وأثار هذا المقال مشاعر مشابهة فى نفوس رجال الكنيسة الأثيوبية . فالغالبية قالت إذا إنفصلت كنيسة أثيوبيا عن كرسى مارمرقس الرسولى ستسقط الملكية ، وتدخل الكنيسة فى تجارب مريرة ، ويتعب الشعب وأكدوا أن هذه نبوات قديمة متوارثة ، يعتقد

الأثيوبيون أنها صحيحة .

ولم يسكت الطبيب ، بل أخذ نسخة من الجريدة وذهب لمقابلة أبونا البطريرك، الذى بدا وكأنه لا يعرف شيئاً عن هذا المقال ، وناقشه الطبيب فى جرأة قائلاً : هذه مقدسات توارثناها نحن الأقباط ، وورثناها للأثيوبيين منذ قرون طويلة . هل يعنى الأب كاتب هذا المقال أن كنيسة أثيوبيا تسعى للإنفصال عن كرسى رسولى هو كرسى مارمرقس ؟! هناك مئات الكاتاس الأفريقية تتمنى أن تنتمى إلى كرسى رسولى، وأنتم تفصلون أنفسكم عن كرسى رسولى؟! هل من أجل موقف وقتى معين، تحاولون أن تغيروا التاريخ ، والرباط الروحى بين الكنيسة القبطية والأثيوبية ، يرجع إلى عهد القديس البابا أثناسيوس الرسولى، الذى قام برسامة أول أسقف لأثيوبيا عام ٣٢٩م، وأرسله عام ٣٣٠م وبهذا أدخل الكنيسة الأرثوذكسية لأول مرة إلى أثيوبيا .

ومن جهة لقب بابا ناقش الطبيب مع أبونا ثاوفيلس حقيقة هذا اللقب وأنه يرجع إلى أقدم العصور المسيحية ، وموجودة فى أقدم القداسات ومعناه أبو الآباء .

واستمع أبونا ثاوفيلس لكل هذا، ثم نصح الطبيب أن يناقش الأمر مع أحد الآباء الأساقفة الجدد فى الكنيسة الأثيوبية ، لأنه مسئول بالأكثر عما نشر . وذهب الطبيب وقضى وقتاً طويلاً فى مناقشة الأب الأسقف ولكنه لم يصل إلى نتيجة !

فعاد الطبيب مرة ثانية إلى البطريرك وقال له "الشعب الأثيوبى كله يتمسك بإيمان وعقيدة ، أن الأسكندرية أمنا ومارمرقس أبونا" لابد أن يصحح ما كُتب فى الجرائد ، لأن هذه المفاهيم لن ترضى الشعب ، بل قلة لا تجمع بل تفرق .

الإمبراطور هيلاسلاسى فى مطار أديس أبابا سبتمبر ٧٣ فى استقبال قداسة البابا شنوده الثالث

الفصل السابع

تغييرات جذرية في كنيسة أثيوبيا

لا تنقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك (أم٢٢: ٢٨) .

هذه من أمثال سليمان الحكيم والأثيوبيون يؤمنون أن الملك سليمان ابن داود هو الجد الأكبر للأمبراطور هيلاسلاسى . ولكن لم يلتفت قادة الكنيسة إلى هذه الحكمة، عندما كرروا واستمروا فى الإشارة إلى استقلال الكنيسة فى أثيوبيا عن الكنيسة القبطية الأم . وتناسوا تقاليد الآباء ، والرباط الروحى والكهنوتى ، الذى امتد بين الكنيستين والشعبين لمدة ١٦ قرناً من الزمان .

وبدأت تظهر علامات واضحة متكررة ، تؤكد أن قادة الكنيسة الأثيوبية (وليس الشعب) تتجاهل تماماً الإتفاقيات ، والبروتوكول الموقع بين الكنيستين عام ١٩٥٩، ولا تحترم بنداً واحداً من بنوده .

واظهروا تقارباً بالأكثر نحو كنائس أرثوذكسية أخرى ليست من مجموعة الكنائس الشرقية القديمة وزاد عدد إرسال البعثات إلى اليونان ورومانيا وروسيا وغيرها . وقل عدد إرسال الدارسين إلى مصر .

وإن كان اشتياق الرهبان الأثيوبيين فى الحياة فى أديرة البراري المصرية لم يقل ، بل كان يزداد يوماً بعد آخر . لأن أحلى أمنية للراهب الأثيوبى أن يزور مصر، الأرض التى زارها الرب يسوع والعائلة المقدسة ، والتى عاش فيها أبو الرهبان القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، والأرض التى أرتوت بدموع الآلاف من الرهبان والقديسين والمتوحدين ، وارتوت أيضاً بدماء المئات بل الآلاف من الشهداء الأقباط على مر العصور . وكذا يزور القدس وأورشليم لكى يتبارك من الأراضى المقدسة ويدفن هناك .

هبوب رياح التغيير :

وفى أوائل شهر فبراير عام ١٩٧٤ بدأت أثيوبيا تشعر بتيار جارف من العنف والإضطراب فى كل نواحى الحياة . ولم يكن أحد يتصور أن سلسلة إضطرابات فى جماعات العمال والموظفين ، وكذا من مئات الأولاد الذين يقذفون السيارات بالحجارة فى هجمات متكررة ، هى بداية لثورة شيوعية قاسية أنزلت الإمبراطور هيلاسلاسى عن العرش الذى جلس عليه حوالى أربعين عاماً، وأخذت منه سلطة الحكم التى حكم بها أثيوبيا حوالى نصف قرن من الزمان . وأزدادت الأحداث تؤكد أنه ليس هناك استقرار فى الوضع ، وأن حالة الأمن والضبط فى إنهيار مستمر .

علامات تؤكد أن الثورة لها طابع شيوعى :

كان نشاط الطبيب فى أديس أبابا قد بلغ ذروته وسط طلبة الجامعة ، وإجتماعات الشباب فى جمعية إيمان الآباء ، وإعداد الخدام لمدارس الأحد ، وذلك فى منتصف عام ١٩٧٤م، فى حين كانت الإضطرابات مستمرة والناس تتساءل ماذا سيكون الوضع بعد كل هذا؟ وبينما يعيش الطبيب هذه الأيام العجيبة ، وهو يصلى إلى الرب أن ينقذ أثيوبيا والكنيسة التى أحبها من كل القلب ، حتى جاءته تعليمات وتحذيرات غريبة .

تهديد وتحذير ألا يكلم أحداً من الناس ولا يعلم باسم الرب يسوع :

فوجئ الطبيب وهو يعمل فى عيادة الجراحة فى مستشفى الجامعة، بضابط يدخل إليه ويطلب مقابلته بمفرده. وقال له نحن نعلم أنك تقوم بنشاط روحى وتعليمى فى الدين المسيحى وسط طلبة الجامعة، بإلقاء محاضرات عن الإنجيل أسبوعياً، وكذا فى وسط الشباب فى الكنائس . فأجاب الطبيب قائلاً : لأجل هذا أنا موجود فى أثيوبيا. ولكن الضابط أستوقفه قائلاً : أرجوك أن تراجع بنود العقد الموقع بينك وبين الحكومة الأثيوبية . هناك بند يحذرك من القيام بأى نشاط ديني أو سياسى . ونحن نرحب بك أن تستمر فى عملك الطبى ، ولكن لابد أن تتوقف فوراً عن أى نشاط روحى وإنجيلى . وقال الطبيب ولكنى خدمت الطب ولى ثمان سنوات أقوم بنشاط روحى وإنجيلى والجميع يعرفون هذا فى الوزارة والقصر والكنيسة ، ولم يعترضوا بل رحبوا بهذا النشاط على الدوام. وهذا المنع الآن يُفيد مَنْ ؟

قال الضابط الأوضاع تغيرت ولا يمكنك الاستمرار ، بل لابد أن تسكت ولا تتكلم بهذا الإسم . ومع الفارق الكبير تذكر الطبيب ما ذكره سفر أعمال الرسل ، عن محاولات الحكام إسكات صوت الخدام والكارزين ، ولكن ذهبت مجهوداتهم بلا فائدة ، لأن إسم الرب تعظيم بالأكثر. فتهددهما تهديداً أن لا يكلما أحداً من الناس بعد بهذا الإسم . فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع " (أع٤: ١٧) .

قال الطبيب للضابط، " إن كانت الغربة هذا لخدمة الطب فقط ، فليس لها معنى عندى. سأحاول أن أتفاهم مع المسئولين ، وإن لم يسمحوا لى بالخدمة ، فإننى سأغادر أثيوبيا" . وتكلم الطبيب مع أونا شاوفيلس ، ولم يجد منه رداً شافياً . وتوقفت الخدمة . ورأى الطبيب فى هذا علامة من الرب للعودة إلى مصر .

أخبار المجاعات تهدد استقرار حكم الإمبراطور :

الذى زار أثيوبيا ، وبالأكثر الذى عاش فيها فى الخمسينات والستينات ، يستطيع أن يرى بوضوح مقدار التقدم المعمارى والحضارى والاقتصادى الذى كان يسير بسرعة بل يقفز قفزاً .

كان الإمبراطور هيلاسلاسى شخصية نادرة فريدة . له من الملكات والإمكانيات ما جعله يعد بالحقيقة أشهر حاكم أو ملك فى أفريقيا ، بل من أشهر ملوك العالم . وكان له إحترام كبير فى جميع الدول . وكان يعتنى جداً بأن يعطى شعبه أحسن فرصة للتعليم والتمرين والتطور . وإن كان كثير من الأثيوبيين الذين يعيشون فى الريف والجبال يرفضون التطور ، إلا أن هيلاسلاسى نجح فى إرسال الكثير من الشباب رجالاً ونساءً للتعليم والدراسة فى الخارج فى بعثات دراسية . وشجعهم على العودة ليخدموا فى أثيوبيا. ورأينا وعشنا واشتركنا فى العمل مع أطباء ومديرين وخبراء أثيوبيين ، على أعلى مستوى من الإتقان والذكاء والمهارة والعلم .

وفى أوائل السبعينات بدأت تتوارد أنباء عن حدوث جفاف شديد فى بعض المناطق فى شمال أثيوبيا ، وبالذات فى منطقو وتلو . وسمع العالم أخبار الآلاف المعرضين للموت بسبب المجاعات . وكان اهتمام الإمبراطور والحكومة واضحاً لمحاولة إنقاذ مناطق الجفاف . ولكن بمرور الوقت اتسعت منطقة الجفاف ، وظهرت أيضاً فى مناطق كثيرة من القارة الأفريقية فى الوسط والشرق . وعانت كثير من الدول الأفريقية من نفس المشكلة ، حتى أن الخضرة بدأت تتلاشى ، وامتدت بدلاً منها الصحراوات الجرداء . ويسمى العلماء هذه الظاهرة " التصحر" . وقد قضت المجاعات على مئات الآلاف من الأفريقيين فى القارة كلها .

والواضح أن الإمبراطور هيلاسلاسى، الذى أخلص إلى شعبه وكنيسته هذا الإخلاص، وعمل على تقدمها على مدى خمسين عاماً ، كان ضحية ظروف جوية وطبيعية صعبة تواجه العالم كله . كما كان ضحية مسئولين فى حكومته أعطوه تقارير غير صحيحة عن الحالة ، أدت إلى تدهور الموقف .

وظن المتحاملون على الامبراطور ، أنه لابد من الثورة لإصلاح أوضاع المجاعات: ألم تكن هذه المجاعات هى نفس السبب الذى أضعف الثورة ، وهزت كيانها بقوة عاماً بعد

علم، حتى سقطت بعد عزل هيلاسلاسى بمدة ١٧ سنة ؟!

أم أن ما حدث سنة ٧٤ كان إتماماً للنبوات المتوارثة : إن إنفصلت كنيسة أثيوبيا عن كرسى مارمرقس الرسولى، ستسقط الإمبراطورية ، وستدخل الكنيسة فى تجارب مريرة، ويتعب الشعب ؟!

عيد النيروز عام ١٩٧٤م والتقويم الأثيوبى :

بالنسبة للطبيب ولكثيرين من الأقباط والأثيوبيين ، كان هذا اليوم غريباً ، بدا وكأنه غير متوقع تماماً . أو كان الناس لا يستطيعون أن يصدقوا ما يسمعون، وما يرون، وحيث أن عيد النيروز فى أثيوبيا، هو رأس السنة الأثيوبية، كما هو رأس السنة القبطية للشهداء، يليه يوم أجازة هو تذكار استشهاد القديس يوحنا المعمدان الذى هو ٢ توت .

والأثيوبيون يستعملون نفس التقويم القبطى ، ولكن تختلف فيه أسماء الشهور فقط، فمثلاً توت يقابله فى أثيوبيا شهر ماسكارام . ولا تتشابه أسماء الشهور إلا فى شهر هاتور، وهو فى أثيوبيا هيدار . وتذكارات القديسين فى السنكسار الأثيوبى، تماثل نفس الأيام والتذكارات فى التقويم القبطى . وعندهم أيضاً شهر النسئ الذى يسمى باجومى . ولن كان هذا الشهر صغيراً من ٥ أيام أو ستة، حسب السنة إن كانت بسيطة أو كبيسة، إلا أنهم يحبون أن يقولوا إن السنة الأثيوبية تحتوى على ١٣ شهراً . ويستعملون هذا للدعاية عن السياحة فى أثيوبيا ، فيقولون ١٣ شهراً من الشمس المشرقة .

عزل الامبراطور هيلاسلاسى :

فى عيد النيروز ، والجميع يبدأون العام القبطى الجديد بالصلاة ، أن يجعله الله عاماً مقدساً، عاشت أثيوبيا ساعات حزينة فى هذا اليوم . حيث أنزل الامبراطور من على العرش، وعزل من سلطانه ، وقُرئت عليه قرارات ثورية، تؤكد أن حكمه قد انتهى، لأنه أصبح غير قادر على الحكم. وكان هذا كله مذاعاً على التلفزيون مباشرة .

وأخذوه فى عربة شعبية صغيرة ، جالساً بين ضابطين من الجيش، وساروا به فى شوارع العاصمة أديس أبابا. وأهاجوا عليه رجال الشوارع ولطفالها. وكانوا يهتفون بما لا يليق بشيخوخة هذا الملك العظيم ، الذى قاد شعبه وأمته لمدة نصف قرن من الزمان بكل إخلاص وتعب لأجلهم كثيراً ، وجعل منهم دولة لها كيانها واحترامها . حتى أنه جذب لها

هيئة الأمم المتحدة لإقامة مركز كبير لها يخدم القارة كلها .

كذا أختارت منظمة الوحدة الأفريقية أديس أبابا مكاناً لإقامة مركزها الرئيسى الذى يخدم كل دول القارة الأفريقية وتسمى Organization of African Unity ، ونرجو حقاً أن ينثمر عمل هذه المنظمة عن توحيد دول أفريقيا حتى تصبح مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وتكون فى تعاون وتكامل تسند بعضها البعض وتقوى بعضها البعض حتى تستطيع أفريقيا أن تستثمر طاقاتها البشرية والطبيعية الهائلة لأجل خير شعوبها وشعوب العالم كله . أملنا أن نرى يوماً أفريقيا متحدة تسمى الولايات المتحدة الأفريقية .

موقف الكنيسة من عزل الإمبراطور :

لم يحرك أبونا ثاوفيلس بطريرك جالليق أثيوبيا أى ساكن ، وهو يرى كل ما يحدث للامبراطور والقصر إذ أن كل الأمراء والأميرات وضعوا فى السجون ، وكذا كل من هم فى سلطة أو منصب ، إما قتلوا ضرباً بالنار ، أو اختفوا لا يعرف أحد مصيرهم . وكل رجال الكنيسة لم يتحرك أحد منهم ولم ينطق بأى تصريح يوضح موقف الكنيسة والقيادة الكنسية الأثيوبية . وكان ظاهراً عليهم أنهم خائفوا من الثورة .

ولم يسكت الطبيب ، بل طلب مقابلة مع أبونا ثاوفيلس ، وسأله لماذا لم يقف بجانب الإمبراطور ويقول كلمة الكنيسة كما وقف سلفه أبونا باسيليوس أكثر من مرة؟! ولاحظ الطبيب أن أبونا ثاوفيلس مرتبك، وهو يحاول أن يوضح ما يجرى، يريد أن يقول من يستطيع الكلام والحالة هذه؟! وقال الطبيب إنه من الأفضل أن يقول الحق، حتى لو أصحبت شهيداً ، لأنه إذا علم أن هذه الثورة هى ضد الإيمان والعقيدة، لأنها شيوعية وإن كانت قد عزلت الإمبراطور ، فلابد أن تأتى يوماً أيضاً على سلطة البطريرك. ولم يقتنع وناقش، وأنكر أن هذه الثورة شيوعية، وضد الدين.. بل قال إنه يعرف قادتها جيداً وهم كلهم مسيحيون مؤمنون .. !

ولم يجد الطبيب مجالاً للمناقشة ، بل أخبر أبونا البطريرك أنه فى طريقه إلى مغادرة البلاد ، لأنه منع من القيام بأى خدمة روحية . ولا يرى أملاً فى إمكانية السماح له بالخدمة مرة أخرى تحت هذا النوع من الحكم .

وبكى الأب البطريرك ، وقال كنا نرجو أن تعيش هنا كل أيام حياتك. لماذا تتركنا؟ هذه بلدك وأرضك وتعتبرك من الشعب الأثيوبى .

علامات واضحة من الرب تؤكد ضرورة العودة لأرض الوطن :

كما كانت هناك علامات واضحة تقول اخرج إلى افريقيا منذ ٩ سنوات، الآن بدأت تظهر علامات واضحة جداً تقول : ارجع وكمل ما نذرته منذ ١١ سنة. وحيث كان يميل قلبه إلى هذا متمماً الوصية قائلاً بما نذرته. " أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفي" (جا٥: ٤ - ٥) . فإنه لم يتردد في أن يقدم استقالته ويستعد للرحيل نهائياً . وكان هذا في أوائل عام ١٩٧٥. وكان صوت الرب بل أصوات كثيرة ترن في أذنيه ، أنه وقت مناسب للعودة إلى أرض الوطن والبرية المقدسة التي للآباء القديسين . وبدأ يعد الأيام والساعات ويشتاق إلى يوم الرحيل ، لأنه لم يجد معنى للبقاء يوماً واحداً ، دون خدمة الرب ، التي أتى لأجلها . وكان يلاحظ تغييرات كثيرة وسريعة كل يوم، تحاول بها الحكومة الجديدة أن تحول الشعب الأثيوبي المؤمن من العبادة إلى السياسة ، ومن المسيحية إلى الشيوعية .

"ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده " (رو٨: ٢٨) .

أصدرت الحكومة الأثيوبية قرارات كثيرة ، وكانت كلها تؤثر على حرية العبادة للمسيحيين . منها أنها فرضت حظر تجول من منتصف الليل حتى الساعة السادسة صباحاً. ومنعت قيادة السيارات تماماً الأحد كله . وكذا رتبت اجتماعات سياسة للحزب الشيوعي يوم الأحد في نفس مواعيد الصلاة . وفرضت عقوبات على من لا يواظب على الحضور .

ورغم كل هذا ، فإن تمسك الأثيوبيين بإيمانهم وكنيستهم وعقيدتهم ، جعلتهم يكسرون شروط حظر التجول . ويبدأون رحلة الذهاب إلى الكنائس في الرابعة أو الخامسة صباحاً ، معرضين أنفسهم لأخطار عقوبات كسر نظام حظر التجول . وحيث لا توجد وسائل انتقال يوم الأحد ولا سيارات ، اهتم الشعب أن يذهب إلى الكنائس ماشياً على الأقدام ، مهما كانت المسافات . واعتبروا هذه بركة أن يتعبوا لكي يقدموا للعبادة للرب .

أما إجتماعات الحزب لتلقينهم المبادئ الماركسية والإلحاد ، فإنهم أهملوها دون أي خوف، وبلا تردد . وحيث كثر جداً عدد المخالفين لقرارات الإلتزام بالحضور ، لم تجد الحكومة وسيلة لتنفيذ العقوبة ، حيث لا يمكنها معاقبة الأمة كلها . وتحول هذا كله للخير . إذ شعر الأثيوبيون بالضيقة تشتد عليهم ، فلجأوا إلى الله، في صلوات حارة متواترة ،

وأصوام ونذور وتقدمات . فامتلأت الكنائس والأديرة بالعابدين والصائمين والمتضرعين . وزادت العطايا للكنيسة التي حرمت من دخلها ، (حيث أممت كل موازدها العالية، وأسئولت الحكومة على كل أراضي الكنيسة) وعاد الشعب الأثيوبي، ورجع بكل قلبه إلى الرب، حيث زال عنهم كل سند من القصر أو الأراضي أو الضياع أو الممتلكات . وبدأوا بعمق يقرأون الإنجيل ، ويعيشون به، ويذكرون بعضهم بعضاً بالآيات الكتابية . وانتشرت كلمة الرب ، وكان إسم الرب يسوع يتعظم (أع١٩: ١٧) .

وكثيرون من الأثيوبيين يعتبرون ما حدث في أثيوبيا في الفترة ما بين عام ٧٤ حتى الآن ، هو غضب السماء على الفجور والأخطاء الموجودة ، ويؤمنون أن هذا لا يرفع إلا بالصوم والصلاة ، والتذلل أمام الله، لكي يشحن الرب ويرفع غضبه عنهم .

مات الامبراطور هيلاسلاسي ولم يكرّمه أحد من شعبه :

حاولت الثورة الأثيوبية أن تخفي أو تشوش على كل ما قام به الامبراطور من انجازات واصلاحات وتقدم لأجل وطنه ولأجل الكنيسة . ولم يعترف بفضائل هذا الملك التقي المعتز البناء إلا نفر قليل من شعبه . وحاولت وسائل الإعلام تضخيم مناظر المجاعات ، ثم تعرض صور الإمبراطور يغذي كلابه ، وهذا شيء طبيعي أن تراعى احتياجات الحيوان أيضاً – مَنْ من أجل المجاعة يترك الحيوانات دون طعام حتى تموت. والكتاب يقول "الصديق يراعي نفس بهيمته، أما مراحم الأشرار فقاسية" (أم١٢: ١٠) .

حكمت الثورة ، أما الشعب الأثيوبي فبدأ يشعر بالفارق الكبير بين حكمه وحكم الثورة. وبدأ يتردد على الألسنة : أين يوم واحد من أيام هيلاسلاسي؟ وبدأت تعلو هذه الأصوات ، فوجدت الثورة أنها ستكون في حرج شديد لو عاش طويلاً هذا الرجل ذو التاريخ العريق والتأثير العميق على أثيوبيا كلها . فأجريت له عملية جراحية في منتصف عام ٧٥ لإزالة غدة البروستاتا، وإن كانت حالته الصحية قد تحسنت كثيراً بعد العملية ، إلا أنهم قالوا إن حالته تدهورت ومات. ولكن هناك آباء ثؤكد أنه قُتل بوسيلة ما وأخفي جسده ، ولم يُدفن، ولم يصلى عليه صلاة التجنيز في أثيوبيا ، وكان ذلك قبل عيد النيروز سنة ٧٥ .

قداسة البابا شنوده يقيم صلاة جنائز الغائب على روح هيلاسلاسي :

وتأثر جداً قداسة البابا والكنيسة القبطية معه لما حدث، فقام قداسته صلاة الجنائز على روح الامبراطور في الكاتدرائية المرقسية ، وألقى كلمة في رثاء هيلاسلاسي ، قال فيها :

" إن العالم لا يعرف مقدار كرامته وإنجازاته ، والأعمال العظيمة التى قام بها هذا الملك. ولكن الزمن وحده سوف يسجل التاريخ المجيد لأثيوبيا تحت حكمه ، وأثره على أثيوبيا بل على أفريقيا كلها ، كفارة عظيمة وكبيرة ".

وحقاً إن الذى يتابع أخبار أثيوبيا منذ الثورة عام ٧٤ حتى الآن ، يرى بوضوح مقدار التدهور السياسى والإقتصادى والحضارى الذى أنحدرت إليه عاماً بعد عام. ويرى بوضوح أيضاً إختفاء الطاقات البشرية الأثيوبية والأجنبية ، بسبب هروب كل من استطاع أن يخرج من أثيوبيا ، هاربين من دولة يحكمها الحديد والنار ، ولا يعرف حكامها لغة للتخاطب إلا لغة الدم والتهديد والقتل .

عزل أبونا ثاوفيلس وتجريده من سلطاته :

ولم تمض شهور قليلة فى عام ١٩٧٦ ، حتى بدأت حكومة الثورة تركز على أخطاء وإنحرافات الكنيسة الأثيوبية ، ثم أتخذت قراراً حكومياً بعزل أبونا ثاوفيلس ، وتجريده من كل سلطاته ، ووضعه فى السجن أيضاً، ولم يدافع عنه أحد. وقررت الحكومة أن يرسم بدلاً منه بطريرك جديد لأثيوبيا . وأشاعت الكنيسة فى أثيوبيا هذه التعليمات ، وعينت الحكومة سكرتيراً عاماً للكنيسة من قبلها يكون هو بمثابة سلطة الحكومة داخل الكنيسة . وأرسلت الكنيسة الأثيوبية إلى الكنيسة القبطية دعوة للحضور والإشتراك فى رسامة بطريرك جديد لها .

الكنيسة القبطية ترفض الإشتراك فى رسامة بطريرك جديد أو الإعتراف به :

أجتمع المجمع المقدس القبطى لدراسة وضع الكنيسة الأثيوبية تحت حكم الحكومة الشيوعية ، وأيضاً الوضع القانونى لعزل البطريرك أبونا ثاوفيلس وقانونية رسامة بطريرك جديد – وقرر المجمع القبطى أن عزل أبونا ثاوفيلس غير قانونى لأن المجمع هو الذى له حق عزله إذا أخطأ ، بعد أن يُحاكم كنسياً ويعطى فرصة للدفاع عن نفسه . وإذا ثبت إدانته ، يتخذ المجمع قراراً بشأنه حسب قوانين الكنيسة .

أما رسامة بطريرك جديد لأثيوبيا ، فهو غير جائز بسبب وجود بطريرك قانونى للكنيسة، ولا يمكن رسامة بطريرك آخر فى وجود الأول .

وقامت الكنيسة القبطية بإبلاغ الكنيسة الأثيوبية بذلك ، وكذا الكنائس الشقيقة والأرثوذكسية وكنائس العالم ، ومجالس الكنائس والهيئات العالمية الكنسية التى يهمها هذا الأمر .

والمعروف أنه تحت ضغط الحكومة قامت الكنيسة الأثيوبية برسامة بطريرك باسم أبونا تكلا هيمانوت ، وفى عهده قامت الكنيسة بإحالة كثير من المطارنة والأساقفة الأثيوبيين إلى المعاش ، وتحت ضغط أيضاً قامت برسامة أساقفة جدد يتقنون مع الحكومة فى أساليبها وطرقها . ولم تعترف الكنيسة القبطية بأبونا تكلا هيمانوت كبطريرك لأثيوبيا.

ولما تنيح أبونا تكلا هيمانوت ، قامت الكنيسة برسامة بطريرك جديد باسم أبونا مرقوريوس ، وكان مطراناً لإيبارشية جوندار ولم تعترف به أيضاً الكنيسة القبطية . وقد تم عزله أيضاً حيث طالب الشعب بذلك ورسم لهم بطريرك جديد إسمه باولس فى عيد الرسل عام ١٩٩٢م .

وكان ولايزال هناك إلحاح من الكنيسة الأثيوبية إلى الكنيسة القبطية ، بالإعتراف بالبطريرك الأثيوبى . ولكن الأقباط يؤكدون أنه لابد أن تطبق القوانين الكنسية التى تتبعها الكنيسة منذ ٢٠ قرناً ، حتى يستطيعوا أن يعترفوا ببطريرك جاثليق أثيوبيا مرة أخرى .

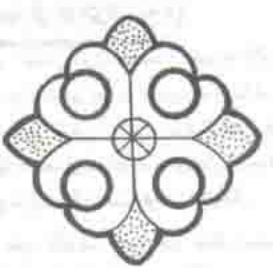

الفصل الثامن

إلى التكريس الأمثل

"دعوتك باسمك .. أنت لى"

(أش٤٣: ١)

إنتهاء خدمة الطبيب فى أثيوبيا وعودته إلى أرض الوطن :

"إنه الوقت المناسب لترك أثيوبيا" كان هذا تعليق كل من سمع بأخبار العودة إلى مصر. وكما شعر الطبيب بيد الرب تقوده للخروج إلى العالم الأفريقى عام ١٩٦٦، شعر بيد الرب تقوده ليعود إلى أرض مصر عام ١٩٧٥ لكى ينضم إلى طغمة الرهبان الذين يشعر أنه لا يستحق أن يكون واحداً منهم .

النظر إلى الوراء :

التردد الذى أصاب التلميذ قال للرب يسوع : أتبعك يا سيد .. ولكن (لو٩: ٦١) .

ربما يصيب البعض أو الأكثرية ممن تأتيهم دعوة للتكريس أو الاشتياق للرهبنة، ويشعرون بنداء المعلم اتبعنى .. فيقول أحدهم "أقوم بواجب نحو هذا أو ذاك" أو "أودع الذين فى بيتى" أو "أكمل دراساتى عليا" أو "أصل إلى درجة ترقية معينة، أو إلى مقدار كذا من المعاش" ...

كل هذه الأسباب فى التأجيل فى أن يقوم ويتبع المعلم ، هى بسبب الإشفاق على الذات أو الأقارب ، أو التعلق بالشهادات أو الممتلكات .

وحيث يقول الرسول بولس "الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين. كيف لا يهبنا معه كل شئ" (رو٨: ٣٢) . يعلمنا أن لا نشفق على ذواتنا ، إن كنا نريد أن نتبع من لم يشفق على ذاته بل بذل نفسه لأجلنا أجمعين .

ربما كان هناك اشتياق فى القلب لدراسات أكبر فى قلب الطبيب الذى ترك أثيوبيا نهائياً فى مارس ١٩٧٥م، وقضى بضعة شهور فى الجزائر ، ولكن الذى قال اتبعنى قال "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لو٩: ٦٢) .

زيارة مباركة لنيافة الأنبا دانيال مطران الخرطوم إلى لندن .

وحيث تقود يد الرب دفة الحياة فى بحر هذا العالم المتلاطم الأمواج، فإنه يوم الأحد فى كنيستنا فى لندن أيام الخماسين المقدسة ١٩٧٥م، تبارك الأقباط بحضور نيافة الأنبا دانيال من السودان ، ليصلى القداس فى الكنيسة . وانتهز الطبيب هذه الفرصة وطلب من نيافته جلسة خاصة ، فاتح فيها الأب الأسقف عما فى قلبه من نداء وحيرة .

وشجعه نواقته جداً على أن ينهى كل شئ يتعلق بالعالم ، وأن يسافر فوراً إلى مصر لكى يتمم نذره دون إبطاء . ورحب الطبيب بذلك جداً وأحس براحة شديدة وتعزية . وشعر أن هذا هو صوت الرب الذى ينتظره لكى ينهى تردده " أتبعك يا سيد .. ولكن !

العودة إلى مصر :

وسافر إلى مصر وقابل قداسة البابا شنوده الثالث يوم وصوله . ورحب به قداسة البابا وسأله إن كان يفضل ديراً معيناً . ولكنه أكد أن الذى يراه قداسته هو المناسب . لأنه وضع حياته كلها فى يد الرب ، وقد جاء لكى يوفى نذره الذى أخذه فى ١٩٦٤/٢/٢٢م، ولا يهم مطلقاً أين ومتى يكون هذا الوفاء بالنذر .

وأخبره قداسة البابا (الذى قام بتعمير كثير من الأديرة معمارياً وروحياً) ، أنه يريد تعمير دير البراموس روحياً ومعمارياً ، لأنه كان قد وصل إلى حالة يحتاج فيها أن تعمل الكنيسة شيئاً من أجله . وأخبره قداسة البابا أنه أختار أربعة آباء رهبان جدد من أديرة أخرى، لكى يعمر بهم دير البراموس ، ويبدأوا حياة روحية جديدة هناك، وستكون أنت الخامس طالب الرهبنة تنضم إليهم .

إلى دير البراموس فى عيد الرسل (استشهاد الرسولين القديسين بطرس وبولس) عام ١٩٧٥م

طالب الرهبنة الأخ (ابرآم) مع قداسة البابا والآباء الأساقفة ورهبان دير البراموس عيد الرسل ٧٥

ولم يمض على وصوله إلى القاهرة إلا يومان ، حيث قضى فى بيت العائلة فى الفجالة ليلتين فقط ، فرح فيهما أهل البيت عالمين أنه قد أنهى خدمته فى أثيوبيا نهائياً ، وأن عودته إلى مصر نهائية . وحين بدأ يستعد للسفر إلى الدير تاركاً وراءه كل شئ ، كان السؤال إلى أين ؟ إلى الدير .. ومتى ستعود ؟ لا أعرف . الرب وحده يعلم .. هل هى فترة قصيرة ؟ .. حسب الظروف . نظرات بها تساؤلات .. استغراب وترقب .

وفى الميعاد المحدد أخذ بركة مرافقة قداسة البابا ونياقة الأنبا دانيال مطران الخرطوم الذى كان قد وصل إلى مصر من لندن . وفى سيارة قداسة البابا الخاصة وصلوا إلى دير البراموس . وكان قد وصل إلى الدير الآباء الموقرون : القمص بيلاديوس السريانى والقمص دانيال السريانى (نيافة الأنبا أرسانيوس حالياً) والقمص تاوضروس الأنبا بيشوى (نيافة الأنبا بنيامين حالياً) والقمص أغاثون الأنبا بيشوى (نيافة الأنبا باكوبوس حالياً) .

وأمام الجميع أحضروا للطيب جلباباً أبيضاً وطاقية بيضاء . وبعد أن بارك قداسة البابا بعلامة الصليب ثلاث مرات ، ألبس الطيب الجلباب الأبيض ووضع على رأسه طاقية بيضاء (وهذا هو زى طالبى الرهبنة) . وأعطاه إسماً جديداً (غير الإسم الذى أتى به من العالم) . وهو الأخ ابرآم . وأعطوه حجرة ليعيش فيها وسط الآباء الرهبان .

" إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت ، فهى تبقى وحدها ، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير " (يو١٢: ٢٤) .

وفى يوم ٧٥/٧/٢٩ تبارك دير البراموس بزيارة لقداسة البابا ، الذى قضى الليل وسط الرهبان لكى يتدارس أحوال الدير وأحتياجاته . وقبل أن يذهب الأخ ابرآم إلى حجرته ليذام فى ساعة متأخرة من الليل ، استدعاه قداسة البابا وأخبره بأن رهبنته ستكون فى الفجر . وقاده الآباء الرهبان وأصطحبوه إلى الكنيسة ، حيث قضوا الليل كله فى تسبيح وقراءات وصلوات وتأملات . والراهب الجديد يقضى ليلة رهبنته بلا نوم فى الكنيسة ، لكى يتعلم السهر فى حياة الدير ، حسب قول الرب " اسهروا وصلوا" (مت٢٦: ٤١) .

وفى الخامسة صباحاً حضر إلى الكنيسة كل من كانوا بالدير ، وعلى رأسهم قداسة البابا، ورقد الأخ ابرآم تحت المقصورة التى تحوى أجساد الآباء القديسين الأنبا موسى الأسود، والأنبا أيسيذورس القس ، وغطوه بستر أحمر وصلوا عليه صلوات التجنيز . ثم يعت الراهب عن العالم ، ويتغير شكله واسمه وأسلوب حياته، ويقوم لكى يسير طريقاً جديداً، إذ هو أصبح للرب بكل ما فيه . ثم صلوا عليه صلوات تكريس الرهبان، بما فيها

من قراءات وصلوات عميقة ، روحانية مؤثرة جداً ، ثم وقف في وسطهم والبسوه الثياب السوداء ، ووضعوا على رأسه قلانسوة سوداء ورشمه قداسة البابا على رأسه بعلامة الصليب ثلاث مرات ، وأعطاه إسماً جديداً وهو الراهب "أطوانيوس البراموسي" وما أن كملت صلوات التكريس حتى قبله قداسة البابا قائلاً مبروك .. من العجيب أن يحضر ملقن رهبانيتك آباء رهبان من ٧ مجامع موجودين في الدير دون ترتيب سابق .

تدبير الرهبنة قبل الخروج إلى الخدمة :

كانت أيام الدير جميلة ومعزية ، بما فيها من هدوء وتسبيح وصلوات ، بالأخص صلاة نصف الليل والتسبحة التي كان يجد في الإنتظام فيها دون إنقطاع بركة كبيرة وشحنة روحية يومية لا يوازيها شئ آخر . وكانت حلقات دراسة الكتاب المقدس مع الآباء الرهبان، فيها تأمل في كلمة الله وغذاء روحي غني. كما أن حياة الدير أيضاً هي مدرسة يتعلم فيها الراهب دروساً نافعة ، لحياته وأبديته ، حيث يعيش الإتحيل ويطبق وصاياه في حياته العملية . كم من وصايا إنجيلية أعملناها في حياتنا في العالم ، ولكن في الدير يلقذ الراهب هذه الوصايا ويحيا فيها .

كما تعلم أيضاً أموراً أخرى قد تنفع في الخدمة . فقد كلف قداسة البابا الأب القمص يوساب السرياني ، وهو الذي قد وهبه الله رسم الأيقونات في روحانية وإتقان ، أن يقيم في دير البراموس لمدة أسابيع ، لكي يسلم برهبان البراموس كيفية عمل القربان . وكانت خبرة جميلة ومفرحة . ولم يكن يعلم أن ما يتعلمه في الدير سوف يقوم بتسليمه إلى عشرات من أبنائه الأفريقيين في كينيا وزامبيا وزيمبابوى وجنوب أفريقيا وما يأتي بعدها حسب مشيئة الرب وتدبيره .

وكان تعيين عمله في الدير في العيادة الطبية والأجزخانة ، وزيارات الضيوف الأجانب، وأمانة الصندوق والمخازن . وكان يتمنى أن يقضي في الدير سنوات وسنوات ، حيث وجد التعزية والشركة الروحية العميقة وتعلم دروساً روحية ، وقضى أوقاتاً جميلة في تسبيح وعبادة وتأمل .

نداء أفريقيا :

وكانت تتوارد إلى الدير أخبار عن أثيوبيا خاصة وافريقيا عامة . فكانت تتحرك في داخله مشاعر قوية نحو هذه الشعوب والأقطار ، ومعاناتها واحتياجاتها . وكان يسأل نفسه

ما هو واجب الكنيسة القبطية نحوها ؟!

ليس لنا أحد يخدم فيها . نحن أبناء الكنيسة الأولى فى القارة العريقة . ولنا فى القدم عشرون قرناً أو ما يقرب لهذا . وهى الكنيسة المجيدة فى تاريخها وحاضرها . هل يفكر أحد فى افريقيا أم ٣٧ كتب بعض العلماء والأساتذة كتباً عنها ، ولكن هل ذكر أحد ما يجب أن نقوم به نحوها ؟ كانت سنوات عمله التسعة فى أثيوبيا ، قد أعطته الفرصة أن يزور بلاداً أفريقية أخرى مثل كينيا ، وزامبيا، وتانزانيا ، والسودان ، وغيرها . وكم كانت هذه الزيارات خبرة نادرة ودروساً نافعة .

زار السودان حيث كان يتوقف فى الخرطوم فى طريقه من أديس أبابا لقضاء أجازته السنوية فى مصر . وكان الذى يرحب به ويقدم له ضيافة بكل حب القمص أنطونيوس السريانى (نيافة الأنبا باخوميوس مطران البحيرة حالياً) . وشاءت إرادة الله أن يكون توقفه عام ١٩٦٨ فى الخرطوم فى مناسبة افتتاح وتكشين كنيسة الشهيدين فى الإمتداد فى الخرطوم . وكم كانت خبرة جميلة ودروساً نافعة لا تنسى .

التعرف على كينيا لأول مرة :

ومن أثيوبيا أيضاً كان قد زار نيروبى فى كينيا عام ١٩٦٧ لحضور مؤتمر مجلس الكنائس للتعليم المسيحى . وكانت إقامته لمدة أسبوعين فى نيروبى فى جامعة نيروبى ، حيث لفتت نظره الخضرة التى تغطى كل مكان ، وجمال الطبيعة والجو الربيعى الدائم ، واعتدال درجة الحرارة دون جفاف ولا رطوبة فى الجو .

وكانت له فرصة السفر إلى داخل بلاد كينيا ، فى المناطق القريبة من نيروبى ، لزيارة بعض الكنائس الوطنية . وتعرف لأول مرة على ظاهرة أفريقية إسمها الكنائس الأفريقية المستقلة (سنتحدث عنها فيما بعد ضمن عمل الكنيسة القبطية فى القارة) .

التعرف على زامبيا لأول مرة :

ومن أثيوبيا ايضاً فى عام ١٩٧٤ كان قد توقف فى تانزانيا فى طريقه إلى لوساكا عاصمة زامبيا ، حيث كان عضواً فى الوفد الذى يمثل الكنيسة القبطية فى مؤتمر عام لمجلس كنائس كل أفريقيا . وكان رئيساً للوفد المتنيح الأنبا صموئيل ونيافة الأنبا باخوميوس مطران البحيرة . وكانت تمثل المرأة فى المؤتمر الأخت أغابى من بنى سويف، وكان يعمل كموظف فى المجلس المحاسب الأستاذ ثروت شحاته .

مع المتنيح الأنبا صموئيل والأنبا بافوميوس وتاسوني أغابي والأستاذ ثروت في إجتماع الجمعية العامة لمجلس كنائس كل أفريقيا في لوساكا زامبيا سنة ١٩٧٤

وفي حديث خاص في لوساكا في إحدى الأمسيات ، حكى له الأنبا صموئيل عن بعض خبراته في كينيا أثناء زياراته العديدة لها ، وأنه سمع عن مجموعة من الكينيين قد سموا أنفسهم الأقباط ، واسسوا كنيسة وأعطوها إسماً للكنيسة القبطية .. هل يعرفوا شيئاً عن الكنيسة القبطية ؟ .. كيف يعرفون وهم لم يتعلموا .. وكيف يستعملون إسم كنيستنا؟ .. لمجرد الشهرة . وهل ستترك إسم الكنيسة القبطية يستعمل وسط شعوب لا تعرف عنا شيئاً ولا نعرف عنها شيئاً .. ليس لدينا من نرسله لكي يعرفهم الكنيسة القبطية الحقيقية .. وهل سنمسك على هذا ؟ كما قال رب المجد "الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون . فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده" (لو ١٠: ٢) .

أفريقيا تملأ القلب والفكر والمشاعر :

وفي فترات الخلوة في الدير كانت أفكاره تذهب بعيداً إلى بلاد أفريقيا وشعوبها . قارة مليئة بالبشر والخيرات والإمكانيات والكنائس الغربية أيضاً ، التي أتت إليها عبر البحار منذ قرون، حيث بدأت فيه الكاثوليك حوالي أواخر القرن الخامس عشر والبروتستانت في حوالي القرن الثامن عشر واسسوا فيها كنائس كثيرة في كل مكان . أما الكنيسة القبطية فليس لها موضع تقدم ، وليس لدينا أي خطة ، وأن كان هناك اشتياق لخدمة هذه القارة فليكن حسب مشيئة الله وتدبيره متى ؟ وأين ؟ وكيف ؟

الشباب من كينيا وأوغندا وجنوب السودان يدرسون في معهد الدراسات الأفريقية :

زيارات المتنيح الأنبا صموئيل إلى كينيا وبلاد أفريقية كثيرة ، حين كان نائباً لرئيس

مجلس كنائس كل أفريقيا لسنوات طويلة ، كانت تعطيه فرصة لقاءات كثيرة مع الأفريقيين الذين يشتاقون إلى الكنيسة القبطية ككنيسة أم في القارة وكنيسة رسولية وعريقة لها تاريخ مجيد ، كما أنها مشهورة بين الأفريقيين عن طريق علاقتها مع كنيسة أثيوبيا على مدى ١٦ قرناً منذ عهد البابا القديس أثناسيوس الرسولي .

وكانوا يطالبونه بإنشاء كنائس قبطية في أوغندا وكينيا وغانا وزائير وغيرها . فكان يؤكد لهم أن التعليم أولاً واستلام عقيدة الكنيسة وتاريخها ولاهوتها وقوانينها والأحوال الشخصية فيها (قدسية العائلة والزواج) أولاً قبل أية خطوة أخرى .

وحيث أنه لم يكن في طاقة الكنيسة في الستينات أن ترسل أساتذة لكي تعلم أبناء هذه البلاد في أوطانهم ، فجاءت فكرة أن يفتتح قسم إسمه معهد الدراسات الأفريقية في الإكليريكية في الأبيا رويس بالعباسية بالقاهرة . ويلتحق - هؤلاء الشباب الأفريقيين المشتاقون إلى تعلم كل ما يختص بالكنيسة القبطية .

وحدث اختيار أكثر من ١٥ شاباً من كينيا وأوغندا أرسلوا إلى مصر للدراسة ، في هذا المعهد في السبعينات . وحضر أيضاً إلى مصر حوالي نفس العدد من شباب جنوب السودان لنفس الغرض . وكانوا يقيمون في كوتسيكا في الستينات . وقام الآباء الأساقفة والآباء الرهبان بكل جهد مخلص لكي يجعلوا من هؤلاء الشباب خداماً روحانيين لأجل خلاص نفوسهم الذين يبشرونهم أيضاً .

والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً (رو٨: ٣٠) .

بالنسبة لهؤلاء الشباب الأفريقيين أينما كان وطنهم ، لم يكن الطريق لدراسة اللاهوت واضحاً أمامهم . وحيث تداخلت عوامل كثيرة ، كان اختيارهم متسرعاً ، وتدافعهم إلى مصر دون تروٍ ، ظانين أنهم إذ يحصلون على بعثة دراسية في مصر يمكنهم اختيار الكلية التي يريدون أن يتعلموا فيها ، طب أو هندسة أو غيرهما .

وهناك أيضاً في بلادهم مماسرة لعبوا دوراً خطيراً في إعطائهم صورة غير حقيقية عن طبيعة الدراسة وغرضها . وهذا كله بغرض الحصول منهم على الأموال لكي يسافروا إلى مصر . وقد سعى البعض منهم للدراسة في بلاد أخرى ، بمجرد أن علموا أن الدراسة هي دراسة اللاهوت . ولكن هؤلاء الذين أختارهم الله لخدمة كلمته ، لم يزيدوا على عشرين في المائة ممن حضروا إلى مصر وتخرج منهم الشمامس والراهب والكاهن

الذين خدموا بعد تخرجهم فى أمريكا أو السودان أو كينيا ، أما الباقون فأحبوا العالم الحاضر وتشتتوا .

الراهب أنطونيوس البراموسى يستدعى إلى القاهرة :

فى إحدى الإمسيات فى شهر نوفمبر عام ١٩٧٥ حضر إلى الدير فجأة نيافة الحبر الجليل الأنبا هدرا ، وطلب الراهب وأخبره أن قداسة البابا يريده أن ينزل إلى القاهرة فى نفس الليلة . وأطاع دون تردد حتى وإن كان لا يعرف سبب إستدعائه .

وأعطى حجرة للإقامة فى مقر دير الأنبا بيشوى فى القاهرة . وبات ليلته هناك . وعلم أن رسامته قساً ستكون فى صباح اليوم التالى فى كنيسة المقر . وكان هذا يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٧٥ وتبارك الأب الراهب بوضع يدى قداسة البابا عليه .

وكان قداسة البابا بأبوته ومحبته الغامرة لإبنائه الرهبان ، يتحدث معه أثناء زياراته للدير ويسمع منه عن اشتياقاته لأجل أفريقيا . وكان يشجعه بالصلاة ، من أجله أيضاً بكثير من النصائح والإرشادات ، التى تنبع من حكمة وخبرة روحية عميقة .

نوفمبر ١٩٧٥ قداسة البابا شنوده الثالث فى رسامة الراهب قساً فى مقر دير الأنبا بيشوى بالقاهرة .

الفصل التاسع

إلى الخدمة .. اذهب

اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦: ١٥)

وحكى له المتنيح الأنبا سموئيل أنه قد عاد تواً من ديربوبى عاصمة كينيا ، وأن كثيرين من القارة الأفريقية من يسمون أنفسهم الأقباط يلحون فى أن يرسل لهم أحد يعلمهم الكنيسة القبطية الحقيقية . وأنهم داوموا البقاء على باب حجرته فى الهوتيل منتظرين مقابلته ، لكى يؤكدوا له اشتياقاتهم واشتياقات شعوبهم .

قداسة البابا يوفد القس أنطونيوس البراموسى لدارسة إحتياجات الأقباط الكينيين :

وفى ديسمبر ١٩٧٥ أعطاه قداسة البابا مستندات تؤكد أنه كاهن قبطى وراهب موفد من قبل الكنيسة للقاء تلك المجموعات من الكينيين الذين يسمون أنفسهم الأقباط أو الأرثوذكس الأفريقيين ، باعتبار أنه عاش فى هذه المنطقة من القارة لسنوات، كما أنه زار بعضاً من بلادها قبلاً .

وبدأ يعد نفسه للسفر إلى كينيا – وكان أحد شباب كينيا واسمه جوزيف أومالبو قد أكمل دراسته فى الكلية الإكليريكية باللغة الإنجليزية ، وحصل على درجة البكالوريوس فى اللاهوت ، قد رسم أغبسطساً لكى يساعد الراهب فى خدمته فى كينيا . وأيضاً بدأ الشماس يستعد للسفر معه على نفس الطائرة .

الخروج إلى كينيا :

كان السفر فى الساعات الأولى من يوم الأحد ١١ يناير ١٩٧٦ على طائرة مصر للطيران، وكانت أمتعة الراهب القس هى شنطة سفر فيها أحتياجاته الخاصة، وكذا عدة متنح كاملة ولوح مقدس وختم قربان ، وأيضاً عدة الطب وبعض الآلات الجراحة التى ربما تنفع فى أى طارئ . وكرتونة كبيرة بها صور القديسين من أحجام مختلفة ، وكذا كتب الخولاجيات والصلوات والأجبية ومناهج مدارس الأحد وكذا نسخ عديدة من القداس الباسيلى المترجم إلى اللغة السواحلية ، وكان قد قام بترجمته الطلبة الكينيون أثناء دراستهم فى مصر، فى استقبة الخدمات بالأنبا رويس .

فى بيت الضيافة لكنيسة الميثوديست :

وكان فى استقبال الأب الراهب والشماس الكينى فى مطار نيروبى الأستاذ ثابت وهو أحد الأقباط المقيمين فى نيروبى . وكانت لا تزال الساعة السابعة صباحاً بتوقيت نيروبى . وعلما أن حجرتين قد حجزتا لهما فى بيت الضيافة . وبسبب التعب من السفر طوال الليل ذهبا للراحة .

وبعد الظهر طلب الشماس جوزيف أن يعطى فرصة لكى يتحدث إلى الأب الراهب ، وطالب أول كل شئ لكى يخدم خدمة متميزة ، أن تشترى له الكنيسة أرضاً ، وتبنى له بيتاً خاصاً له . وتعجب الراهب لهذا الطلب . وقال له أنت تعلم يا بنى أنه ليس لنا ذهب ولا فضة ، ولا أعرف أى شئ عن أية أموال لتغطية أحتياجاتنا . ربما تكون قد وصلت إلى نيروبى باسم الكنيسة بعض التبرعات ، ولكن لا أظن أننا نملك الآن إلا ما يكفى الإحتياجات الضرورية لمعيشتنا . ولكن الشماس بدأ يلح بإصرار ، وقال إن قداسة البابا قد وعده بذلك ، وكذا الأنبا صموئيل ... لماذا لم يأت ذكر هذا الأمر ونحن فى مصر . يلزمنى أن أكتب لهم لكى أستفسر .. فأجاب لا ، الأمر لا يمكن أن ينتظر ، لابد أن نتصرف بسرعة لأن الأراضى يزداد سعرها بسرعة كبيرة . ولو انتظرنا الرد من مصر ، ربما ندفع ضعف الثمن . ليس فى هذا الأمر عجلة بل كل شئ بالتروى والدراسة .

وبدأ الشماس يُشعر الراهب بالغربة . نحن هنا فى أرضنا وفى بلادنا . وكل ما نطلبه منك لابد أن تنفذه ، لذلا تفقد كل شئ ، وتجد نفسك وحدك ، وأيضاً تحيط بك الأخطار من كل جانب إلا لو كسبت البعض منا حتى يحموك ...

أحس الأب الراهب أن التجارب قد بدأت فى يوم وصوله إلى كينيا . وهو لم يبدأ بعد أى عمل ، ولم يمش بعد خطوة واحدة فى طريق الكرازة . "التفت إلىّ وارحمنى، لأنى وحيد ومسكين أنا . أفرج ضيقات قلبى من شدائدى أخرجنى .. احفظ نفسى وأنقذنى ، لا أخزى لأنى عليك توكلت " (مز ٢٥: ١٦– ٢٠) . ترك الراهب هذا الشماس ، وأخذ يتمشى فى الحديقة . وإذ فتح إنجيله وجد هذه الآيات ، وكم ملأت قلبه بالتعزية والقوة :

"غريب أنا على الأرض ، فلا تخف على وصاياك " (مز ١١٩: ١٩) .

على الرغم من أن الراهب القبطى قد تعود الغربة فى أماكن كثيرة ، إلا أنه شعر بغربة أكثر فى نيروبى فى الأيام الأولى من إقامته فى بيت الضيافة لكنيسة الميثودست ، لأنه أحس أنه مقيد بربط كثيرة ، وهو يريد أن يتحرك ويعمل . ولم تكن الربابطات من الداخل ، بل من الخارج. الرب قادر أن يحلها واحداً تلو الأخر .

١ – الحجرة التى كان يقيم فيها كانت ضيقة جداً ، يتحرك فيها بصعوبة . بالكاد تسع سريراً وطرابيزة وكرسياً وشماعة .

٢ – أقباط نيروبى مشغولون طول اليوم بأعمالهم . ولا يستطيع أحد منهم أن يفرغ

وقتاً إلا القليل لكي يساعده على التعرف على البلد ، وقضاء بعض الإحتياجات الأساسية .

٣ – بيت الضيافة بعيد عن وسط المدينة ، ويقع في مكان متطرف . ولابد له أن يمشي حوالي ١٥ دقيقة، لكي يصل إلى أول محطة أوتوبيس أو يجد مواصلة .

٤ – الطعام الذي يقدم في الضيافة موحد . مطعم واحد يقتسمه مضيوف البيت كلهم ، لا فارق عندهم إن كان اليوم أربعاء أو جمعة، من أيام الصوم أو الإفطار، أو المناسبات. لأنهم بروتستانت ولا يقتسون صوماً . بيت الضيافة يقتصد في المصروفات، لأن الإقامة فيه رخيصة، والمفروض أنها لمدة قصيرة فقط .

٥ – الفيزا التي دخل بها سياحية ، ولمدة ثلاثة شهور فقط ، يتعين عليه مغادرة البلاد بعدها، إن لم يمكنه الحصول على إمتداد لها أو تصريح إقامة تابع لهيئة مسجلة رسمياً في كينيا .

٦ – أهم شئ في عمله الجديد هو الحركة والإتصال بالناس ، وزيارة الكنائس الأفريقية وقادتها وشعوبها . وهو يحتاج بلاشك إلى سيارة، وفي أقرب فرصة ممكنة .

٧ – حساب الكنيسة القبطية الذي كان قد فتح منذ مدة في أحد البنوك ، تجمعت فيه بعض التبرعات على مدى سنوات ، إلا أنه لا يكفي مطلقاً لشراء سيارة وإيجار منزل للسكنى .

٨ – إذن عليه أن يختار بين المسكن أو شراء سيارة للعمل وبدء الخدمة . وإن اشترى سيارة ، فعليه أن يحتمل السكنى في أي مكان . وإن قام بإستئجار بيت والصرف على فرشه ، فلا تكون هناك سيارة ولا حركة .

٩ – الشماس الكيني المساعد له ، الذي أتى معه من مصر ، يطالب بأموال كثيرة من الكنيسة ، لكي تشتري له أرضاً، وتبني له بيتاً لسكنه شخصياً . والكنيسة ليس لها موضع لقدم بعد ...

١٠ – كان كل من يعلم عن الراهب أنه من الكنيسة القبطية ، يربط بينه وبين كنيسة أفريقية مستقلة أعطت نفسها إسم كنيسة الروح القدس القبطية في أفريقيا . وعلم من الأنباء والتعليقات أن رئيس تلك الكنيسة هو شاب كيني يسمي نفسه : صاحب القداسة الأب المقدس . ولكنه لا يتمتع بسمعة طيبة أخلاقياً .

أمام كل هذه العقبات والصعاب ، وقف الأب الراهب البراموسى ليقول : حقاً يارب أن العين البشرية قد لا ترى ولا تجد حلاً . وهى تحتاج إلى عجائب من قوتك الإلهية " اكشف عن عينى يارب فأرى عجائب" "غريب أنا على الأرض" ولكنى لست غريباً عنك ، لأنك قريب . وإن كنت وحدى ، ولكنك معى "جميع الذين ينتظرونك لا يخزون .. عرفنى يارب طرقك وعلمنى سبلك . دربنى فى حقك وعلّمنى، لأنك أنت إله خلاصى " (مز ٢٥: ٣- ٥) .

"إن إله السماء يعطينا النجاح ، ونحن عبيده نقوم ونبنى " (نح٢: ٢٠) .

علم الراهب البراموسى أن هناك مركز بريد وسوقاً على مسافة بالقدم لحوالى ١٥ دقيقة . فكتب خطابات إلى قادة الكنائس الأفريقية الذين أظهروا للأنبا صموئيل اشتياقاتهم للأرتباط بالكنسية القبطية . ودعاهم إلى إجتماع فى بيت الضيافة ، وحدد الميعاد وأنتظرهم فى اشتياق ، متوقعاً أن تكون اشتياقاتهم روحية وكنسية ...

وبدأ يبحث عن سيارة مناسبة ، يكون ثمنها مناسباً وحسب رصيد البنك . واستقر الرأى على شراء سيارة تويتا لكى تنفع فى أكثر الأغراض، ودفع العربون . وأثناء أنتظار استلامها ، ذهب ليبحث عن مدرسة للغات ، لكى يدرس اللغة السواحلية . ودفع أيضاً اشتراك المدرسة انتظاراً لبدء الدراسة .

واشترى خرائط لمدينة نيروبى ، وكذا لطرق جمهورية كينيا . وأمعن فى دراستها ، حتى تتكون فى ذهنه صورة عن جغرافية نيروبى وكينيا . وقدم طلباً للحصول على رخصة قيادة كينية . ولم يمض إسبوع على وصوله إلى كينيا حتى كان يقود سيارة الكنيسة، ويزور الأقباط فى منازلهم ويتفقدهم ، ويرتب لإقامة صلوات القداسات. وكان عبء الخطاس على الأبواب . وفى الأيام الأولى لقيادته السيارة ، كثيراً ما كان يضل الطريق . ولكنه سرعان ما يصحح مسيرته ويصل ....

وطلب مقابلة مع سفير مصر فى نيروبى ، حضره السفير وهيب المنياوى. وكان فى نيروبى مستشاراً ، وكان لقاءً طيباً ودياً وجميلاً ، دار فيه الحديث عن مارمرقس الرسول الإنجيلى والشهيد الذى أسس الكنيسة القبطية ، وأيضاً عن أرتباط الأفريقيين بالكنيسة الرسولية الأولى فى شمال أفريقيا ، كنيسة الأسكندرية . وذكر السفير جزءاً من خطبة لرئيس الدولة عن كنيسة الأسكندرية فى أفريقيا ، وأهمية هذه العلاقة لمصر كلها . وأبدى

سيادة السفير والمستشار استعداداً للمساعدة فى حل مشكلة الإقامة ، عن طريق إعطاء الأب الراهب تصريح إقامة، على أنه يخدم الأقباط المصريين والعرب الأرثوذكس المقيمين فى كينيا. وكان هذا إتفاقاً مسبقاً مع الأنبا صموئيل . وشعر الأب الراهب بارتياح وفرح ، لأن العقبات والمشاكل تزول واحدة تلو الأخرى .. حقاً يارب إن الذين ينتظرونك لا يخزون ...

نيافة الأنبا باخوميوس مع أقباط نيروبى والراهب أنطونيوس البراموسى وبعضا من رجال كنيسة الروح القدس القبطية فى نيروبى - كينيا عام ١٩٧٥

إقامة صلاة عيد الغطاس المجيد فى منزل أحد أقباط نيروبى

كان فى تلك الوقت عدد قليل من عائلات الأقباط ، منهم عائلات تعمل فى السفارة المصرية ، أو فى شركة مصر للطيران ، أو فى الجامعة ، أساتذة وأطباء . وكان يعمل فى مجلس كنائس كل افريقيا الأستاذ ثروت شحاته كرليس الحسابات واتفق أن يصلى ليلة عيد الغطاس فى منزله ، لأنه ليس هناك أى مكان آخر يمكن أن نصلى فيه ليلاً .

وقام الأب الراهب بصلاة قداس اللقان وقداس الغطاس . وحضره جميع أقباط نيروبى، وكان هذا أول قداس له فى كينيا . وبعد القداس اشتراك الأقباط فى العشاء التقليدى لعيد الغطاس ، وكانت ضحكاتهم تعلو وهم يأكلون اللقاش ...

وكان هناك ضيف من مصر ، بدأ يسأل الأب الراهب أسئلة كثيرة، حاول الراهب الإجابة على كل سؤال منها تلو الآخر ، حتى أصبحت الأسئلة تحوى شكاً فى إمكانية الكنيسة القيام بأى عمل نحو الأفريقيين ..! ومن أين لنا الإمكانيات ؟ ولماذا تأخرنا كثيراً إلى الآن؟ وأمام كل هذه السلبيات ، وضع الراهب الإيمانيات والثقة فى الرب الذى دعانا لهذه الخدمة فى الوقت وبالطريقة التى يراها هو ...

وكان الشماس الكبير جوزيف جالساً ينصت ، وهو يفهم اللغة العربية إلى حد كبير ، لأنه عاش فى مصر أكثر من أربع سنوات . وانتقل فكر السلبية الذى طُرح إلى الشماس جوزيف، وما أن أصبح الصباح حتى بدأ جوزيف يعبر عن خوفه على مستقبله مع هذه الخدمة، وأنه يفضل عملاً حكومياً ، فى وظيفة تضمن مرتباً شهرياً، بدلاً من خدمة فيها إتكال على الإيمان وعمل الله ووعوده الصادقة لكل من يخدمه بأمانة من كل القلب ..!

وحاول الأب الراهب أن يثبت الشماس الكبير، وقضى معه ساعات طويلة ، يقرأ له الإنجيل ، ويصلى معه ويعطه كثيراً ، وقلبه كله رجاء أن يتغير ويصير مكرساً للرب ، لكى يخدم بكل طاقاته ... وفى نهاية الحديث طلب الشماس جوزيف أن ترسل له شهادة بكالوريوس الكلية الإكليريكية من القاهرة . ووعده الأب الراهب أن يحضرها فى أقرب فرصة .

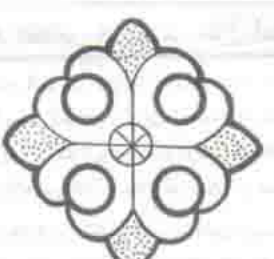

الفصل العاشر

لقاءات مع الأفريقيين

لقاء أول مجموعة من قادة الكنائس الأفريقية :

وحسب الميعاد المحدد حضر رجال الكنائس الذين دعاهم الأب الراهب ليقابلوه في بيت الضيافة . وصلى معهم وفتح الإنجيل ، وقرأ لهم جزءاً عن مارمرقس من سفر الأعمال (إصحاح ١٢) ، وحكى لهم كيف تأسست كنيسة الأسكندرية ، وكيف تعب فيها مارمرقس، وكيف سكب فيها كثيراً من الدم والدموع والعرق ، لكي يوصل رسالة الخلاص إلى المصريين ، الأفريقيين الأوائل الذين قبلوا رسالته .. قبلوا الرسالة بجدية من أول يوم ، حتى أصبح منهم في مدى سنوات أو قرون لاهوتيون وأبطال إيمان وآباء رهبنة وبابوات وأساقفة وشهداء وشهيدات ، لا يزال العالم يتعلم من تاريخ حياتهم وجهادهم وشهاداتهم .

وأنصتوا إلى ما يقال . وقاطع أحدهم طالباً أن يشرب ويأكل وآخر طلب شاياً ، وآخر قهوة، وآخر كوكاكولا .

ثم بدأوا يطالبون باحتياجاتهم المادية :

هذا يطلب أجرة المواصلات في الحضور والعودة .. "طالما أنت دعوتنا، لابد أن تعطينا كل المصاريف" . وآخر بدأ يطالب بمصروفات مدارس أولاده. وآخر يريد أن يشتري بيتاً ، ويريد أن تعطيه الكنيسة ثمن الأرض والبيت . وأحدهم حضر بسيارته القديمة، طالب أن أدفع له ثمن إطارات السيارة الخمسة الجديدة .

وتذكر الأب الراهب قول القديسة الباباشنوده له قبل سفره " سيحاول الأفريقيون أن يعرفوا كم من الأموال والفوائد سيأخذونها منك، لكي يحبوك ويتبعوك .. " .

ولما كان الأب الراهب يعرف ما هي إمكانية الكنيسة في الإستجابة لكل هذه الطلبات ، حول الموضوع وطلب منهم أن يحكي له كل واحد منهم عن كنيسته وشعبه، وهل لديهم مبانٍ أم أنهم يجتمعون في الحدائق ؟ وهل الكنيسة مسجلة رسمياً في الدولة أم لا؟

وبدأوا يحكون عن كنائسهم وعن أنفسهم :

هذا يُسمي نفسه رئيس الأساقفة فلان . وهذا الأسقف فلان . وهذا النبي فلان .. وهذا الراعي ... وكان بينهم رجل شيخ قدم نفسه على أنه أب كاهن أرثوكسي تابع كنيسة إسمها الكنيسة الأفريقية الأرثوذكسية ، وكلهم ينتمون إلى كنائس تسمى الكنائس الأفريقية المستقلة الحرة .

وحاول كل منهم أن يوكد أن شعب كنيسته بالآلاف، وأنها تعتبر عالمية .. ولم يعارض الأب الراهب ، بل أخذ أسمائهم وعناوينهم وطريقة الإتصال بهم ، ووعدهم بأنه سيزور كنائسهم وشعوبهم ، لكي يتعرف عليهم ويحييهم ، وينقل إليهم صورة الكنيسة الأولى الأفريقية كنيسة الأسكندرية .

في ماسيلو كينيا مع رجال الكنيسة الأرثوذكسية الأفريقية سنة ١٩٧٦

ولما أنتهى الإجتماع ، طلب من أحدهم أن يختم بالصلاة . فصلى باللغة السواحلية . وكان يتفعل جداً في الصلاة ، ويرفع صوته عالياً . وأطال الصلاة حتى تجمع الأطفال من الحدائق ، وجاءوا إلى مكان الإجتماع ليروا ماذا يحدث فيه من صراخ ...

وما أن خرج الأب الراهب يودعهم إلى بوابة بيت الضيافة ، حتى بدأو يطالبونه بالأموال لشراء الكاوتش وغيره . ولكن الأب أعطاهم ما يكفي لمواصلاتهم وأكثر ، داعياً لهم بالسلامة والبركة ، ومعتذراً لهم إن إمكانية إعطائهم أكثر ، حيث أنه ليس له ذهب ولا فضة ، بعد أن ترك العالم بما فيه.

وبعد أن غادروا المكان ، وقف الأب الراهب في حيرة شديدة ، وقد سمع عن أناس دخلوا إلى كنائس الإرساليات الأجنبية لأجل المنفعة والحصول على عطايا مادية .

حتى أصبحت عادة لديهم أن يذهبوا إلى الكنيسة ليحضروا الصلاة ، على أن يعطى لهم في نهاية الخدمة كيس أرز أو دقيق أو سكر أو لبن جاف . وطبعاً كان ينتفع من هذه العطايا المحتاج وغير المحتاج ، يعتبرون أنه حق مكتسب .

أجرة الجلوس :

ونوع آخر من المطالبة بالمنافع المادية ، هو أن يفترض الشخص أن وجوده هام جداً

لإقامة الخدمة. وبالتالي فإنه يطالب بأن يُعطى أموالاً مقابل جلوسه في الكنيسة والإستماع.

كل هذه الطرق منفرة ، وتحول الكنيسة إلى مؤسسة لا يهم فيها العمل الروحي بقدر مظهرية الحضور وشكلياته . ويكون الهدف فيه هو الكمّ وليس الكيف، أي عدد الناس وليس نوعياتهم ! كما تحول الإشتياق من روحي إلى مادي .

هل يصلح للكنيسة القبطية أن تقبل هذا النوع من العبادة ؟!

أم واجبها أن تظل روحانية الكنيسة القبطية ، وأصالة الشركة في الروح القدس ، كما عاشتها لمدة تقرب من عشرين قرناً من الزمان ، اهتمت فيها بإحتياج الفقير ، دون أن تنزل إلى مستوى شراء الناس بالمادة لكي يشتركوا في العمل الروحي ؟!

جلس الأب الراهب يفكر ملياً في الأمر ، وفتح إنجيله في الإصحاح السادس من بشارة يوحنا، وقرأ "فأجابهم يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : أنتم تطلبونني، ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. أعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذي يعطيكم إبن الإنسان ، لأن هذا الله الآب قد ختمه" (يو٦: ٢٦، ٢٧) .

أحتياج أم طمع :

أشفق الرب يسوع على الجموع الذين تبعوه، والذين قبلهم وكلمهم عن ملكوت السموات، وشفى المحتاجين إلى الشفاء منهم، كان واسعاً جداً فيما قال للتلاميذ في هذا الحوار .

التلاميذ : اصرف الجمع ليذهبوا .. (لو٩: ١٢) .

الرب يسوع : أعطوهم أنتم ليأكلوا (لو٩: ١٣) .

التلاميذ : ليس عندنا إلا ....

وصنع الرب يسوع معجزة عظيمة ، وأشبع الآلاف من الرجال والنساء والأطفال (لو٩: ١٧) .

ولكن ما حدث في الغد كانت له دلالته القوية ، إذ خاف عليهم الرب يسوع أن يستغل الطريق الروحي للجري والسعي وراء الماديات والجسدانيات، لئلا تعطل العطايا المادية الإشتياقات الروحية .. "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره. وهذه كلها تزاد لكم" (مت٦: ٣٣) (يو٦: ٢٧) .

وإن كان الرب قد أشفق على الجموع ، وأعطاهم ليأكلوا فى حالة إحتياج ، بسبب المكان والزمان .. فليس معنى هذا أن تكون اشتياقاتهم إليه مادية وجسدية فقط !

وكما أن الرب أعطاهم ، فقد علمهم أيضاً العطاء فى العظة على الجبل (مت٦) .

وذكر العطاء والصدقة، قبل أن يعلم عن الصلاة والصوم. وأهمية العطاء فى العبادة لا تقل عن الصلاة والصوم. وإن علمنا الأفريقيين الصلاة بلا صوم، فعبادتنا ناقصة. وإن علمناهم الصلاة والصوم فقط بدون عطاء فهى أيضاً عبادة ناقصة وعلاقة مبتورة مع الرب

وإذا تعود غنيهم أو فقيرهم أن يأخذوا من الكنيسة عن طمع أو أحتياج، فكيف نعلمهم العطاء والإشتراك فى إحتياجات الآخرين ؟!

وكيف نعلمهم الشركة فى إحتياجات الكنيسة ؟ ثم كيف يسمعون التعليم دون أن ينشغل فكرهم بما سوف يأخذون؟ وماذا سيأخذون ؟ وتكون أولياتهم هى المكسب!! "خذوا تأديبى لا الفضة، والمعرفة أكثر من الذهب المختار . لأن الحكمة خير من اللآلئ ، وكل الجواهر لا تساويها " (أم٨: ١٠، ١١) .

البدء فى دراسة اللغة السواحيلية :

ورتبت عناية الله أن تكون هناك دراسة للغة السواحلية فى مدرسة اللغات التابعة لكنيسة الإنجليكان ، تبدأ يوم ٢٦ يناير ، أى بعد وصوله إلى نيروبى بأسبوعين ، وبدأ الدراسة ، وكانت تشغله طوال اليوم صباحاً وبعد الظهر ، لأنه كورس مركز لمدة ٦ أسابيع فقط، يتعلم فيها الأساسيات . ثم يكمل تعلمه للغة عن طريق الممارسة وقراءة الإنجيل فى لغتين معاً . وكان قد تمرن على هذا الأمر ، فى تعلم اللغة النجرينية فى أسمرة، وكذا اللغة الأمهرية فى دبير برهان بأثيوبيا. وأكتشف سهولة اللغة السواحلية ، لأن فيها كثيراً من الألفاظ تقترب كثيراً من اللغة العربية .

لأن كل هذه اللغات فروع من اللغات السامية :

ومنها اللغة العبرية والعربية والعجيز والتجرينية والأمهرية . أما اللغة السواحلية فهى خليط من اللغة العربية المحرفة ، واللغة الأفريقية المحلية لغة بانتو .

وقد ظهرت اللغة السواحلية بسبب إختلاط التجار العرب من شرق البحر الأحمر فى شبه الجزيرة العربية ، مع الشواطئ الأفريقية غرب البحر الأحمر على المحيط الهندى.

وحيث التقى التجار العرب مع الأفريقيين ، ابتدعوا لغة يفهمون بها بعضهم البعض. فخرجت لغة مختلطة (أفريقية عربية) حوالى ٤٠٪ منها عربية، والباقى أفريقية .

فى نيروبى مع مجموعة من الدارسين للغة السواحلية فى مدرسة اللغات مارس عام ١٩٧٦

وأسموها إسماً عربياً بالكلية : لغة السواحل وتسمى رسمياً Ki Swahili (مع إضافة كلمة Ki . فاللغة العربية تسمى Ki Arabu واللغة الفرنسية Ki Faransa .

وفى كينيا ، لغة القبائل تسمى على إسم القبيلة مع إضافة Ki .

فمثلاً قبيلة الأكامبا تتكلم لغة كيكامبا، وقبيلة الميرو تتكلم لغة كيميرو ، وقبيلة اللوهيا تتكلم لغة الكيولوهيا . وبعض هذه اللغات تتقارب وبعضها يتباعد . حتى لا يستطيع أهل قبيلة ما أن يفهموا لغة القبيلة الأخرى . وهنا يمكن أن تستعمل الإنجليزية كلغة متوسطة أو السواحلية فى بعض المناطق .

واللغة السواحلية موطنها الأصلى هو دولة تانزانيا وجزيرة زانزبار . وهى منتشرة بكثرة فى كينيا ، وأوغندة ، وأيضاً رواندا، وبورندى، وشمال زامبيا، وشرق زائير.

التعرف على نشاط الكنائس فى مجالات التنمية والتدريب المهنى .

وكان الأب الراهب البرامومى يقضى أمسياته بين افتقاد عائلات الأقباط ، ودراسة الكتاب المقدس والصلاة معهم ، أو فى دراسة اللغة السواحلية ، أو التعرف على أنشطة الكنائس الخرى فى مجالات التنمية ومساعدة الفقراء والعاطلين .

وفى نيروبى يوجد المقر الرئيسى لهيئة الأمم المتحدة لحماية البيئة .

وكان يعمل فيه فى ذلك الوقت الدكتور رمسيس ميخائيل ، ودعوه فى إحدى الأمسيات أن يحضر عرض شرائح ملونة عن نشاط كنيسة إنجيلية فى مجالات الخدمة الإجتماعية والتنمية، وكان البرنامج مشوقاً جداً ، ويعطى صورة عن أحتياجات الفقراء فى كينيا ، وكيفية تطويرهم ، بتعليمهم حرفاً يدوية، وإعطائهم الإمكانيات أن يعتمدوا على أنفسهم فى كسب الرزق وتغطية إحتياجات العائلة .

وفرح الأب الراهب بهذه الخبرة ، لأنه كان يتلمس من الرب إرشاداً فى نوعية الخدمة الإجتماعية التى يمكن أن تقدمها الكنيسة القبطية لفقراء افريقيا . وكان يبحث عن مبادئ أو أساسيات توضيح تنظيم هذه الخدمات ، تسير عليها خدمة الكرازة .

البحث عن كنيسة صغيرة ، لصلاة القداسات بانتظام :

كان صعباً جداً على قلب الأب الراهب ، أن يمر يوم الرب بدون صلاة القداس والتعزية بكلمة الرب والقراءات والتأمل فيها . وقابل بعض عائلات الأثيوبيين ، الذين بدأوا يقدمون له الدعوة لزيارة منازلهم ، وخصوصاً لأنهم كانوا يجدون شوقاً وتعجباً فى تحدثه إليهم باللغة الأمهرية .

وفرحوا بأخبار البدء فى تأسيس كنيسة قبطية فى كينيا، ورحبوا بالإشتراك فى أنشطتها وأحتياجاتها . وكان من هؤلاء الأثيوبيين الأرثوذكس عدد ليس بقليل من اللاجئين الذين تركوا بلادهم بسبب الوضع السياسى والإقتصادى المتردى فى أثيوبيا فى ذلك الوقت تحت حكم منجستو هايل ماريم .

أين ومتى سيصبح فى إمكاننا أن نجمع هؤلاء كلهم : الأقباط المصريين ، ومن له اشتياق من الكينيين، وبعض السودانيين والأثيوبيين للصلاة والعبادة ، فى مكان مستقر؟ لأن القداس كان يُصلى فى منازل الأقباط ...

ذهب الأب الراهب لمقابلة رئيس كنيسة الأنجليكان ، وإسمها فى كينيا كنيسة محافظة كينيا **Church of The Province Of Kenya** . ورحب به رئيس الأساقفة . وبدأ يسأله أسئلة كثيرة عن إقامته وخدمته وشعبه . وما هو هدفه من البقاء فى كينيا ؟ وهل ينوى الإستمرار ! وأجاب الأب الراهب على قدر ما يستطيع .

وقام رئيس الأساقفة بدعوته لزيارة منزلـه ، حيث هناك كنيسة صغيرة خاصة بـه . وحيث أنها لا تستعمل يوم الأحد ، فقد عرض عليه أن يؤجر هذا المكان يوم الأحد لمدة ٣ ساعات لإقامة الصلاة .

وكانت فرحة الراهب كبيرة ، لأن الكنيسة صغيرة تسع حوالى ٤٠ شخصاً.

وهى فى مكان هادئ ، وبها مكان يصلح أن يكون هيكلاً وإن كان صغيراً ، وبه طرابيزة يمكن أن تصلح مذبحاً متنقلاً .

وكان الإنجليز قد استعمروا دولاً كثيرة فى أفريقيا ، ونشروا فيها عقيدة كنيستهم ، وأسسوا بها كنائس ، وبنوا مقراً لرئيس الأساقفة مقابلاً لمقر رئيس الدولة ، وفى أحسن بقاع العاصمة لندن، حيث تمثل السلطة الدينية والسلطة السياسية متقابلتين . ولذا كانت الكنيسة الصغيرة تقع فى مقر رئيس الكنيسة الإنجليزية .

تريد قداساً يبدأ متأخراً ، وينتهى مبكراً :

كل يوم أحد ، كان يحمل الحقيبة التى تحتوى على كل لوازم المذبح المتنقل، ويصلى القداس فى منازل الأقباط بالتناوب . والآن حيث وجدت لنا كنيسة صغيرة مؤجرة ، فإنه كان فرحاً بالتنظيم الخدمة كما نوقع .

ولكنه فوجئ بأن الأقباط يطالبون بأن القداس يكون كل أسبوعين مرة، لأنهم يريدون أن يخرجوا للنزهة يوم الأحد . وكان هناك شبه إجماع على هذا. ومع أن هذا الأمر كان صعباً على الراهب، إلا أنه أدرك بمرور الوقت أنه كان ترتيباً من الله، لكى يتفرغ الراهب بعض أيام الأحاد للقاء الكبليين (الأقباط) المشتاقين للتعرف على الكنيسة القبطية .

وتم تنظيم مواعيد الصلاة مرتين كل شهر . ولكنهم كانوا يحضرون متأخرين جداً قبل نهاية الصلاة بقليل . وكانوا دائماً يسألون : متى يبدأ القداس ومتى ينتهى . ولما تكرر تأخر الشعب فى حضور الصلاة ، فاتحهم الأب الراهب عن ضرورة حضورهم مبكرين . وحاول إقناعهم بأن ذكر لهم آيات من الكتاب المقدس . ولكنهم قالوا إن الحقيقة أنهم يسهرون يوم السبت ليلاً إلى ساعة متأخرة فى لقاءاتنا ودعوات وأفلام فيديو وغير ذلك، ويستيقظون متأخرين صباح الأحد . إذن لابد أن تبدأ الصلاة فى موعد متأخر ..!

وكما كانوا يريدون أن يقضوا يوم الأحد فى نزهات الطبيعة ، فإنهم يريدون أن يبدأوا

هذه النزهات ميكرين يوم الأحد . إذن لابد أن تنتهي الصلاة يوم الأحد في موعد ميكر . وكانت دعابة لطيفة أن قال لهم كيف نبدأ الصلاة الساعة ١١ صباحاً لكي ننتهي منها الساعة ١٠ مثلاً ؟

وبمرور الوقت أدرك الأب الراهب أن ذلك الفتور كان بسبب نقص الرعاية، وعدم التعود على حضور الصلاة باستمرار لمدة سنوات طويلة وهم في الغربة. ولكن ما أن أنتظمت الصلاة والقداسات والمناسبات الكنسية ، والعظات، وزيارات الإفتقاد ودرس الكتاب في البيوت ، حتى بدأوا يستجيبون كثيراً .

وظهر جلياً اشتياقهم للإشتراك في كل نشاط روحي، وفي الإعتراف والتناول وحضور القداس ميكرين ، وتشجيع أولادهم على حضور مدارس الأحد .

إستمرار الإقامة في بيت الضيافة أصبح صعباً بعطل الروحيات :

وبدأ الصوم المقدس لعام ١٩٧٦، وكان بيت الضيافة يقدم طعاماً واحداً للكل. ولم يستطع الأب الراهب أن يشترك في هذه الطعام، وحاول إقناع المسئولين أن يجهزوا له مأكولات نباتية، ولكنهم أصروا على أن يختار ما يناسبه مما يقدم للضيوف مجتمعين . وعرض عليهم نقوداً لكي تغطي تكاليف الطعام الخاص ، ولكنهم أعتذروا.

كما أن البدء في إقامة القداسات في الكنيسة الصغيرة المؤجرة ، أظهر مشكلة جديدة وهي أنه ليس للراهب مكان لعمل القربان. لأنه حين كان يصلي في بيوت الأقباط، كان يعمل القربان هناك ، أما الآن فهو يحتاج إلى إمكانيات لعمل القربان .

ولم تمض أيام حتى علم أن الأستاذ ثروت شحاته الذي يعمل كرئيس حسابات مجلس كنائس أفريقيا، سوف يتغيب عن نيروبي لمدة ٦ شهور ، يقضيها في أوروبا في بعثة دراسية. وتم الإتفاق أن يقيم الأب الراهب في السكن المخصص له ، وهو البيت الذي يملكه مجلس الكنائس .

وكم كانت فرحة الأب الراهب أن ينتقل من بيت الضيافة إلى سكن آخر، يعطي حرية في إعداد الطعام المناسب للصوم ، وكذا إمكانية عمل القربان ، وكذا إستقبال الضيوف، وعمل لقاءات درس كتاب للكنيسين (الأقباط)، لكي يتعرفوا على رسولية وأصالة وروحانية وأسرار الكنيسة القبطية .

الفصل الحادى عشر

تنقية الكرم

"كان لحبيبى كرم على أكمة
فنقبه ونقى حجارته"
(أش٥: ١)

إدعاء وجود خدمة للكنيسة القبطية فى ماسينو لمدة عام :

فوجئ الأب الراهب فى أول يوم من الشهر ، برجل يدعى ريتشارد يحضر لمقابلته ، ويطالب بالمرتب الشهرى ، وكذا مصاريف الإنتقال إلى نيروبى من منطقة ماسينو على خط الأستواء (على بُعد حوالى ٤٠٠كم) وكذا مصاريف إقامته فى الهوتيل فى نيروبى .

وكان الأمر كله غريباً على الأب الراهب، الذى بدأ يتحرى عن الأمر جيداً من أساسه. وعلم أن ريتشارد هذا تابع للكنيسة الإنجليكانية، وهو فى حوالى الأربعين من العمر، ومتزوج وله عائلة كبيرة ، ويعمل مدرساً ابتدائياً فى منطق ماسينو . وكان قد تعرف على نيافة الأنبا صموئيل المتنيح عن طريق قريب له يعمل فى مجلس كنائس أفريقيا. وطلب من الأنبا صموئيل أن يعطيه الفرصة للحصول على درجة الماجستير فى اللاهوت من مصر ، لكى يخدم الكنيسة القبطية فى منطقة خط الإستواء . والتزمت الكنيسة القبطية بسفره إلى مصر ، وقدم إستقالته من عمله. وسافر وهناك تعمد، وقام فى منطقة الأنبا رويس وسط الطلبة الكينيين والأوغنديين ، وبدأ دراسة الكلية الإكليريكية قسم الدراسات الأفريقية ، ولكن لم تمض أسابيع قليلة حتى بدأ يتململ، ويطالب الا يلتزم بالأصوام ولا بالقداسات بانتظام، حتى المحاضرات لا يحبها! بل هو يريد أن يحصل على درجة الماجستير ، لكى يعود إلى بلاده وعائلته وأولاده ، ويكفيه أنه ضحى بوظيفته ، تـرك بلده وسافر إلى مصر . أليست هذه مؤهلات كافية للحصول على الدرجة والعودة !

ولم تمض شهور حتى وصلته برقية بأن زوجته فى حالة خطرة صحياً، وعاد إلى كينيا بعد أن جمع ملابس وهدايا كثيرة ، على إنه سيخدم الكنيسة القبطية، ويترجم كتب صلواتها إلى لغة القبيلة وهى لغة الأباتويا. واكتشف الأب الراهب من كشوف الحسابات الموجودة ، أنه يحصل على مرتب شهرى كبير من الكنيسة، دون أن تعرف أى شئ عما يقوم به من خدمات أو ترجمات ، وكان يطالب بسلفيات كثيرة لأسباب كثيرة، ولا يسدد أى شئ منها .

المواجهة :

دق جرس الباب فى المنزل ، وكان ريتشارد واقفاً يطالب الأب الراهب أن يدفع حساب التاكسى الذى حضر به . ولم يكن الأب محتاجاً إلى كثير من الوقت ، لكى يدرك أن الزائر كان مخموراً ، وكانت عيناه محمرتين ، ورائحته نفاذه جداً ، وجلسا :

وسأله الأب عن خدمته ، وماذا يقوم به فعلاً ؟ فقال إجتماعات وترجمات .

ماذا يقال فى الإجتماعات ؟ .. أعلم عن الكنيسة القبطية ..

وماذا تعلم ، ما هى مصادر تعليمك ؟ .. ما تعلمته فى مصر ..

كم شهراً قضيتها فى مصر ؟ .. ستة شهور ...

هل تدرس عقيدة الكنيسة القبطية ؟ .. ومن أين أعرفها ...

هل تقوم بالخدمة كل يوم أحد .. ؟ لا فإننى أمسى بعض أيام الأحاد فى كنيسة الأنجليكان للتناول .

وبدا ريتشارد يُطالب بمصاريف مدارس الأولاد ، ومصاريات كثيرة . وقال إن أولاده طُردوا من المدرسة بسبب نقص النقود .

ورفع الأب قلبه إلى الرب ، وقال أنت يارب تعرف كل شئ ، ولا يخفى عليك أمر . ما هى حقيقة هذا الرجل؟ وما هى أحتياجاته الحقيقية ؟ إننى أريد يارب أن أكون أميناً نحو أموالك ، وكذا رحيماً نحو هذا الرجل .

وفجأة قال الأب لمستر ريتشارد "أنا علمت أنك عُدت إلى عملك فى الحكومة كمدرس إبتدائى". وهنا ظهرت عليه علامات الإضطراب وقال: فعلاً .. لا .. لم أستلم العمل بعد.. نعم استلمت العمل، ولكن لم استلم المرتب .. نعم .. لا .. أنا أصل الآن فى الحكومة ..

وقال له الأب : نحن نشكر ربنا كثيراً أنك عدت إلى عملك الآن ، ونشكر ربنا أيضاً الذى أعطانا أن نساعدك فى فترة تعطلك ، بعد أستقالتك لأجل ذهابك إلى مصر . والآن سوف نعطيك مساعدة وندفع لك الهوتيل والمواصلات . وسوف أحضر إلى ماسينو بعد أسبوع ، لكى نبحث الأمر فى الخدمة التى تقوم بها ...

وأمام هذا أخرج ريتشارد من جيبه خطاباً من وزارة التعليم، فيه قرار بإعادة تعيينه فى وظيفته السابقة ، على أن يتسلم مرتبه من أول يناير ١٩٧٦م .

وبعد أسابيع حين وصل الراهب إلى ماسينو، علم أن مستر ريتشارد هو وعائلته أعضاء بارزون ومنتظمون فى كنيسة الإنجليكان ، وأنه لم يكن يعمل أية إجتماعات ، بل ينشر فى كل مكان أنه يمثل الكنيسة القبطية ، والمتحدث بإسمها فى منطقة خط الإستواء - أما عن الترجمات التى قال إنه قام بها ، فهى نصف صفحة مقدمة الأجنبة .

بداية الأسفار فى كينيا :

ما أن انتهى الأب من دراسة اللغة السواحلية وجاز الإمتحان ، حتى رتب السفر إلى المناطق التى يقطن فيها الكينيون الأفياط والأفريقيون الأرثوذكس كما يسمون أنفسهم .

وكانت أول رحلة فى الأسبوع الثانى من مارس ١٩٧٦ ، وكان السفر بسيارة الكنيسة، يرافقه فيها الشماس الكينى جوزيف، والمسافة حوالى ٤٠٠كم ، والطريق فى جملة صعبة فى بعض المناطق ، أما فى المناطق الأخرى فكان جيداً جداً . وكان مرورنا على مناطق شاسعة بها نبات أخضر، لونه جميل ويمتد كالبساط المنتظم جداً . وعلم أن هذه مزارع الشاى الذى تشتهر به كينيا . كما أن الطبيعة على طول الطريق غنية جداً بالمناظر الطبيعية الرائعة ، والخضرة تغطى كل مكان ، ويجدها الناظر فى درجات كثيرة من العمق والإنفتاح . كما أن الجو معتدل ، ليس فيه برودة ولا حرارة ولا رطوبة ، وبلا جفاف بل هو الجو المثالى .

بدأت الرحلة الساعة التاسعة والنصف صباحاً . ووصلوا إلى كيسومو عاصمة محافظة نيانزا حوالى الساعة الثانية ظهراً . وكان أمامهم حوالى ثلاثين كيلومتراً أخرى، يسافرونها لكى يصلوا إلى منطقة خط الإستواء ، التى ينتظرهم فيها الأفريقيون الأرثوذكس .

وفى كيسومو عاصمة نيانزا، وهى تقع على شواطئ بحيرة فكتوريا، استراحوا قليلاً وأكلوا شيئاً من طعام صياحى حيث كانت أيام الصوم الكبير . ولم يجدوا مكاناً يأكلون فيه إلا السيارة. ثم أكملوا الرحلة إلى ماسينو، وصلوها الساعة الرابعة مساء، ونظر الشماس جوزيف إلى الأب الراهب، وقال (أبونا لقد قدمت السيارة لمسافة ٤٠٠كم متواصلة كنت متصوراً أنك ستتعب على الطريق الطويل، وتتراجع قبل أن تكمل الطريق)! وأجابه الأب الراهب وهو يبتسم (كيف نتعب أو نتراجع ، ولحن لم نبدأ بعد٢٣ المشوار طويل والعمل كبير) .

فى ماسينو على خط الإستواء :

ولاحظ الأب أن الطريق إلى ماسينو من كيسومو، هو متسلق ويرتفع تدريجياً فوق قمم جبال كثيرة. ولاحظ تحسن الجو من حرارة كيسومو إلى برودة وإعتدال الجو فى ماسينو، حيث أن كيسومو تقع حوالى ٢٥٠٠ قدماً فوق سطح البحر ، بينما أن ماسينو حوالى ٤٨٠٠ قدماً فوق سطح البحر . ومروا على خط الإستواء ، وجدوا على الطريق علامة

لطيفة هى عبارة عن كرة أرضية صغراء يقسمها خط أحمر، وهو خط الإستواء ، الذى يقسمها إلى النصف الشمالى والنصف الجنوبى. وهى موضوعة على قائم له أربعة أرجل، إثنتان تمثلان خط الإستواء ، والرجلان الأخريان كأنهما لرجل يضع رجلاً فى نصف الكرة الأرضية الشمالى ، والرجل الأخرى فى النصف الجنوبى . وعلى جانبى الطريق لافتات موضوعة بحيث يكون الخط الممتد بينهما يمثل خط الإستواء . وظهر عليها مقدار الإرتفاع فوق سطح البحر وهو ٤٥٠٠ قدماً .

عبروا خط الإستواء إلى نصف الكرة الشمالى، وصلوا إلى ماسينو ومنها إلى كيما، (وكيما تعنى القرد)، لأن هذه المنطقة معلوءة بالقرود التى تقطن الجبال. وذهبوا إلى منزل ريتشارد (الذى يدّعى أنه خادم الكنيسة القبطية فى المنطقة)، وهؤلاء كلهم من قبيلة أبالويا ويتكلمون لغة إسمها كيلوهيا، وهى لغة نادرة المثال فى كينيا، لأنها تستعمل حرف الـ خ كثيراً مثل كلمة بواخيرا وتعنى مساء الخير ، فى حين أن أغلب لغات كينيا لا تعرف حرف الـ خ ولا غ ولا ض . ولكن لغة اللوهيا فيها كثير من التقرب إلى لغة فى أوغندا إسمها لغة باجندا .

أول لقاء مع الأقريقيين الأرثوذكس فى ماسينو :

كان اللقاء بعد ظهر يوم الأربعاء العاشر من مارس ١٩٧٦ فى منزل الأب يعقوب وهو بيت صغير من الطين ، ومغطى بسقف من الحشيش المجفف ، وبه كراسى خشبية بسيطة ، وشبابيك صغيرة لا تكاد تعطى تهوية كافية للمكان . وإجتمع شعب كثير من النساء والرجال والأطفال ، الذين حضروا ليروا لأول مرة راهباً من مصر، غريباً فى شكله وملابسه ولحيته الطويلة ، وكانوا يسلمون عليه فى إستغراب . أما الأطفال فمنهم من كان يفزع من التقرب منه أو السلام عليه .

ولم يكن الأب البراموسى يعرف أن اللقاء الأول كان نواة لإنشاء دير مارمينا فى نفس المنطقة ، وإنضمام كثيرين من أهل المنطقة إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، بعد مرور حوالى ٧ سنوات من السفر والعمل المتواصل .

بدأ الشعب يرتلون بأصوات جميلة رائقة صافية ، مستعملين الطبلة والدق كآلات إيقاع قائلين : نياساى اوملاهى ومعناها الرب صالح ، وبها كانوا يعبرون عن فرحهم باستقبال الأب الكاهن من مصر ، من الكنيسة الرسولية الأولى ، الذى طالما انتظروه . وقدموا

للترحيب بالضيوف الشاى والفول السودانى ، وأيضاً نوعاً من الموز حلو المذاق جداً ، ولكنه صغير الحجم بشكل يلفت النظر ، إذ أن الأصبع منه لا يزيد طوله أو سمكه أكثر من حجم الأصبع البشرى مرتين . وكل هذه المأكولات ينتجها الشعب من زراعة الأرض التى يعيشون عليها ، حيث أن ليس لديهم أية مشكلة من ناحية الرى ، لأن الأمطار طوال العام تقريباً كما أن الأرض خصبة جداً وتجود عليهم بخيرات كثيرة . لذا يمكن أن نقول بصدق إن كينيا بها فقراء ، ولكن ليس بها جوعان واحد. كما أن كينيا بها أعلى معدل زيادة سكان فى العالم كله .

كرازة القديس مارمرقس هى موضوع الحديث فى أول لقاء :

وتحدث الأب الراهب عن البركة التى نالها شعب مصر وأفريقيا من قدوم القديس العظيم مارمرقس إلى أرض أفريقيا فى الإسكندرية ، وعن تبشيره لنا بنور الإيمان بربنا يسوع المسيح. وكان الأب يتكلم باللغة الإنجليزية ، ويترجم له مستر ريتشارد جملة جملة. وأنصت الجميع حتى الأطفال والشباب والنساء، وكنت ترى فى عيونهم وفى تعبيراتهم مقدار الإشتياق إلى المعرفة أكثر عن هذا الموضوع ، وخصوصاً عندما بدأ يحكى لهم عن قصة مارمرقس كاملة، من وصوله إلى الأسكندرية حتى معجزة الشفاء الأولى التى صنعها الله على يديه ، حتى تأسيس كنيسة الإسكندرية والكلية اللاهوتية الأولى، واستشهاده فى شوارع الأسكندرية .

" من مصر دعوت إبنى " (هو١١: ١) .

من أفريقيا دعوت إبنى :

اكتشف الأب أهمية التعليم بأن مصر جزء من أفريقيا ، وأنها استقبلت واستضافت العائلة المقدسة والآباء البطاركة الأوائل ، والأنبياء مثل ابراهيم وسارة ويعقوب والأسباط، وولد فيها موسى النبى ، وعاش وحكم فيها يوسف الصديق ، وحضر إليها أيضاً أرميا النبى ، وأن مصر قامت بهذا الدور كله بالنيابة عن أفريقيا والشعب ككل "لأن ملاك الرب لما ظهر ليوسف فى حلم قائلاً قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر " (مت٢: ١٣) .

فإن الرب هو الذى أختار أرض افريقيا ومصر بالأخص ، لكى يحضر إليها ويعيش فيها ويباركها ، ويأكل من خيراتها ويشرب من مائها .

الرب يسوع المسيح شرب من مياهكم هذه :

وقال لهم الأب الراهب إن الأمطار التى تسقط على أرضكم هذه، تتحدر فى أنهار كثيرة لكى تتجمع فى بحيرة فيكتوريا. هذه المياه تتدفق شمالاً فى النيل الأبيض، الذى نشرب من مياهه فى مصر . ومن هذه المياه شرب الرب يسوع ، وأمنا القديسة العذراء مريم والقديس يوسف الصديق .

وكانت ولازالت هذه الحقائق تفرح الشعب الكينى جداً ، حتى أنهم يتهللون ويصفقون ويطبلون ابتهاجاً . وحيث أن مثل هذه التعاليم تمثل الوثق التى تربط بين شعوب القارة الواحدة من جهة الإيمان والإنجيل برباط الدم ، فإن قصة نوح أيضاً تربطنا بهم برباط الدم والقرابة الجسدية ، حيث يؤكد الكتاب المقدس أننا أولاد حام ابن نوح "كان نوح رجلاً باراً كاملاً فى أجياله ، وسار نوح مع الله ، وولد ثلاثة بنين سام وحام ويافث " (تك٦: ٩) . وبنو حام ، كوش (أثيوبيا)، ومصرايم (مصر) وفوط وكنعان (تك١٠: ٦) . وهذا يعطى إشارة إلى أن أبناء أفريقيا هم أبناء رجل واحد هو حام ابن نوح ، الذى خرج منه ٤ شعوب ينتمون إلى قارة واحدة هى أفريقيا .

الفصل الثانى عشر

هل هناك .. موضع لقدم ؟

"العصفور أيضاً وجد بيتاً والسنونة عشاً .." (مز٨٤: ٣)

هل يمكن أن نجد مسكناً في ماسيتو على خط الإستواء :

في تلك الأيام لم يكن للكنيسة القبطية موضع لقدم في قارة أفريقيا جنوب خط الإستواء، حاول الأب الراهب أن يجد مكاناً يبيتون فيه ليلتهم ، وقد تمكن منه التعب بعد السفر، وهو يقود السيارة من نيروبي وهي مسافة أكثر من ٤٠٠كم، وبعدها جلس يتكلم مع الشعب لمدة ساعتين أو أكثر. وسأل عن هوتيل أو بنسيون. وقالوا في كيسومو فقط توجد الهوتيلات، وهي على بُعد ٣٠كم. وسأل عن سكن دائم ينفع للإستقرار، لكي يعيش فيه خدام الكنيسة ، ودلوه على صاحب بيت من نفس المنطقة إسمه مستر جوليوس ، ولديه بيت يمكن تأجيره .

لم يكن في مقدوره أن يبحث كثيراً ، ولكن ما أن وجد بالطة هوتيل إسمه منظر الشرق حتى توقف هناك يطلب مكاناً لكي يرقد ، لأن آلام العضاريف في الظهر كانت قد بدأت تشتد. وقالوا ليس هناك أي مكان إلا حجرة مشتركة للراهب والشماس جوزيف الكهني، وقبل دون تردد بسبب التعب، حيث لا يمكنه البحث عن أي مكان آخر . وما أن راح الأب في نوم عميق ، حتى بدأت الموسيقى وأصوات السكارى وقرقعة الأكواب والزجاجات تزيد بطريقة صعبة .

وما أن أصبح الصباح ، حتى حاول بكل الطرق أن يبحث عن هوتيل آخر ، حيث يجد الأب حجرة مستقلة ، كما يكون أكثر هدوءاً ليلاً حيث لا توجد فيه حانة .

وشدهم انتباق الشعب الذي حضر الإجتماع بالأمس ، فسافروا إلى ماسيتو مرة أخرى بعد الظهر ، لمحاولة اللقاء مع الشعب والقادة المحليين، وأيضاً لأجل إستئجار البيت الذي سيكون مركز الخدمة في المنطقة .

وذهبوا إلى منزل ريتشارد ، وجلس يتحدث مع أولاده ، وأروه شهاداتهم في المدرسة، وعلم منها أنهم يتعلمون مجاناً .

وحضر ريتشارد ودعاهم إلى طعام العشاء ، ثم طالبهم بأن يتفضلوا له مصاريف أولاده في المدارس . وهنا أجاب الأب : أنا علمت أن أولادك يتعلمون مجاناً، وأنت قد عدت إلى وظيفة التدريس ، وأنا سعيد أن أحوالك بخير، وأن زوجتك أيضاً تعمل مدرسة ، والواضح أنكم مرتاحون مادياً . أرجوك أن تترك الكنيسة تؤدي دورها نحو المعلمين، الذين ليسوا لهم وظائف مثلك ومثل زوجتك. إن أردت أن تساعدنا في الخدمة فمرحباً بك ، ولكن لا

تطالب بأموال أكثر .

"حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية ، هل أعوزكم شئ" (لو٢٢: ٣٥) .

التلاميذ قالوا لا لم يعوزنا شئ .

ووقف الأب الراهب يتعجب وهو يقول : ونحن أيضاً يارب " لم يعوزنا شئ" . ووجد تشجيعاً كبيراً لأن يد الرب تظهر وتعمل عملاً ، لكي يؤكد : لم يعوزكم شئ ، ولن يعوزكم شئ أيضاً فى المستقبل ، مهما طال زمان خدمتكم .

وهذه قصة ما حدث :

فى ثانى يوم وصول الأب الراهب إلى منطقة خط الإستواء ، وهو الخميس ١١ مارس ٧٦، حاولوا العثور على صاحب البيت الذى يرجون أن يؤجروه فى ماسيتو دون جدوى. وقضوا وقتهم وسط الشعب وفى زيارات منازل كثيرة . وما أن علم الناس أن الراهب يعرف فى الطب حسب مهنته ، حتى بدأوا يطلبون علاجاً ، ويسألون استشارات . وحين أمسى المساء، صلى معهم ثم توجهوا للسفر إلى كيسومو .

وفكروا أن يمروا على منزل صاحب البيت . وفعلاً وجدوه ورتبوا معه ميعاداً للتباحث فى تأجير المنزل . ولما حان الوقت حضر صاحب البيت ومعه أخوه، الذى طالب الراهب بإيجار مرتفع جداً هو حوالى ٧٠٠ شلن فى الشهر ، أى حوالى مائة دولار أمريكى فى الشهر. وكان هذا مبلغاً كبيراً بالنسبة للبيت ومساحته وحالته. ووافق صاحب البيت على تأجير نصف البيت فقط. وتقدم الأب الراهب ليدفع له أجرة نصف شهر حيث أنهم سيسكنون فيه من ١٥ مارس، ولكن شقيق صاحب البيت تدخل وقال : إن الهيئات الكنسية لديهم أموال كثيرة ، ويجب أن تدفعوا شهر مارس كله، ولكن الأب الراهب حاول أن يوضح أن هذه هى أموال الله، اذا يجب عليه أن يكون أميناً نحو كل مقدار منها. وطلب أن نكون حقانيين وقال : إننى قد تركت مهنتى من أجل خدمة الله والشعب ، وليس لدى الكثير بل ما يجود به علينا الله.

وفوجئ الأب الراهب وكل مرافقيه بصاحب البيت مستر جوليوس أوتنيو (الرب قادر أن يعوضه خيراً بالباقيات عوض الفانيات) يقول للأب الراهب : لا أريد منك إيجاراً مطلقاً. سأعطيك أن تسكن فى هذا البيت مجاناً كيفما تشاء . والمدة التى تريدها اعتبر ما كنت سآخذه منك تبرعاً للكنيسة . لقد جئت لكى تساعد شعبى روحياً وطبياً . وإننى أشعر

ببركة سكناك، هذا في منزلي واطلب منك أن تقوم بتغطية إستهلاك الكهرباء وشكره الأب الراهب وصلى معهم، وطلب من الرب له بركة خاصة .

"إنني لا أدخل إلى مسكن بيتي ، ولا أصعد على سرير فراشي، ولا أعطي نوماً لعيني، ولا تغاساً لأجفاني، ولا راحة لصدغي، إلى أن أجد موضعاً للرب، ومسكناً لإله يعقوب " (مز١٣٢: ٣، ٤) .

ما أن خرج الأب الراهب من هذا اللقاء الذي فيه ظهرت يد الرب جلية، تعطيه مسكناً مجاناً في ماسبلو ليسكن فيه هو وشمامسة الكنيسة ومن يأتي من خدام في المستقبل، حتى رفع عينه إلى السماء ، وبارك الرب الذي أحس أنه قريب منه في غربته وحده وسط هذه القارة الواسعة ، لكي يبدأ من الصفر ، بل من تحت الصفر . ها قد وجدنا مسكناً للبشر والخدام . هل يمكن أن نجد مسكناً للرب ؟

وكان يوم السبت ١٣ مارس ٧٦ حين عاد "الراهب والشماس جوزيف الكيني" إلى منطقة خط الإستواء، لكي يرتبوا خدمة الغد، ويسألوا عن كنيسة يمكن أن يؤدوا فيها الصلاة مع الشعب. وقابلوا الأب يعقوب أومولكوى الذي قال إنه توجد كنيسة في لوندا وهي ضاحية من ضواحي ماسبلو . وإن رجلاً يريد مقابلتهم ، لأنه قد أهدى الكنيسة لهم العبادة فيها. وقفز قلب الأب الراهب في داخله، وكأنه لا يصدق كل هذه العطايا من يد الرب .

لقد قررت أن أعطيكم هذه الأرض والكنيسة هدية ! ولكن أدفع الثمن :

وجاء الرجل وقدموه إلينا إنه مستر قابيل . تعجب الأب الراهب أن الأفريقيين يستعملون إسم قابيل (قاتل أخيه هابيل البار) وقال إنه قد قرر تقديم الأرض والمبنى هدية للكنيسة القبطية ، وتحمس الجميع أن ينتقلوا فوراً إلى هناك، وهم في أكثر الشوق لأن يروا المكان ليفرحوا به . ووجدوا كنيسة مبنية من فروع الشجر والطين ، وسقفها من الصاج المعرج وقد أكله الصدأ . والأرض حولها غير ممهدة بل مغطاة بالعشب الجاف ، وشكرناه ، وقال له الأب الراهب الرب يعوضك ، نشكرك جداً على عطيتك . ولكن الرجل صمت قليلاً ، ثم قال إنه يريد تعويضاً عنها . وأن بقية الأبنا صموئيل قد اتفق على دفع ثمناً لها ٤١٠٠٠ شلن .

وتعجب الأب الراهب كيف تكون هدية ويدفع ثمناً! وقال الرجل هذا ما اتفق عليه الأبنا صموئيل .. هل وقع على إتفاق معهم؟ لا .. هل لديكم مكتوب ؟ .. لا .. قال الراهب إننا

لا نملك أن نشترى هذه الأرض ولا المبنى، ولكن إن كنت تريد مساعدة خدمة الله، فنرجوا أن تسمح لنا بإستعمال المبنى أثناء إجتماعات الصلاة، كمساهمة منك فى خدمة الكلمة. فوافق وشكروه . وقرروا أن تكون العبادة يوم الأحد .. (الغد) فى هذه الكنيسة ، لأن كوخ الأب يعقوب لا يكفى لتجمع الشعب .

الكنيسة الفقيرة من الطين والصاج فى أوغندا كينيا مع الشعب سنة ١٩٧٦

تجمع شعب كثير ودخلوا الكنيسة وجلسوا على مقاعد هى عبارة عن سيقان الشجر ، مشقوقة نصفين وموضوعة فوق حجارة . وحكينا لهم قصة القديس مارمرقس الرسول، وحدثناهم عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وعلى وحدة الماء والدم التى تربط بين الأفريقيين كلهم ، ومن بينهم المصريون أيضاً كشعب أفريقى . وأعطاهم الأب الراهب ميعاداً لعبادة الغد يوم الأحد ، وصرفهم بعد الصلاة ، وتوجهوا إلى كيسومو لقضاء الليل فى الهوتيل . وحيث وجدوا وقتاً جلسوا على شواطئ بحيرة فيكتوريا للتمتع بمنظر الغروب حيث صلوا مزامير الغروب والنوم .

قداس الموعوظين باللغة السواحلية لأول مرة :

وعاد الأب الراهب وشماسه جوزيف أومانيو إلى منطقة خط الإستواء صباح الأحد ٧٦/٣/١٤، ومعهم الشورية والبخور وكتب صلوات رفع بخور باكر والقداس باللغة السواحلية ، (وكان قد ترجم وطبع فى مصر بواسطة اسقفية الخدمات) . وتجمع شعب يقرب من المائة ، نسبة عالية منهم من النساء والأطفال. كما حضر كثيرون من شيوخ القبائل الذين ينتمون إلى الكنائس الأفريقية الأرثوذكسية .

وقام الراهب بصلوات رفع بخور باكر ، وكان يرد عليه الشماس جوزيف صلوا

الأواشي - وقرأوا القراءات حسب تقويم اليوم - البولس - الكاثوليكون - الأبركسيس ، ثم المزمور والإنجيل والعظة. وقام الشعب بكثير من التراتيل باللغات القبلية ، استعملوا في التوزيع الطبلة والدق وكانوا فرحين جداً .

ثم أخبر الأب يعقوب الأب الراهب البرامومي ، بأن هناك جنازة ، وهذه مناسبة يمكن فيها أن يعظ لكي يتعرف عليه الشعب ، وذلك لما يحدث في الجنازات من تجمع ضخم من أهل القبيلة كلها . وذهبوا إلى الجنازة وهناك وجد الأب الراهب ترحيباً . وتكلم الكثيرون ثم طلب إلى الأب أن يعظ . وقام وتحدث بالإنجليزية ، وكان يترجم له شخصان أحدهما إلى لغة انكيلويا ، والآخر إلى لغة اللوو .

ثم تجتمع رعاة الكنائس الأرثوذكسية الموجودون في المنطقة ، وقدموا طعاماً اشتركوا فيه . واستمر الإجتماع حتى قبل غروب الشمس بقليل . وكان اشتياقاً منهم أن تستمر بل تمتد الأرثوذكسية في هذه المناطق ، لأنها ضعيفة وسط الطوائف الأخرى .

هوايات الأطفال ومواهبهم هل تقمعها أم تشجعها وتنميها ، حتى تكون بركة للخدمة

تسلم الأب الراهب مفاتيح البيت وفحصه جيداً . ولكن وجده في حالة يصعب السكن فيه، دون إصلاحات كثيرة. وبما أن صاحب البيت وعد أن يقوم بما يلزمه من إصلاحات، إلا أن الأب الراهب وجد أن الكهرباء لا تعمل في أغلب الحجرات . وكيف يسكن في المنزل وهو في هذه الحالة؟ وأول أيام الأسبوع الجديد يوم الإثنين ١٥ مارس ٧٦ قاموا بشراء مراتب وأدوات مطبخ، وما يلزم قضاء الليل في ماسيلو، لكي تستقر أوضاع البيت، ولكي يمكن أن يكون مركز خدمة في المنطقة .

وصلوا إلى ماسيلو . وفي البيت وجدوا رجال ونساء القبيلة ، شعب كنيسة الأب يعقوب أوموا كوى يعملون في همة ونشاط في تنظيف المنزل، وإعداده للسكن، ووجدوا في الحجرات أسرة قديمة مستعملة تخلى عن شرائها لأي أثاث جديد . وطلب الأب كهربائياً لكي يصلح الأسلاك ، لأن الكهرباء موجودة ولكنها لا تعمل. ولكنه أحس أن هذا الأمر قد يحتاج منهم إلى أسابيع لإحضار كهربائي . وحيث أن هواية الأب البرامومي كانت الكهرباء وتوصيلات الأسلاك منذ كان طفلاً ، الهواية أو الموهبة التي أكتشفها فيه الوالدان فشجعاها ، وحاولا تنميتها بكل الطرق ، منذ كان سنه عشر سنوات. حتى أن الوالد الذي لاحظ أن الصغير يصرف كل ما يحصل عليه من مصروف يد، في شراء أجهزة كهربائية قديمة من شارع الأزهر، زاد له مصروفه في أشهر الصيف حتى يشبع هوايته .

ولم يتردد الأب الراهب في الصعود إلى سقف البيت تحت الصاج ، وبدأ يفحص

الأسلاك والتوصيلات ، وقام بإصلاح توصيلة بعد الأخرى، حتى أنار البيت كله ، وكان الأفريقيون يتعجبون من أن أباً راهباً يعمل بيديه كل هذا، وكيف يعرف توصيلات الكهرباء وهم يخافون منها جداً ، ظانين أن من يعمل بها لابد أن يكون له طاقات خاصة ، حتى لا تقتله قوة التيار .

كانت الحيرة صعبة بسبب شدة الحرارة تحت سقف الصاج ، وأيضاً لأنه وجد أن سقف البيت مويوه بالخفافيش والفئران التي أكلت أسلاك الكهرباء . وما أن حضر صاحب البيت مساءً ، ووجد البيت كله منيراً، حتى تعجب وبدأ يسأل كيف يكون هذا؟! وجاءته الإجابة، وشد على يد الأب قائلاً إنني لا أصدق أنك تستطيع أن تعمل في الكهرباء أيضاً.

مادمت تقبل أن تعمل أي شئ بناء ومثمر من أجل الخدمة، دون خوف أو كلل ، فإنني أثق أن خدمتك ستكون ناجحة في هذه البلاد . ولم يستطع الراهب أن يرد على هذا إلا بقوله "أنا ما أنا، ولكن نعمة الله التي تعمل" .

تأسيس أول فصل لمدارس الأحد في منطقة خط الإستواء:

وقرر الأب الراهب أن التعليم هو أساس كل شئ . وتفاهم مع الشماس جوزيف أن يقيم في المنطقة ، حيث أن المنزل معد ولائق لإقامته ، حتى يقوم بتعليم الشباب والشابات أساسيات العقيدة والتاريخ والصلوات وكلمة الله وسير القديسين والفضائل. وشجع الشماس أنه حاصل على بكالوريوس الكلية الإكليريكية في مصر، كما أنه سوف يحصل على مرتب شهري مثل خريجي البلاد ، وبدأ معه في تجميع الشباب والأولاد في المنزل أو في الكنيسة ، والقيام بتدريسهم معه . وأعطاه كتباً كثيرة يمكن أن تساعده في تحضير الدروس

العودة إلى نيروبي والتحضير للسفر إلى دار السلام في تانزانيا:

بعد قضاء تسعة أيام في منطقة ماسيندو على خط الإستواء ، عاد الأب الراهب إلى نيروبي، مارّاً بمنطقة بحيرة فيكتوريا تانزانيا وعاصمتها كيسومو. وحيث أنه ليس لنا أي أحد نعرفه ، مر بها سريعاً دون توقف . وكان مرافقيه في السفر إثنين من قادة الكنائس الأرثوذكسية الأفريقية وبسبب طول الطريق ، وخشونته في ذلك الوقت ، بدأت الأم المضروف في الظهر والرجل اليسرى تتعبه ، وكان يحتاج إلى الراحة والمسكنات .

ولم يكد الأب الراهب يستريح من عناء السفر ، حتى بدأ أقباط دار السلام يتصلون تليفونياً ، طالبين زيارة رعوية من الأب الراهب . وقداساً وإعترافاً وتناولاً ، ولم يستطع الأب أن يعتذر أو يؤجل ، لعلمه بمقدار الإحتياج وسط هذه العائلات القبطية التي تعيش

فى هذه الغربة وهم ٥ عائلات .

وسعى فى الأيام التالية للحصول على فيزا لزيارة تانزانيا . وبدأ يرتب لزيارتها ، واشترى تذكرة الطائرة ، وعمل الحجز على أن يسافر إليها الجمعة ٢٦ مارس ٧٦ .

الحصول على ترخيص لمزاولة المهنة الطبية :

وكان الأب الراهب قد قدم طلباً إلى وزارة الصحة الكينية ، لكى يعطى ترخيصاً لمزاولة المهنة ، لأنه حيثما يذهب يحمل معه أجهزة الكشف الطبية البسيطة وأدوية لمساعدة المرضى، وسط شعوب الكنائس الأفريقية كعمل رحمة . وسعى لدى الوزارة ، وطلبوا منه شهادات التخرج والخبرة السابقة . وحيث كانت كل هذه الشهادات باسم الطبيب قبل رهبنته، فقد قدم معها شهادة من البطريركية تؤكد أن فلاناً قد أصبح الراهب القس انطونيوس البرامومى .

واعتمدت الوزارة هذه الشهادات . وأعطته ترخيصاً لمزاولة الطب ، لمدة سنة قابلة للتجديد ، ولكن بعد سنة حينما سعى للتجديد، أعطته الوزارة تسجيلاً دائماً لمزاولة المهنة مدى الحياة لا يجدد . وحين ذهب ليتسلمه من الوزارة كان الموظفون يتندرون باسم الدكتور الأسقف لأن هذا كان فى عام ١٩٧٧ بعد رسامته أسقفاً عاماً لشئون افريقيا .

REPUBLIC OF KENYA

THE MEDICAL PRACTITIONERS AND DENTISTS BOARD

CERTIFICATE OF REGISTRATION AS A MEDICAL PRACTITIONER OR DENTIST

Bishop Antonious Markos

P. O. Box 21570 Nairobi

M.B.B.Ch (Ain Shams) 1959, Dip.Rad (Ain Shams) 1965
Dip. Surg. (Cairo) 1967

Tewfikieth ... April 80

الفصل الثالث عشر

"فى صبر كثير .. فى شدائد"

(٢كو٦: ٤)

أين هى ملايين الشلنات التى أرسلها لنا قداسة البابا شنودة الثالث من مصر ؟

وفاجأه أحدهم فى إجتماع قائلاً : لقد وصلنى خطاب سرى Confidential ويفيد أن قداسة البابا شنودة أعطاك ٢٠ مليون شلن كينى ، لكى تعطيها لنا ! (وهذه توازى قيمة ٢٠٠ ألف دولار أمريكى فى ذلك الوقت) . ولكن الظاهر أنك أكلت علينا هذه الأموال . وصدق على كلامه واحد ثم آخر ثم ثالث ، والأب الراهب جالس وسطهم يطلب إلى الرب قائلاً : " لولا أن الرب كان معنا ، عندما قام الناس علينا ، لإبتلعونا ونحن أحياء .. مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم ، نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ، الفخ إنكسر ونحن نجونا . عوننا باسم الرب الذى صنع السماء والأرض " (مز ١٢٤: ٢ – ٨).

وسأل الأب الراهب : هل يمكن أن نرى هذا الخطاب السرى الذى وصلكم من قداسة البابا شنودة ؟ قالوا : لا ، لأنه سرى ، أذن هذا الكلام ليس صحيحاً . البابا شنودة لم يرسل لكم شيئاً ، لسبب بسيط أنه لا يعرفكم بأسمائكم ، وأيضاً لأننا لم نأت لكى نعطى الناس أموالاً ، بل روحاً وتعليماً .

سأل أحدهم : هل تعنى أنك لم تأت بأموال كثيرة مثل الكهنة الأخرى ؟ قال الأب : لقد تركت عملى ووظيفتى من أجل الله ، ومن أجل خلاص نفوسكم ، ليس لى ذهب ولا فضة ، ولكن لى شئ واحد : إلهى أحبكم وأريد أن أخدمكم .

ولكن لابد أن تخدمنا حسب ما نريد نحن ، وليس كما تريد أنت . نحن نريد أموالاً كثيرة وهدايا ومنازل وأراضى .. قال الأب لو كان عندى الإمكانيات لما تأخرت عنكم ... قالوا إن كنت حقاً حضرت بلا أموال وهدايا ، فأنت بلا شك سوف تخسر المعركة .. فسألهم : هل هناك معركة؟ فقالوا : نعم معركة بين الطوائف .. ألا تعلم حقاً أن كارز بلا أموال، مثل عسكرى بدون بندقية .. كيف تحضر إلى هنا لكى تدخل معركة بدون سلاح!!

وأجاب الأب : الحقيقة أنا هو العسكرى الذى بدون بندقية .

البندقية سلاح للقتل ، أما نحن فأسلحة محاربتنا ليست جسدية ، بل قادرة بالله على هدم حصون ، هادمين كل ظنون وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ، مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح (٢كو ١٠ : ٤ – ٥) . سلاحنا هو الصلاة وكلمة الله التى هى روح وحياة.

كان الإجتماع فى المساء ، فى أحد أحياء نيروبى الأكثر شعبية .

وتبين الأب الراهب أن الليل قد حل ، فحاول بكل الطرق أن ينهى الإجتماع فى حين

أن هؤلاء : كانوا يضطهدون من أجل الإستمرار ، لأن لديهم الكثير ليقولوه .

وخرج الأب الراهب وجلس في السيارة ، ولكنه لاحظ حركات غريبة من المجموعة . بأن جلس أحدهم بجانبه . وقال آخر إنني مستعد أن أقود تلك السيارة وأنت تستريح ، ولحص أنهم يريدون أن يستولوا على السيارة ويتركوه في الشارع ليلاً وطلب من الجالس بجانبه أن ينزل ، لكي يوجهه كيف يحول إتجاه السيارة . ونزل ووجه الأب حتى تعدل إتجاه السيارة. وفي هدوء أغلق الأب أبواب السيارة من الداخل ، وإنطلق بها وهو يرشم الصليب . ولم يكن يعرف الطريق الصحيح ليخرج من المنطقة الشعبية ، ولكنه طلب إرشاد من الله . وإذ به يجد نفسه على طريق رئيسي يعرفه . وعاد إلى المنزل وهو فرح يمجد الله . ومن تلك الحين تحاشى الأب مقابلة هؤلاء الناس ، بل كانوا يكلمونه على التليفون طالبين بإلحاح أن يعرفوا عنوان المنزل لكي يزوروه . ولكنه كان يؤكد لهم أنه ساكن في نيروبي ، وكل ما يحتاجون إليه يمكن أن يقولوه في التليفون ، أو يكتبوا خطابات يشرحون فيها موضوعهم .

علاوات من المشاكل والحروب :

ما أن عاد الأب من منزله فرحاً ، وبدأ يقرأ في الإنجيل ، حتى دق جرس التليفون ، والشماس جوزيف يتكلم من ماسيلو قائلاً إن صاحب بانسيون في ماسيلو استدعاه ليطالبه بمبلغ ٢٢٠٠ شلن كيني ، لأن أحد الآباء الأرثوذكس كما يدعى الأب أنديجي أقام وأكل وشرب لعدة أيام ، وغادر قائلاً أنا كنت ضيفاً على الأب أنطونيوس القادم من مصر ، حصلوا منه .

وبعد أيام قليلة اتصل الشماس جوزيف ثانية من ماسيلو قائلاً إن مستر فاين صاحب الأرض والكنيسة التي صلينا فيها مرات قليلة يطالب بمبلغ ١٥٠٠ شلن إيجار لإستعمالها ، وإن لم ندفع فسوف يمنعنا من استعمالها مرة أخرى . ووعد الأب بمقابلته والتفاهم معه عند عودته إلى ماسيلو في فرصة قريبة .

وإذ عاد إلى التأمل في إنجيله وجد الآيات :

" فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة، لأنكم تحتاجون إلى صبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد، لأنه بعد قليل جداً سيأتي ولا يبطئ" (عب١٠: ٣٥-٣٧) .

زيارة اقتقادية لأقباط تانزانيا :

وقام القس انطونيوس البراموسى بالاتصال تليفونياً بأقباط دار السلام للتحضير للقداس يوم الأحد ٧٦/٣/٢٨ وسافر إليها يوم الجمعة ٧٦/٣/٢٦، وكان ينتظره فى مطار دار السلام مهندس زراعى يعمل هناك، إسمه صبرى بطرس وعائلته، وكان خبيراً فى القطن ويعمل فى هيئة الأقطان وأسمها باللغة سواحيلى Mamfaka Ya Pamba والمقصود بها مملكة القطن، لأن تانزانيا تنتج منه الكثير بسبب حرارة الجو، لأنها على مستوى شاطئ البحر .

وإسم تانزانيا هو إسم مركب ، يتكون من مقاطع من إسمى تانجانيقا وزنزبار، وقد أتحدت هاتان الدولتان عند نوالهما الإستقلال، فاصبحت دولة تانجانيقا وجزيرة زنزبار، دولة واحدة باسم تانزانيا .

وكان الأب الراهب ضيفاً فى منزل الأستاذ صبرى ، وقام بافتقاد عائلات الأقباط فى منازلهم أو فى مكاتبهم ، كل حسب رغبته ، وكانوا ٥ عائلات ، منهم الذى يقيم هناك وحده متغرباً من عائلته ، ومنهم من يدرس فى الجامعة أو يعمل فى مكتب الأمم المتحدة للتنمية أو فى حكومة تانزانيا كخبراء فى مجال تخصصهم .

وفى فجر الأحد قام الأب بعمل القربان ، وصلاة باكر والقداس فى منزل الأستاذ صبرى . وحضر الأقباط كلهم . ودعوا أيضاً بعض العائلات الوطنية . ولذا أضطر الأب أن يصلى جزء من القداس باللغة الإنجليزية . وشاركوا فى مائدة أغابى وكان الوطنيون يسألون عن هذه الكنيسة التى سمعوا عنها ، ولكن لا يعرفون عنها شيئاً . وكانت فرصة أن يحكى لهم الأب عن تاريخها وكاروزها وقديسيها وأساقفتها ورسوليتها . وقبل عودته إلى نيروبى ، قام بزيارة السفير المصرى فى مكتبه ، الذى دعاه أيضاً مع كل الأقباط على مائدة غذاء فى منزله . وكان لقاءً لطيفاً فيه حب وألفه . وبعد أيام قليلة عاد الأب إلى نيروبى، لكى يبدأ سلسلة جديدة من الأسفار والمسئوليات .

إعادة ترجمة القداس وصلوات رفع البخور إلى اللغة السواحيلية وأعادة طبعهما :

فرحة الأب الراهب بالقداس السواحلى المترجم المطبوع فى مصر ، الذى حمله معه فى سفره إلى كينيا ، لم تتم لأنه ما أن بدأ استعماله فى قداسات الموعوظين وسط تجمعات الشعب، حتى بدأت الناس تتساءل : ما هى هذه اللغة التى كانت تصلى بها ؟ فكان يجاوب:

السواحيلية طبعاً . ولكن تكررت تعليقات من العارفين بالسواحيلية جيداً، بأن هذه السواحيلية محرفة تحريفاً كبيراً ولا تعطى معنى للصلوات، بل هى كلمات مرصوصة ليس لها قواعد . وتعجب الأب جداً لهذا الأمر ، وناقش هذه التقارير مع جوزيف الشماس، الذى افاد أنه اشترك فى ترجمة الصلوات والقداس مع زملائه الأوغنديين والكينيين الذين كانوا فى مصر ، وتفهم الأب المشكلة أن أولئك لم تكن السواحيلية لغتهم الأولى، بل هم من يتكلمون لغات أخرى وكل ما ترجموه كان اجتهادياً ، على غير أساس ولا قواعد ولا مراجعة .

KANISA LA COPTIC ORTHODOX

MESA LA MTAKATIFU

BASILIUS

KATIKA LUGHA YA KISWAHILI

NAIROBI

KENYA 1977

غلاف القداس الباسيلى السواحيلى الذى ترجم وطبع عام ١٩٧٧

وقف الأب وهو يفكر لابد أن أبدأ من جديد وأقوم بترجمة كل هذا :

يارب من عندك المعونة والفهم وجاءته كلمات سليمان الحكيم تعزية "لأن الرب يعطى حكمة، من فمه المعرفة، يذخر معونة للمستقيمين ، هو مجن للسالكين بالكمال " (أم٢: ٦-٧) .

وسأل وسط رجال الكنائس الكينيين إن كان أحد يستطيع أن يساعده فى ترجمة الصلوات والقداس ، وتقدم أحدهم قائلاً إنه يعرف السواحيلية جيداً، لأنه عاش فى تانزانيا سنين عديدة . وقدم نفسه لى على أنه رئيس الأساقفة يشوع كيارييى واتفق على أن يحضر إليه يومياً للمساعدة فى الترجمة جملة جملة ، من الخولاجى الإنجليزى ، ويشرح له المعنى ، حتى يخرج السواحيلى بالمعنى الصحيح .

وأحس الأب أن هذا العمل ربما يأخذ شهوراً طويلة من الوقت ، هذا عن الترجمة

ولكن ماذا عن الطباعة .

هذه كلمتك يارب ، أنت قادر أن تعطيني وسيلة لطبعها ، لكي يعبدك شعبك :

وأحس الأب بالغربة مرة أخرى، وهو لا يعرف أين يذهب، وبدأ يسأل وطلبوا منه ٢٠ شلناً أجرة كتابه على كل صفحة على الآلة الكاتبة ، وهذا المبلغ يوازى ٣ دولار أمريكي. واكتشف أن هذا المبلغ باهظ جداً حتى إكمال العمل كله . وهنا تذكر أنه قد أحضر معه آلة كاتبة إنجليزى شنطة كان قد اشتراها من السوق الحرة في أديس أبابا منذ سنوات، وهي في حالة جيدة . وكان الأب أيضاً أيام دراسة الثانوى ، قد علم نفسه الكتابة على الآلة الكاتبة الإنجليزية التي أحضرها أحد الأقارب إلى المنزل ، وإن كانت سرعة كتابته بطيئة إلا أنها نافعة . وشكر الرب كثيراً لأنه أعطاه هذه الإمكانيات حتى يستطيع أن يتمم عمله.

شراء ماكينة طباعة استنسل :

وذهب الأب إلى وسط المدينة نيروبى ، وكان الناس ينظرون إليه باستغراب، ويتهامسون وهم يبتسمون أو يشاورون عليه . وقد يكون لهم حق في ذلك ، لأنهم لم يروا قبلاً رجلاً يلبس السواد ، وله لحية وعلى رأسه قلانسوة عليها صلبان بيضاء ، وواضح أنه يتساءلون من يكون هذا؟ ومن أي عقيدة أو دين هذا؟ ولكن الأب كان يسير بخطى سريعة، غير ملتفت يميناً أو يساراً ، بل يجد طريقه إلى مكاتب شركة جستتنر . وهناك وجد ماكنة طباعة استنسل جديدة، ولكنها كانت غالية جداً بالنسبة لميزانيته التي لا تحتمل مثل هذا المصروف .

وقالوا له حاول ان تجد واحدة مستعملة . في مكتبة البيع التابعة للكنيسة الكاثوليكية وهناك فعلاً وجد واحدة مستعملة ، وحاول تخفيض سعرها حتى اشتراها بربع ثمن الجديدة، وهي في حالة جيدة جداً ، وتعمل بالكهرباء، ونقلها إلى المنزل . وبدأت نفسه تتهلل لأنه الآن يملك إمكانيات الكتابة والطباعة إن شاء الله سوف يترجم القداسات إلى لغات Luo , Kikamba, Kiluhya , Kikuyu وليس ذلك فقط ، بل صلوات الخدمة الطقسية مثل المعمودية والجناز وتبريك المنازل والإكليل ومسحة المرضى ، ثم صلوات البصخة وأسبوع الآلام وغيره من كتب الكنيسة الهامة جداً للتعليم مثل السنكسار وغيره .

" أنا أسقف " أو " أنا رئيس أساقفة " أو " أنا بطريرك " أو " أنا بابا أثريقيا " .

قادة صنعوا أنفسهم بأنفسهم :

كانت الساعات التي يقضيها الأب الراهب مع رئيس الأساقفة يشوع في المنزل للقيام بالترجمة إلى السواحيلية ، فرصة طيبة لكي يتعرف أكثر على هذا النوع من قادة الكنائس، وكانت تدور بينهما أحاديث شيقة مسلية عن رؤساء الكنائس الأفريقية المستقلة ، الذين يعطون أنفسهم هذه الألقاب والمناصب .

فمن يسمي نفسه صاحب القداسة بابا أفريقيا ، ومن يسمي نفسه النبي ، ومن يسمي نفسه رسول، أو الرسول الأكثر قدماً ، أو الراعي السهران الأكبر أو آخر يُسمي الرئيس الروحي للكنيسة .

وتساءل الأب من يرسم هؤلاء ومن يعطيهم هذه الألقاب والرتب والمناصب؟ وجاوب رئيس الأساقفة (وهكذا يدعى) أنهم صنعوا أنفسهم . الشعب هو الذي شجعهم وعمل منهم قادة .

فسأله أبين لهم أي تسلسل رسولي ، ولا وضع يد ، ولا رسامة .. قال لا .. يجتمع الشعب ويتباحثون في الأمر ويقررون أن يكون قائدهم أسقفاً مثلاً أو رئيس أساقفة أو بطريرك ثم يقف الشعب صفين يواجهون بعضهم بعضاً وبينهم مسافة متر مثلاً ، ويرفعون أيديهم إلى فوق ، ويمر المرشح للرسامة تحت هذه الأيادي المرفوعة ، وهم يرددون "فلان اسقف" أو "فلان بطريرك" وحيث يمر يخرج من الطرف الآخر ، وقد أصبح أسقفاً أو بطريركاً. ثم يرتمون ويصفقون ويرقصون ويعظون، ويصلون صلوات إرتجالية، وهذه هي مراسم الرسامة ...

وهل رُسمت رئيساً للأساقفة بهذه الطريقة ؟!

لا .. أنا سمعت صوتاً في الصباح الباكر وأنا أصلي في منزلي يقول .. قم وناد بنفسك وسط الشعب وقل "أنا رئيس أساقفة" وأخذتها من السماء ...

وهل تظن أن هذه الرسامة حقيقية ؟ لأنه ليس هناك شاهد على ما تظن أنه صوت من السماء ...

ليس هناك شاهد ولكن ما أن قلت هذا للشعب حتى قُبل الوضع وناداني باللقب الجديد، وعاملوني كرئيس للأساقفة .

وهل تحت أشرافك أو قيادتك أساقفة أو كهنة ؟

لا ولكن هذا غير مهم .. أنا رئيس أساقفة وكفى .

وصلى الأب الراهب إلى الرب أن يعطيه الحكمة لكي يقنع مثل هذا الإنسان أن أقل درجة شماسية في الكنيسة الرسولية، أفضل بكثير من أكبر لقب مزيف يعطيه لنفسه أو يعطيه له الشعب دون وضع يد رسولي .

الكنيسة المقدسة للإيمان الإنجيلي الرسولي :

وساق الأب .. هل لديك شعب وكنائس ؟ هل هناك كهنة قمت برسامتهم ؟ قال عندي كنائس في منطقة أوكامبانى ، وقد سجلت في الحكومة باسم الكنيسة المقدسة للإيمان الإنجيلي الرسولي . وقال الأب حقاً إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هي الكنيسة المقدسة، وإيمانها إنجيلي ، لأن مؤسسها هو أحد الإنجيليين الأربعة ، وهو القديس مارمرقس الرسول. لذا فإن إيمانها رسولي أيضاً نحن متقاربون جداً ..

قال الرجل : هو الأمر هكذا . بل نحن واحد . وفرح الأب بهذا التعليق من "رئيس الأساقفة" وطلب منه أن يزور هذه الكنائس ، ويتعرف عليها ، ورحب الرجل ، وقال إنه سوف يخبر لجنة الكنيسة والشعب ويحدد الميعاد لأول لقاء معهم .

نحب أن تعمل بيننا ، ونريد أن نعطيك تصريح إقامة لستوات معنا :

وتلقى الأب الراهب دعوة أخرى من مجموعة قادة كنائس أفريقية ، وقدموا أنفسهم : الموفر كاسا والموفر تشيراجو ، وآخرون ، وطلبوا أن يتعرف على كنائسهم وشعوبهم ، وتخدم بينهم ، لأنهم يريدون أن يتبعوا الكنيسة القبطية . واجتمع معهم الأب عدة مرات وكانوا دائمي السؤال عن كيف حصل على تصريح إقامة في كينيا، وهو غير تابع لأي هيئة؟ ولم يرد الأب أن يعرفهم تفاصيل إقامته وخدمته ، بل كان يقول عندي تصريح إقامة لمدة عام لخدمة الأقباط المصريين ، وأنا أقوم باللقاء معكم وخدمتكم كشئ جانبي . ولكنهم ألحوا في أن يقدموا له إمكانية الحصول على تصريح عمل وإقامة تابع لكنيستهم، لأنها مسجلة رسمياً في الدولة . وتعجب الأب لهذا الأمر ، ولكنه تركه في يد الرب ، وبدأ رحلات معهم لزيارة كنائسهم وشعوبهم ، ووجد تجمعات بسيطة في أماكن نائية، ومبانى فقيرة وطلب منه بعضهم أن يرافقوه في رحلات نيانزا ومانيتو . ولم يمانع الأب في ذلك

نعلمه أن كل هذه الإتصالات والقاءات لها فائدة وتعطى دروساً وتستكشف كل المحيطات والأجواء الحقل على حقيقته .

الزيارة الثانية لمنطقة خط الأستواء :

لم يمض أسبوعاً من الزمان منذ عودة الأب الراهب إلى نيروبى ، من زيارته الأولى فى ٣/١٨، حتى سافر مرة أخرى إلى المنطقة فى ٧٦/٤/١. وهذه المرة كانت السيارة مليئة برجال الكنائس الأفريقية ، الذين قالوا لا، بل لأنك أفريقى ، ونحن مقتنعون بأفريقيتك، وقد صدقنا وآمنا بزباط الماء والدم الذى حدثنا عنه . وقالوا سوف نتعاون معك على أن تفهم أغراضنا ، وقال ما هى أغراضكم !! قالوا سوف تعرفها فى حينها ، المهم أنك قادراً على سداد كل ما يطلب منك !

الرب معين لى فلا أخاف ماذا يصنع بى الإنسان (عب١٣: ٦) .

الفصل الرابع عشر

من هم ؟
وأين هم أقباط كينيا ؟
وكيف يعبدون ؟

كان الراهب أنطونيوس البراموسي يقود سيارة الكنيسة ، والطريق طويل جبلي ومتعرج، وفي مناطق كثيرة كان الطريق إلى منطقة خط الأستواء في نيانزا غير ممهد أو مكسور - وكانت المطبات تتعب ظهره جداً ، بسبب آلام الخضروف التي يعاني منها منذ عام ١٩٦٥م ، وحيث جلس معه في السيارة رجال كنائس تسمى بالأفريقيين الأرثوذكس، وها هم يتكلمون عن أغراضهم ومطلباتهم، كان فكره يسرح في أقباط كينيا الذين سمع عنهم بأنهم موجودون في منطقة بحيرة فيكتوريا ، وبالذات في كيسومو عاصمة المحافظة .

وكان يتساءل في نفسه من هم ؟ وهل هم أيضاً وراء المنفعة والأغراض كالأفريقيين الأرثوذكس ؟ أم هم أفضل لأنهم أقباط ؟ وأين هم وكيف الوصول إليهم ؟ .. ومطلب من الرب إرشاداً . إنه ذاهب الآن إلى المنطقة بنفسه، وأهم شاغل له أن يجدهم، ويتعرف عليهم وعلى قادتهم ، ويختبر بنفسه كيف يعبدون . وكان ما قد سمعه عنهم من نياقة الأنبا صموئيل، قد أثار اشتياقات كثيرة في قلبه نحو خدمتهم ، حيث طلبوا أن يتعلموا الكنيسة القبطية على حقيقتها.

وكان الدليل إلى هؤلاء هو أحد أصدقاء الكنيسة القبطية والأنبا صموئيل ، وهو مستر أرثو ليتو الذي يعيش في المنطقة ، وقد زار مصر وحكى عن وجود أقباط كينيا . وكان الأنبا صموئيل قد أعطى رقم تليفونه للأب الراهب. وما أن وصل الأب إلى كيسومو ، حتى توقف عند تليفون عمومي، ولكن كان يخرج من السماعة صوت مثل موسيقى شاذة لم يفهم مدلولها. وحاول البحث عن مطبعة مستر ليتو في المدينة ، ولكن لم يدله أحد . وأخيراً سأل أحد المارة، فقال له الأرقام تغيرت منذ فترة . وكان لقاء مستر ليتو له في

منتهى الحب والترحاب، وحكى له عن تكريمات كثيرة فى زياراته لمصر ، ومحبته الكبيرة لقداسة البابا شنوده الثالث والأنبا صموئيل ، وعن تقديره الكبير لأكبر وأقدم كنيسة رسولية فى أفريقيا . وعلم الراهب أن مستر ليتو يتبع كنيسة إسمها كنيسة الأصدقاء . وهى فى كينيا تأسست عن طريق إرسالية من أمريكا، وأساس الكنيسة من أنجلترا، حيث أنشأت هذه الطائفة عائلة الكويكرز الذين صنعوا وسوقوا منتجاتهم من الشوفان باسم Quaker Oats .

إلى زيارة كنيسة الروح القدس القبطية:

ترك صديقنا مستر ليتو مطبعته ومكتبته ، وفى كل فرح وروح طيبة ، أخذ الأب فى سيارته ، ليرافقه فى زيارة إلى كنيسة الروح القدس القبطية الكينية ، بجوار مدينة كيسومو وهى تقع على طريق كاكاميجا . وكانت الساعة حوالى العاشرة من يوم الجمعة الموافق ٢ أبريل ١٩٧٦، ووصلوا إلى بوابة المكان، واقترب بعض الشبان ليفتحوا لهم البوابة. وكان مكتوباً على الجانب الأيمن منها لافتة صغيرة ، مكتوب عليها البيت القبطى الجديد .

ولاحظوا لافتة كبيرة موضوعة على الطريق الرئيسى ، مكتوب عليها بالخط الصغير جداً، الذى لا يكاد يقرأ "الروح القدس" وتحتها بالخط الكبير "الكنيسة القبطية" .

القرن العشرين

إرسالية القديس فيليب الذى من ايرى

ومن الطبيعى أن يكون مؤسس هذه الكنيسة فى كينيا ، قد حصل على إسم قبطى من مصر بطريقة ما ، وبالوقت تكشف، فعلاً أنه قد أشترى الإسم من أحد أعضاء منظمة تحرير كينيا ، التى ناضلت من أجل إستقلالها من الإستعمار البريطانى فى عام ١٩٦٣م.

وكان الرئيس عبد الناصر يستقبل ويشجع حركات التحرير فى القارة، فاستهداف فى مصر كثيراً من الكينيين ، الذين حملوا معهم إسم الكنيسة القبطية إلى بلادهم . وباعه أحدهم إلى مؤسس الكنيسة الأفريقية المستقلة ، الذى كان يحاول أن يسجل كنيسة، ويبحث لها عن إسم رنان له جاذبيته وشهرته وأصالته فى العالم وفى القارة الأفريقية . وما أن وجد هذا الإسم حتى أضاف عليه الروح القدس والقرن العشرين ، وأيضاً القديس فيليب الذى من ايرى، وهذا الجزء غير مفهوم، وليس له معنى لأنه لم يستطع أحد منهم تفسيره.

أول مقابلة مع رئيس الكنيسة صاحب القداسة :

فتحت البوابة ودخلوا بالسيارة وتركوها ، ورأوا فناء واسعا به مبانٍ بسيطة صغيرة متفرقة، ومحاطة بحدائق ومزروعات وخضرة في كل مكان . وتقابلوا مع شاب كهنى يميل إلى السمنة وضخامة الجسم ، ويلبس ببجامة لونها فاتح ، وهو حافى القدمين . وتكلم معهم باللغة السواحيلية مرحباً بهم ، ثم سأل عن أسمائهم ، ومن هم؟ ومن أين أتوا؟ وأظهر فرحاً كبيراً بالتعرف على مستر ليتو . ثم بدأ يرقص ويهتز جسمه كله وهو يرحب بالأب الكاهن الراهب من الكنيسة القبطية فى مصر . وقال هذه معجزة أن يأتى إلىّ راهب قبطى من مصر ، وقدم نفسه بأنه صاحب القداسة بابا أفريقيا باسم الأب ....

وقال سامحونى إننى أقابلكم بالبيجامة ، لأننى لم أكن أعرف أنكم ستحضرون فى هذا الوقت . إننى أعمل قليلاً ، وأصلى قليلاً ، وأعظ الناس قليلاً . إننى سوف أستأذنكم لكى أغير ملابسى، لأننى أريد أن أتحدث معكم كلاماً كثيراً جداً جداً، ليس له نهاية. آه آه، أنا لا أصدق أن معى هذا أباً كاهناً من أقباط مصر . ثم ركع ووضع كفيه متلاصقين على صدره فى وضع عبادة، ونزل عينيه وقال بصوت رقيق: باركنى يا أبى باركنى. ووضع الأب الراهب الصليب على رأسه، وصلى عليه قائلاً بارب أعمل فى هذا القلب وهذا الفكر ، لكى يكون تلميذاً لك، ويتعلم الكنيسة القبطية الحقيقية، حتى يقود الناس إليك، ويكون سبب بركة لكثيرين فى كل مكان .

وبعد أن أنتهى الأب من الصلاة ، أعطاه الصليب لكى يقبله ، ووضعه فوق فمه، ولكن الأب المقدس لحس الصليب بلسانه، ثم لحس يد الأب الراهب. وتعجب الأب من هذا وتراجع، وأحس مستر ليتو بما يعتمل فى قلب الأب من مشاعر وأحاسيس. ثم هرول الأب المقدس قائلاً خمس دقائق ، عشر دقائق فقط، سأقوم بتغيير ملابسى ، وأعود اليكم فوراً ، حالاً حالاً ، وأختفى فى أحد المبانى القريبة .

وجلسوا فى الظل على كراسى خشبية ، ومر الوقت يتحدثون ، وطال الإنتظار ساعة ، إثنين أكثر . وبدأ مستر ليتو يقلق ، لأنه موعد غلق المطبعة، ولابد أن يصرف العمال فى (فسحة الغذاء)- وبدأ يمشى فى المكان لعله يجد أحداً يطلب منه إذناً بالإنصراف . وأخيراً وجد شاباً على البوابة، وطلب منه أن يفتح البوابة، لأن الأب المقدس قد تأخر جداً . ولكن الشاب فى هدوء قال : لا يمكن أن افتح البوابة لتنصرفوا، إلا إذا أمر الأب المقدس،

وحاول مستر ليتو أن يقنعه بأن يبحث عن الأب المقدس ويأخذ منه الإذن ، أو يستدعيه لمقابلة الضيوف . ولكن الشاب أجاب أيضاً في هدوء، لا يمكنني أن أقترب من مسكن الأب المقدس. عليكم أن تنتظروه ، لابد أن يأتي مهما تأخر . وبدأ مستر ليتو يشعر بضيق، بسبب هذه الحبسة التي لا مبرر لها . واعتذر الأب الراهب ، إن كان قد سبب له تعطيلاً عن أعماله. ولكنه أعطى رداً مهذباً ، قائلاً هذا ليس ذنبك ، أنا أعرف شعبي ، وكثيرون منهم لا يعرفون للوقت قيمة، وشجعه الأب الراهب أن يُصلوا معاً حتى يظهر الأب المقدس . ولم تمض عشر دقائق حتى ظهر الأب .... وهو يلبس ملابس فاخرة مذهبة، ولها طابع كاثوليكي مميز ، وهو يمسك في يده صليباً معدنياً كبيراً جداً، يقارب في حجمه صليب الزفة في كنائسنا . ومد الصليب إلى الأب الراهب ووضعه على فمه ليقبّله، وقبل الأب الصليب في رضى .

لابد أن تحضروا معنا خدمة الغد . وهذا ليس طلباً ، بل أمراً :

وما أن قبل مستر ليتو أيضاً الصليب الكبير ، حتى بادره بأنه تأخر جداً عن عمله وأنه لابد أن يغادر فوراً ، وحاول الأب المقدس أن يعطله ، ولكن مستر ليتو أصر بشدة على أن يغادر فوراً . فسمح له بالمغادرة على شرط أن يعودوا غداً السبت ، لحضور الصلاة والقداس الذي يقام في منزل عمدة المنطقة . وهذا من أجل تقديس إبنة العمدة التي ولدت حديثاً . ولما حاول مستر ليتو أن يفكر في برنامج الغد، وهل سيسمح وقته بالحضور، إذا بالأب المقدس يقول: هذا ليس طلباً، بل أمراً، ولابد أن تنفذوه دون تردد. إذا قال الأب المقدس شيئاً ، لابد أن يُطاع دون مناقشة . تلغى أي مواعيد غداً لكي تحضروا أنت والأب الراهب ثم وجه الكلام للأب قائلاً : أنا أيضاً راهب . أنا لم أتزوج لأنني بابا . ولم يستطع الشاب أن يفتح البوابة ، إلا بعد أن عاد ليسأل الأب المقدس ، وما أن وصلوا على الطريق ، حتى تنهد مستر ليتو قائلاً : يا ترى ماذا سيكون في الغد ، إذا حضرنا الصلاة ؟ وأبدى الأب الراهب استعداداً أن يحضر وحده بسيارة الكنيسة ، لأنه عرف المكان ولكن مستر ليتو قال : لا أرى أن أتركك وحدك مع هؤلاء الناس ، لأننا لا نعرف نواياهم . وسأرتب كل مواعيدي حتى أكون معك ، وأرافقك غداً إلى الصلاة الساعة العاشرة صباحاً حسب الترتيب .

في بيت العمدة ، إنتظار طويل جداً ثم غداء كيفي (قبطي٢٢) :

وفي الميعاد المحدد توجهوا في سيارة الكنيسة إلى البيت القبطي . ووصلوا حوالي الساعة ١١ صباحاً ، وكان هذا في ٣ أبريل ٧٦ . وقالوا لقد أخرنا الخدمة حتى وصولكم، ووجهوهم إلى بيت العمدة . وفي ركن من أركان الحديقة عملوا مظلة بدائية بسيطة، ووضع تحتها ترابيزة تحمل أدوات المذبح والصلاة . وكانت حرارة الشمس شديدة، والمظلة غير كافية لأن تعطي ظلاً ، بل كان عليهم أن يتحركوا كل فترة ، لكي يهربوا من حرارة الشمس ، وقالوا سوف تبدأ الخدمة فوراً ، حين يصل صاحب القداسة الأب ..... ولكن طال الإنتظار ، والجو ساخن ، وحاولوا تخفيف الجو بالتهوية ومسح العرق الغزير بسبب رطوبة الجو . وأخيراً حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ، وصل الأب المقدس في موكب كبير ، وهو يلبس ملابس مذهبة ، وعلى رأسه طاقية الأساقفة ومعه الأساقفة والكهنة والشمامسة ، وكل الموكب يحوي ٢٢ شخصاً يلبسون ملابس متنوعة ، وهم يسيرون على إيقاع الطبول والدفوف الكبيرة . وبدأ صلاة القداس، وكان يصلي بعدة لغات يغلب عليها اللغات اللاتينية والسواحلية واللو. وكان واضحاً جداً أن نظام العبادة الكاثوليكي قد أثر عليه جداً منذ نشأته: ترتيب المذبح والأواني ، نظام رشم الصليب ، الشورية ورفع البخور ، الملابس تشبه ملابس بابا روما، غطاء الراس ، القراءة من كتاب صلوات مضخم موضوع على منجلية نحاس ، وأحس الراهب ومستر ليتو أن القداس الذي يشوه ليس منتظماً في صلواته ، بل جزء من هنا وجزء من هناك .

تكرار نداء قبطي مقدس :

وأثناء الصلاة كان القائد يقاطع كل شئ ، ليصرخ قائلاً " قبطي مقدس" ، فيردد الجميع بصوت عال رافعين أصبع السبابة من اليد اليمنى صارخين " قبطي" . ويصرخون هكذا ثلاث مرات متوالية ، ثم يكملون الصلاة .

وعدد كبير من الطبول كبيرة الحجم ، تضرب عليها شابات الكنيسة في نشاط وتوقيع منتظم. وعندما يبدأ الطبل، تقوم السيدات اللواتي يلبسن ملابس بيضاء ويغطين رؤوسهن بغطاءات بيضاء (تشبه غطاء رأس الراهبات القبطيات) ، ويبدأن في الرقص التوقيعي في حشمة ، وهن يصفقن بأيديهن ، وأيضاً يزغردن بين الحين والآخر ، تماماً كما يزغرد المصريات . وإن كانت الزغرودة في لغتهم إسمها جلا جلا . وكان يصل الرقص والطبول

والتصفيق والغناء (الترتيل) إلى ذروته ، حتى ينادى القائد قائلاً : جلا - جلا ، فترفع النساء أصواتهن بالزغاريد ، ولم تأخذ صلاة القداس إلا بضعة دقائق!! رفع فيها البخور ، ودق الأجراس ، وتناولوا ، وشرب هو الكأس كله . أما باقى الوقت فكان كله فى الرقص والطبل والترتيل . وفجأة طلبوا من الأب الراهب أن يلقى كلمة ، بعد أن قدموه للشعب على أنه كاهن حضر من الكنيسة القبطية فى مصر .

الراهبات المزيفات زوجات الأب المزيف

القديس الشهيد مارمرقس الأفريقى هو موضوع الكلمة :

وكان عدد الحضور حوالى ٣٠٠ شخصاً أو أكثر . وبدأ الأب حديثه عن مارمرقس وكرازته وتاريخه ، والكنيسة التى أسسها فى أرض أفريقيا ، والقابه الخمسة : القديس الأنجيلى ، الطاهر ، الشهيد ، والكاروز (الرسول) وناظر الإله . وكان يترجم الكلمة جملة جملة أحد رؤساء أساقفة الكنيسة ، وهو رجل متعلم تعليماً عالياً فى الإدارة والمحاسبات ، وحاصل على شهادات من إنجلترا ، ويعمل مدير إدارة فى شركة كبيرة فى نيروبى (سنعود للحديث عنه مستقبلاً) .

وكرر الراهب ألقاب مارمرقس ، حتى حفظها الشعب عن ظهر قلب . وتحدث معهم أيضاً عن زيارة العائلة المقدسة إلى أرض مصر . وكذا بطاركة العهد القديم مثل إبراهيم أبو الآباء وسارة ، وكذا يعقوب وأسباط إسرائيل الأثنى عشر ، وكذا يوسف الصديق الذى أصبح والياً على مصر ، وكذا أرميا النبى ، وموسى النبى الذى ولد فى أرض مصر . وكان صاحب القداسة ينصت فى إمعان ، دون أن يقاطع ، وعلم الأب بعدئذ بأنه كان يحاول أن يلتقط هذه المعلومات ، لكى يستعملها فى كل مكان ، ليظهر كمبعوث من البابا

شنودة الثالث والكنيسة القبطية في أرض مصر . ثم طلب منه مباركة الشعب واحداً واحداً. وكان كل فرد منهم يركع على رجليه ، ويضع يديه على صدره ، وكان الراهب يضع الصليب على رأس كل واحد ، ويطلب لهم البركة .

وطلب العمدة أن يبارك على بيته أيضاً . ورحب الأب الراهب وقادهم إلى البيت ، فصلوا على ماء ورشوه في المنزل . ولم تنتهي هذه الخدمة إلا في الساعة السادسة والنصف مساءاً . ثم دعوهم إلى الغذاء ، الذي إنتهى حوالي الساعة السابعة مساءاً .

وكانوا قد وصلوا إلى درجة من الإرهاق والتعب ، يشتاقون فيها إلى أن يغادروا المكان لكي يعودوا إلى منازلهم .

ولكن رئيس الكنيسة أصر أن يعودوا إلى البيت القبطي ، وحاولوا تأجيل العودة إلى وقت لاحق ، ولكنه أصر وقال : هذا ليس طلباً ، بل أمراً . أنت راهب وأنا صاحب القداسة ، لابد أن تطيع .

إلى مصر أرسلني لكي ارسم بطريركاً على كينيا وأفريقيا :

ما أن وصلوا إلى البيت القبطي Coptic Home حتى طلب منه مباركة المكان ، ورشم الراهب الصليب على الحجرات والمباني ومسكنه الخاص . وكان صاحب القداسة يرغب في شئ آخر ، وهو أن ينفرد بالراهب ، وحدث أن أخذه إلى ركن من الحديقة ، وقال في لهفة : أنا أخترت حياة البتولية ولم أتزوج . وأنه بطريرك على الكنيسة القبطية في كينيا وكل أفريقيا لأن له شعباً في بلاد كثيرة من العالم وأفريقيا .

(علم الراهب في وقت لاحق ، أن الأب المقدس ليس بتولاً ، بل له ٨ زوجات) .

ولكن الراهب قال : قبل أن نتكلم على البطريركية لابد أن نصحح أوضاعاً كثيرة ، لكي تكون عقيدتك قبطية أرثوذكسية . قال أنا قبطي أرثوذكسي ...

ولكن الخدمة التي قمت بها اليوم ، هي طقس كاثوليكي ... لا يصح أن نضع فروقاً ولا عقبات ... هل يمنع أن تكون هناك فترة تلمذة ، وشرح لما هو قبطي من عقيدة ولاهوت وتاريخ ...

يمكن ، بل لابد أن تكون قصيرة وفي السر ...

لا مانع أن تكون سرية ، ولكن لا نحدد الوقت ، لأنها لابد أن تكون متكاملة ... أنا

أعرف الكثير جداً بالروح القدس ، ولا أحتاج أن يعلمني أحد ما ، لأني الأب المقدس Baba Mtakatifu .

هل يمكن أن تفسر لي، لماذا ترفعون أصبعاً واحداً، وتقولون قبطي مقدس ؟Holy Copt قال لأننا نؤمن بالطبيعة الواحدة Monophysite .

وما معنى هذا ؟ قال : لا تعرف . هي عقيدة الطبيعة الواحدة ... أريد أن يكون لي فرص لقاء معك على إنفراد ، لكي نتحدث في هذه الأمور ... متى سأسافر إلى مصر للرسامة في البطريركية ؟

أعطني وقتاً . هناك حديث طويل أريد أن نناقش فيه بعض الأمور ...

أنا لا أحب المناقشات ، بل العمل الفوري . تشتري لي تذكرة ، وتعطيني خطاباً للبابا شنودة ، أسافر فوراً .

أنا مرهق جداً . هل يمكن أن أستريح الآن ، ونلتقي في فرصة أخرى ...

لا يمكن أن تخرج الآن ، إن لم تعطني وعداً بأن تنفذ ما أقوله ...

سكت وهدوء وصلاة من القلب . أنا صاحب القداسة ... فبدأ يستعمل يده لكي يضغط على الأب الراهب ، قائلاً قل نعم . قل نعم ، سوف أسافر غداً ... الأسبوع القادم .. سوف ترتب سفري فوراً إلى مصر .

وصلى الأب الراهب لكي ينقذه الرب من هذا الموقف ، واستجاب الرب بأن ظهر فجأة مستر ليتو ، ليقول الساعة أصبحت الثامنة مساء . ولابد أن ننطلق الراحة بعد أن جئنا هنا الساعة ١١ صباحاً ، وكرر مستر ليتو سعود مرة أخرى ، والحديث بقية . سوف نلتقي ولم يعط فرصة للإعتراض او للانتظار ، بل أخذ الأب الراهب من يده ، وبدأ يسير نحو السيارة . وتابعهم الأب المقدس لكي يطلب منهم العودة صباحاً الغد الأحد .

سوف نرى . وغادروا المكان وهم في منتهى الإرهاق ، بسبب حرارة الجو وطول البقاء . وسأل مستر ليتو : بأية لغة كانوا يتكلمون ؟ وأجاب الراهب أنه لا يعرف الإنجليزية إلا قليلاً جداً ، ولكن الحوار كان بالسواحلية .

صباح الأحد كانت خدمة مع الشعب الأرثوذكسي الأفريقي في ماسيفو وعاد الراهب إلى تيروبي يوم الاثنين .

الفصل الخامس عشر

الرب قريب

" لاتهتموا بشئ بل كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله وسلام الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع " (فى٤: ٥- ٧) .

وصل الأب الراهب إلى نيروبى فى ملتهى الإرهاق بعد قيادة السيارة أكثر من سبع ساعات على طرق متعبة وتوجه فوراً إلى مكتب البريد ووجد خطاباً مكتوباً عليه بالخط الأحمر " رسمى " official من الحكومة الكينية وفتحه فى شغف ليرى ما بداخله ووجد خطاباً من إدارة الهجرة تنذره بأن تصريح الأقامة الذى أعطى له عن طريق السفارة المصرية لخدمة أقباط كينيا قد ألغى وعليه أن يطلب تصريح إقامة تابعاً للكنائس الأفريقية التى يعمل فى وسطها أو يغادر البلاد فى مدة لا تزيد عن أسبوعين .

وكانت هذه مفاجأة كبيرة وأحس أنه لا يستطيع أن يفكر أو يتصرف وطلب المعونة من الرب .

" أنت قريب يارب لا يجب أن أهتم ولا تخطر أفكاراً فى قلبى كل شئ فى يديك وحسب مشيئتك " .

وتوجه إلى المنزل ووضع الحقائب ثم أغلق الباب وركع وصلى إلى الله : يارب أنت أتيت بى إلى هنا لأجل خدمتك إن كنت تريدنى أن أعود إلى ديرى فأظهر لى إرادتك ، أما إن كانت إرادتك أن أستمر فأظهر لى ذلك ، وإستمر فى صلاة عميقة لم يزعجها إلا رنين التليفون ، ولكنه فضل أن يستمر فى الصلاة . ولكن رنين التليفون توالى فى إلحاح شديد حتى أن الراهب شعر أنه ربما يكون لأمر هام ، فوجد على السماعة رجال الكنائس الأفريقية يسألون عنه قائلين : أن مجلس إدارة الكنيسة وافق على أن يعطوك تصريح إقامة على كنيستهم المسجلة .

ووجد الرب وشعر بقوة تسرى فى كيانه لسرعة إستجابة الصلاة . حقاً يارب أنت قريب بل قريب جداً ، ووافق على ذلك وحاول أن يؤجل لقاء هؤلاء الرجال إلى الغد بسبب الإرهاق ولكنهم أصروا على مقابلته فوراً فى وسط المدينة ومعه أوراقه الرسمية .

وفى مقهى فى وسط المدينة أكملوا كتابة الطلبات والإستمارات وقدموها إلى إدارة الهجرة فى نفس اليوم .

الراهب يحصل على تصريح إقامة تابعا للكنائس الأفريقية :

ولم تمض أيام قليلة حتى تلقى الراهب رداً بأنه أعطى تصريح إقامة لمدة خمس سنوات ، وتم ختم الباسبور بذلك وإلغاء التصريح السابق ، لمدة عام التابع للسفارة المصرية ، وأحس الراهب بيد إلهية تهيئ له طريقاً وسط مطبات كبيرة وعميقة .

تريدك أن تعمل طبيباً :

طلب رجال الكنيسة الأفريقية من الراهب مرافقتهم إلى مستشفى في وسط المدينة نيروبي ، للزيارة والإفتقاد ، وهناك قدموه لصاحب المستشفى الذي إستقبله بترحاب وإحترام ، ثم رافقوه في زيارة لكل أقسام المستشفى .

وفي مكتب الإدارة طلبوا بالعمل كطبيب في المستشفى وعرضوا عليه مرتباً قائلين سمعنا أن لديك مؤهلات وخبرة طويلة في الطب .

نعم ولكني الآن أخدم الإنجيل ، وكلمة الرب وقد دخلت إلى طريق الرهبنة وقد أعطيت حياتي للرب وتركت كل وظيفة لأجله ، ولا أريد وظيفة ولا مالاً بل إمتداد ملكوت السموات ..

ولكنك لابد أن تخدم الكنيسة بكل طاقتك ...

لا مانع عندنا أن تعمل ونحن نأخذ المرتب لأجل إحتياجات الكنيسة ...

ولكني لا أملك الوقت الذي فيه أعطي كل جهدي للعمل الطبي ...

بدأوا يهددون بأن تصريح الإقامة الذي أعطي له بناء على طلب الكنيسة يلزمه أن يكون طائعاً لرغباتهم وأن يكون على إتفاق كامل معهم ، لأنه يعتبر معاراً من الكنيسة القبطية من مصر للعمل معهم ، وأوضح الأمر جلياً لصاحب المستشفى ومديرها بأنه لا يسعى ولا يقبل وظيفة ، لأنه خادم الكنيسة ولديه خدمات وأعمال كثيرة لأن الذين يعملون في الطب كثيرون أما الذين يعملون في الروحيات فهم نادرون . " فأطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعله إلى حصاده " (لو ١٠: ٢) .

مطاردة وتهديدات من رجال الكنائس الأفريقية :

لم يقتنع هؤلاء الرجال بأن كون هذا الأب طبيباً لابد عليهم دخلاً وهو صيد ثمين لابد

أن يستغلوا وجوده لأجل منافعهم الخاصة .. وبدأوا في مطاردته بكل الطرق بالتليفون تكراراً ومراراً طالبين أن يحرفوا مكان سكنه حتى يزوروه . ولكنه كان يعطيهم رقم صندوق البريد وتحاشى مقابلاتهم على قدر الإمكان لكي يتجنب إلحاحهم وضغوطهم .

" فليكن كل شئ للبنيان " (١كو١٤: ٢٦) .

في الكنيسة الأولى في عصر الرسل ، كان أهم شاغل للخدام والإنجيليين هو بناء النفوس على أساس الإيمان والعقيدة ، وكلمة الله . ولم يشغلهم أين يجتمعون لكي يبنوا بعضهم بعضاً ، أفي الكهوف أم المقابر ، أم في البيوت أم تحت ظل شجرة ، أم على شاطئ البحر أو حتى وسط المقابر . وما أن بنيت الجماعة روحياً وإيمانياً ، حتى تجمعوا وساهموا واشتركوا وأعطوا وعملوا ، حتى بنوا الكاتدرائيات والكنائس في كل مكان. من أين نبدأ إذن؟ وما هو المدخل الصحيح ؟

" وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أكثر فأكثر في المعرفة ، وفي كل فهم، حتى تميزوا الأمور المتخالفة ، لكي تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح، مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده" (في١: ٩) .

كان شغف قادة ورجال الكنائس الأفريقية على مقابلة الراهب القبطي واضحاً جداً. ولكن ما أن يتحدثوا إليه ويقدموا طلباتهم ورغباتهم، حتى يكتشف أن بعضهم يسعون وراء الجسديات والماديات: إما المال والشهرة ، وإما الألقاب الرنانة أو السلطة أو المراكز . والبعض هم الذين يسعون وراء المعرفة أو الروحيات أو خلاص النفس والإلتقاء بالرب.

أمور كثيرة متخالفة فيما بينهم وبين أنفسهم. هم يحتاجون إلى كثير من البناء الروحي، لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة ، لبنيان جسد المسيح الذي هو الكنيسة !! وكانت حيرته تزداد كلما تقابل معهم، وكان يترجى من الرب وسيلة لكي يستطيع بها أن يساعدهم مساعدة فعالة تؤدي إلى وحدانية رأيهم واشتياقهم إلى امتداد ملكوت الله على الأرض .

ما كتبه القديس بولس الرسول ، في رسالته إلى أهل فيلبي كان له رنين خاص في قلب الراهب، إذ وجد فيه تشابهاً كبيراً مع حالته، واعتلته الرسالة طرباً ، وهيأت له وسيلة .

دعوة قادة الكنائس الأفريقية لإجتماع عام في نيروبي :

امتلأت صالات الإجتماعات بأكثر من مائتين من قادة ورجال الكنائس الأفريقية، بعد

ظهر يوم السبت ٧٦/٤/١٠. وكل منهم له اشتياق أن يسمع ما يريده هو. ووقف الراهب القبطى ليقول: لقد وجدت فى الثلاثة الشهور الأولى من إقامتى فى كيليا اشتياقاً حقيقياً نحو تعاليم الكنيسة القبطية الرسولية. فهذا ثلاث كنائس تؤمن بوصية رئيس الأساقفة الأسبق الأرثوذكسى دانيال وليم الكسندر، الذى أوصاكم أن تتبعوا تعاليم الكنيسة القبطية. كما وجدت أن وصية قد ذكرت فى دستور إحدى الكنائس أن يكون التعليم اللاهوتى تابعاً لعقيدة الكنيسة القبطية. كما أن إحدى الكنائس الكينية قد أعطت نفسها إسم " الروح القدس القبطية" وهذا يؤكد أننا مسئولون على القيام بشئ موحد لكى يغطى كل هذه الإحتياجات .

فلابد أن نعمل معاً دون إنقسام ، ويكون هدفنا هو تأسيس معهد لاهوتى فى شرق أفريقيا، يقدم التعليم وروحانية الكنيسة الأصلية العريقة الرسولية إلى رجال الكنائس وشبابها .

الكنيسة القبطية لها تاريخ عريق يرجع إلى ما يقرب من ألفى عام منذ أسس فيها كاروز الديار المصرية القديس مارمرقس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية الشهيرة التى تعمل حتى الآن . الكنيسة القبطية هى أم كنائس افريقيا كلها ، وهى مستعدة أن تقدم لكم كل حب وأبوة ورعاية ، لكى تساعدكم على إعداد القادة والخدام والشمامسة لأجل خدمة كنائسكم وشعوبكم .

وطلب الكلمة كثيرون ليعبروا عن رأيهم فى هذا الأمر . فمن قائل إنه عنده دكتوراه فى اللاهوت ، والثانى قال إنه قادر على التعليم فى هذه الكلية اللاهوتية لأنه ابن . والأخر قال إنه لابد أن يعين فى إدارة الكلية ، لأنه كفؤ وله خبرات واسعة فى هذا المجال . والرابع طالب الحق فى أن يختار مجموعات الطلبة للكلية، وأن على الكنيسة القبطية أن تعمل على إرسالهم للخارج لتكملة دراساتهم فى مصر أو فى أى بلد أرثوذكسى أخر .

وكان سماسرة الأديان موجودين بكثرة فى الإجتماع ، وبدأوا يطالبون الراهب بأن يعد فوراً كشوف المرتبات ، وأن يتم التعيين فوراً لهؤلاء الذين سيكونون مساعدين له فى إنجاز هذا الأمر .

ولم ينته الإجتماع إلا بعد أن تشاجر إثنان من رجال الكنائس، حين وقف كل واحد منهما يهاجم قيادة الكنيسة الأخرى . فتدارك الأب الراهب الأمر وأنهى الإجتماع بالصلاة وأنصرفوا .

خطابات تهديد من محامى فى نيروبى :

وازدادت الضغوط من قادة الكنائس الأفريقية الأرثوذكسية الذين أعطوا الراهب تصريح الإقامة ، والذين ارادوا أن يعمل كطبيب فى مستشفى لكى يأخذوا منه مرتبه. إزدادت مكالماتهم التليفونية طالبين أن يقابلوه لكى يعطيهم أموالاً ، ولكى يعرضوا عليه نوعاً آخر من المستشفيات أو العمل الطبى، طالبين أن المستشفى التى زاره أولاً معهم لم تعجبه.

حاول أن يتفاهم معهم على التليفون بأن المسألة ليست مستشفى أو غيره، بل هى خدمة روحية وكرازة وتعليم وتدريب لاهوتى . نريد أن نعيش الإنجيل ونبشر به ، وكتب لهم خطاباً روحياً مطولاً يشرح لهم خدمته وسطهم .

"فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع رباً. ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع، لأنه الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة ، هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح " (٢كو٤: ٥- ٦) .

وما أن أرسل الخطاب بالبريد ، حتى بدأ يصلى إلى الله أن يفتح عيون أذهانهم لكى يشتاقوا إلى رسالة الإنجيل ، ويساعدوه على إتمام رسالته الروحية .

ومضى حوالى إسبوع وإذا به يتلقى رداً على خطابه الروحى، بخطاب من مكتب محام كينى، يطالبه بطاعة تعليمات قادة الكنيسة، وأن يقبل أن يعين فى وظيفة طبيب حسب طلبهم، وإلا فإنهم سيضطرون إن يلغوا تصريح إقامته فى كينيا، وعليه إذن أن يغادر البلاد فوراً .

وكان هذا الخطاب قد سبب إزعاجاً وقلقاً ، وطلب من الرب تعزية وإرشاداً .

خطاب إستدعاء للمثول أمام المحكمة :

وفى اليوم التالى وجد الراهب فى صندوق البريد خطاباً مسجلاً يدعوه للمثول أمام المحكمة فى نيروبى، فى تاريخ وميعاد محددين. وظن أنه أيضاً بسبب مضايقات رجال الكنائس الأفريقية ، ولكن ما أن قرأ الخطاب بإمعان، حتى علم أنه من محكمة المرور، لأنه ربما يكون قد وقع فى خطأ أثناء قيادة سيارة الكنيسة دون أن يلاحظ تعليمات أو قوانين المرور

لا مفر من الوقوف أمام المحكمة فى كينيا ، وكان قد وقف أمام المحكمة فى أثيوبيا كمتهم بسبب حادث سيارة. ولكن المحكمة العليا برأته تماماً من المسئولية عن الحادث .

أما فى نيروبى فلا مفر من الوقوف أمام المحكمة لأول مرة فى كينيا . ولكن الأب أصر أن يقابل القاضى ، وانتظر حتى حضر وقدمت له الحالة. وهنا سأله القاضى هل أنت متذنب؟ قال ليس عن قصد. وأنا جديد فى الإقامة فى هذه المدينة، وقد عرفت الآن أن هذا خطأ ولن أكرره مرة أخرى، فحكم القاضى بالبراءة .

إعطاء كورس مكثف لخدام الكنيسة الخمسينية المستقلة :

فوجئ الأب الراهب بزيارة عضو البرلمان ، الذى أتى لكى يسأل إن كان الأب قد قرر تمويل بناء المدارس الإبتدائية والثانوية . ولكن الأب أعتذر قائلاً هذه المشروعات تحتاج إلى ميزانيات عالمية لتمويلها . وسأل الأب : لماذا لا تبدأ بالطريق الروحى والكنسى؟ لماذا لا تحاول إقناع رئيس الأساقفة كاهيهيا بذلك ؟ فقال: إن أعضاء إدارة الكنيسة مقتنعون أن يعطوك الفرصة لكى تقوم بتعليم رعاة الكنسية وشمامستها حسب عقيدة الكنيسة القبطية، ولكن الأساقفة يرفضون . ونحن سنساعدك وتحميك حتى تتمم مهمتك التى نقدرها جداً . وقد رتبت أن تبدأ مع بداية الأسبوع القادم فى بلدة كيليزهو على بعد ٥٥كم من نيروبى. وبدأ فعلاً الأب البرامونى فى إلقاء محاضرات على ٥٢ من خدام الكنيسة، تجمعوا من المناطق المجاورة وانتظموا يومياً بشوق فى الدراسة . وكان الأب يسافر يومياً بسيارته صباحاً، ويعود الخامسة بعد الظهر . وكان يشعر بتعزية كبيرة لاستجابة الخدام للتعليم ، وإنفعالهم الشديد به . وتزايد اشتياقهم للأكثر .

واستمر التعليم لمدة أسابيع متوالية ، خمسة أيام كل اسبوع من الاثنين إلى الجمعة وأيام أسبوع الآلام المباركة على الأبواب .

أسبوع الآلام فى نيروبى مع الأقباط فقط :

عائلات الأقباط فى نيروبى فى انشغالهم ومدارسهم طوال الأسبوع . وليست هناك إمكانية لحضور الصلوات إلا مساءً . أما الكينيون فلا يعرفون شيئاً عن أسبوع الآلام وطقوسه الجميلة . ووجد الأب أن هناك إمكانية أن يستمر فى إلقاء محاضرات الخدام فى الكنيسة المستقلة فى فترة الصباح فقط . فكان يذهب صباحاً ويعود بعد الظهر ، ويجتمع

مع الأقباط مساءً في أحد البيوت لتكميل طقس أسبوع الآلام وقراءته وألحانه .

وصلوا خميس العهد والقداس في أحد البيوت ، وكان الحضور ضعيفاً جداً. وهذا وضع على الأب الراهب عبئاً كبيراً لإكمال الطقس وحده أو مع شماس واحد . ولكن تعزيتهم كانت كبيرة إذ في صلوات وقراءات أسبوع الآلام وألحانه من عمق وروحانية .

واجتمعوا ظهر يوم الجمعة العظيمة في منزل المستشار وهيب المنياوي مستشار السفارة المصرية في نيروبي (سفير جمهورية مصر في طوكيو – اليابان حالياً) . وأكملوا طقوس وصلوات الجمعة الكبيرة وهم صائمون حتى الساعة السابعة مساءً .

وكذا قداس القيامة : رفعوا الصلوات في الكنيسة الصغيرة الملحقة بمنزل رئيس الأساقفة، وحضرها عدد كبير من الأثيوبيين المقيمين في نيروبي. وتعجب الأب الراهب أن غالبية الأقباط عبروا عن إغتباطهم بحضور تمثيلية القيامة، حيث أنها أول مرة لهم يتمتعون فيها بروحانيتها. وإجتمع الأقباط في مائدة الأغابي لإفطار عيد القيامة بعد القداس. وكم أحس الجميع بفرحة العيد في الغربة ، الشئ الذي حرموا منه لسنوات .

مجلس كنائس كينيا يقدم المعونة :

"لأنه تعلق بي أنجيه ، أرفعه لأنه عرف إسمي . يدعوني فأستجيب له ، معه أنا في الضيق ، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي" (مز ٩١: ١٤– ١٦) .

وبعد عيد القيامة إزدادت جداً مضايقات رجال الكنائس الأفريقية والتهديدات بالتليفون، وتكررت إجتماعات ولقاءات في مكتب المحامي، ولكن لم يهدأوا ... وكانت طلبته دائمة في قلب الراهب : أنت معي يارب في الضيقة ، أنا أثق أنك خلف الخيمة ، وأنني سوف أرى خلاصك قريباً . من هؤلاء الذين يهددون بإلغاء تصريح الإقامة .

حقاً حقاً فبعد عيد القيامة بأيام قليلة فوجئ الأب بمكالمة تليفونية من مستر جون كامار وهو سكرتير عام مجلس كنائس كينيا الذي كان قد عاد لتوه من زيارة إلى مصر هو وزوجته، حيث إستضافه ديافة الأنبا صموئيل في القاهرة ، وأوصاه بمساعدة الأب الراهب في حل مشكلة الإقامة في كينيا ، وأيضاً هؤلاء الناس الذين حصل منهم على تصريح الإقامة. وعلم منه أن هذه المجموعة منحرفة وخطرة، وأن ديافة الأنبا صموئيل مشغول عليك في هذا. وفي أيام قليلة تمت إجراءات إلغاء تصريح الإقامة التابع للكنيسة الأفريقية،

وأعطوه تصريح إقامة لمدة سنة تابع لمجلس كنائس كينيا، حتى يخدم في حرية دون تهديد

وتعجب الأسقف من توقيتات زيارة سكرتير المجلس لمصر، وميعاد تغيير تصريح الإقامة، والطريقة العجيبة التي يحل بها الرب المشاكل والضيقات، أليس هو الذي :

"يدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش٩ : ٦) .

تسجيل الكنيسة القبطية كهيئة كنسية رسمية أمر هام وضروري :

أمام هذه الضيقات والأزمات ، بدأ الأب الراهب يسعى في إيجاد حل يعطي الكنيسة القبطية صفة رسمية في كينيا ، تكون هي المظلة التي تحتها يجد لكل الخدام والعاملين تصاريح الإقامة ، وحرية الحركة في الخدمة، وتمثيل الكرازة المرقسية . وبدأ الأب يسأل عن إمكانية تسجيل الكنيسة ، ولكن قيل له إن الحكومة الكينية قد توقفت عن تسجيل كنائس جديدة. ولم يقتنع بل كرر السؤال لفرد وأفراد وطلب ميعاداً لمقابلة السكرتير العام لمجلس كنائس أفريقيا وكان في ذلك الوقت راعياً من نيجيريا إسمه بيرجس كار ، وأعطاه نسخة من دستور الـ AACC، وأيضاً صورة من تسجيل المجلس في الحكومة الكينية – وطلب منه أن يقابل محامياً لكي يساعده على تسجيل الكنيسة . وبدأ يدرس الدستور، ويسأل أين مكتب تسجيل الكنائس ؟ ولم يدله أحد .

آن الأوان أن تتسلم الكنيسة أما أنا فأتفرغ لعمل المعجزات :

ودعى الراهب لحضور خدمة الأحد مع الأب المقدس الذي كان موجوداً في نيروبي، وفي أحد توما كانت كنيسة الروح القدس القبطية الكينية تحتفل بتقديم مولودة جديدة إلى الكنيسة ، وتجمع الشعب في قاعة ، وبدأوا التراتيل وضرب الطبول. ولكن الأب المقدس استدعى الأب الراهب لكي يتمشى معه في الخدمة ، وبدأ يحكي له عن معجزات الشفاء التي يقوم بها كل يوم، ولم يصدقه الأب الراهب بل بدأ يسأله أسئلة كثيرة ، فهم من إجاباته عنها أنه يدعي أن الروح القدس يعمل معه في هذه المعجزات .

وبدأ الخدمة الحادية عشرة صباحاً ، واستمرت حتى الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل . وحاول الراهب عدة مرات أن يعتذر للإنصراف ، ولكن الأب المقدس منعه تماماً حتى إنتهاء الإحتفال . ولاحظ الراهب أن الأب المقدس أعطى أوامره بأن يكون رد الشمامسة والأساقفة والشعب عندما يقوم السلام لجميعكم .. يقولون ومع روحك المقدس.

واعترض الراهب على هذا الأمر ، وأبلغه للأساقفة ورؤساء الأساقفة قائلاً :

لا يجب أن يقال إلا ومع روحك أيضاً . وعرضوا الأمر على الأب المقدس وهو واقف خلف المذبح ملتحفاً بملابس مزركشة ، وثار فيهم ثورة شديدة ، آمراً إياهم أن يعملوا ما أمروا به . وترجمت للراهب العظة التي ألقاها الأب المقدس بلغة اللو . ولكنها كانت سطحية جداً فيها كثير من الهجوم على الكنائس الأخرى . كانت الخبرة كلها سمعية وطويلة ومتعبة بسبب كثرة الضجيج وطول الوقت . وإن كانوا قد أعطوا للراهب دقائق قليلة للتعليم ، إلا أن آلام الصداع والعصاريف كانت شديدة .

الشعور بحضور الرب الدائم :

يا من بحضوره نفسي تطيب .. وفي يوم ضيقي أدعوه .

نهاراً تعزي في الليل رقيب .. خلاصي من كل الوجوه .

وسأل الراهب أحد آباط نيرويي ، الذي كان يتابع كل ما يجري من تهديدات وضيقات ومشاكل وإحتمال ساعات طويلة ، كيف تحتمل كل هذا؟! فأجابه بأن ما يطيب النفس حقاً ، هو الشعور بحضور الرب في كل وقت فهو نهاراً يعزي وليلاً هو يراقب – هو خلاص النفس من كل الوجوه وبدأوا يرتلون هذه الترتيلة الجميلة ويرددها في قلبه تكراراً وكم أعطتهم سلاماً وتعزية .

الفصل السادس عشر

"شوكة فى الجسد"

(٢كو١٢: ٧)

في مستشفى نيروبي لإجراء عملية جراحية لإزالة غضروف في العمود الفقري :

قيادة السيارة يومياً في طرق خشنة وكثرة الأسفار ، حركت آلام الغضروف الذى كان يضغط على أعصاب الرجل اليسرى كلها سببت آلاماً شديداً . وكانت هذه الآلام قد بدأت في عام ١٩٦٥ عند حدوث أول إنزلاق غضروفى فى الطريق إلى دير الأنبا بيشوى، عندما حاولوا رفع السيارة التى غرست فى الرمال .

أما فى نيروبى فكانت شديدة جداً أكثر من المعتاد ، فظهرت فجأة فى الصباح الباكر عند أول إنحناءه . وحاول الراهب أن يعالجها بالراحة التامة فى السرير ، الأمر الذى لم يكن ممكناً لأنه وحده تماماً فى المنزل ، ليفتح الباب لكل طارق ولكى يقوم ليجيب على التليفون . وكانت أقراص المسكنات لا تفيد كثيراً ، بل أضطر أن يعطى نفسه حقناً مسكنة فى الوريد ، كان لابد أن يكررها كل بضعة ساعات من شدة الألم . واستمر ثلاثة أيام ، على هذه الحالة يزوره القليل من الأقباط ويعتنوا بأموره حسب إمكانياتهم . ولكن ضعف العضلات فى القدم اليسرى أعطى علامات عن خطورة الموقف ، إن لم يتخذ إجراء سريعاً .

ونقل إلى مستشفى نيروبى ، وفحصه جراح إنجليزى إسمه مستر سيتوارت وما أن علم أن المريض زميل له ، حتى ناقشه طبياً ، وخرجا بنتيجة هامة واحدة، وهو أنه لابد من إجراء عملية جراحية فى أسرع وقت ممكن، لإزالة الغضروف الذى يضغط على الأعصاب، وبسبب الألم وقد يسبب شللاً دون علاج. وقال الجراح إنهم سيرتبون لإجراء العملية بعد يومين . ولكن الراهب أجاب لماذا لا تكون غداً؟ وابتسم الجراح فى تعجب وقال: إنك لا تهاب العمليات .. سنحاول أن نرتبها للغد .

قداسة البابا شنوده الثالث يعطى محبة فائقة لإبنه الراهب المريض :

ولم تمض أيام قليلة على إبلاغ قداسة البابا عن العملية التى أجريت فى ٧٦/٥/١٨ حتى كان نياقة الأنبا باخوميوس اسقف البحيرة وقتئذ (حالياً مطران البحيرة والخمس مدن الغربية)، فى نيروبى فجر الجمعة ٥/٢٧، ليتفقد الراهب ابن الكنيسة فى غربته ومرضه.. كانت السادسة والنصف صباحاً ، عندما دق جرس التليفون فى سكن الراهب لأول ليلة بعد عودته من المستشفى ، وسمع صوت نياقة الأنبا باخوميوس ، يسأل عن صحته . وظن الراهب أن نياقته فى المطار ترانزيت فقط للسفر إلى بلد أخرى فى أوربا لحضور مؤتمر

ما. إلا أن نيافته سأل عن عنوان السكن لكي يصل إليه، لأن قداسة البابا قد أوفده للإطمئنان على صحته وراحته بكل إحتياجاته .

نيافة الأنبا باخوميوس يتفقد مناطق الخدمة فى كينيا :

أقام نيافته فى نفس السكن مع القس أنطونيوس البراموسى، وحيث كان الراهب يرقد على سريره للنقاهة من العملية الجراحية ، دارت أحاديث طويلة عن الخدمة والنشاطات والمقابلات التى حدثت فى الشهور الخمسة الماضية . كما استقبل نيافته فى المنزل رجال الكنائس الأفريقية الذين حضروا للسؤال عن الأب المريض .

تحدث مع عضو البرلمان رئيس اللجنة الوطنية للكنيسة الخمسينية ، الذى دعا نيافته لزيارة المناطق التى خدم فيها الأب الراهب ، وألقى فيها محاضرات على رعاة وشمامسة الكنيسة . ولم يستطع الأب الراهب مرافقتهم حيث أنه لازال فى فترة نقاهة .

كالخراف الضالة وجدت راعيها ، وكالإبن الضال الذى عثر على أبيه :

وحضر أيضاً رجال الكنيسة القبطية للروح القدس الكينية . وما أن علموا أن نيافة الأنبا باخوميوس موجود، حتى أخبروا الأب المقدس الذى حضر أيضاً للحديث معه، وجمع كل رجاله وقدموا دعوة لنيافته بأن يحضر معهم خدمة الأحد بعد الظهر . وبالتالى دعاهم نيافته لحضور قداس الأحد صباحاً فى الكنيسة الصغيرة الملحقة بمسكن رئيس أساقفة الإنجليكان .

واضطر الأب الراهب أن يقود السيارة إلى الكنيسة ، واشترك فى صلاة القداس الإلهى، ولم تمض على إجراء الجراحة أكثر من ١١ يوماً، وبعد الظهر قاد السيارة مرة أخرى لكى يشترك مع الأسقف وشعب كنيسة الروح القدس القبطية فى الصلاة التى ألفوها بعد الظهر فى قاعة مؤجرة . وإن كانت آلام الظهر شديدة، إلا أنهم أضطروا أن ينتظروا حتى بعد الخامسة، حيث حضر الأب المقدس فى زفة كبيرة، واستمرت الخدمة حتى السابعة والنصف مساءً. وبعدها رحبوا بنيافته وبالأب الراهب، وطلبوا زيارتهم مرة أخرى فى المسكن، لأنهم لديهم ما يريدون أن يقولوه .

وحضروا إلى المسكن ، وقدم الأب المقدس طلباً مكتوباً للإنضمام للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، موجهاً لنيافة الأنبا باخوميوس ، ومرفوعاً لقداسة البابا شنوده الثالث يحوى

مثل هذه التعبيرات :

"نحن رئيس وأساقفة وشعب كنيسة الروح القدس القبطية فرحون بأن نتعرف على الكنيسة القبطية الرسولية الأولى، من خلال خدمة وتعليم الأب الراهب أنطونيوس البراموسى. وكنا نحلم بها اليوم فى نومنا، ونتطلع إليه فى يقظتنا ، أن نلتقى بالكنيسة القبطية الحقيقية ، ونحن نشعر أننا كالخراف الضالة التى وجدت راعيها ، وكالإبن الضال الذى عثر أخيراً على أبيه الحنون " .

وفرح بهم نيافته ، ووعد بأن يرفع طلبهم إلى قداسة البابا شنوده الثالث، لدراسة وتلقى توجيهات قداسته فى تنفيذ هذا عملياً .

السفر إلى مصر مع نيافة الأنبا باخوميوس :

وفى كل محبة وحنان أبلغ نيافة الأنبا باخوميوس الراهب البراموسى، بأن قداسة البابا يرغب فى حضوره إلى مصر لقضاء فترة نقاهة ، وكذا للتشاور فى أمور الخدمة الجديدة الناشئة فى كيلينا ، وما هى أول الإنطباعات ونتائج المقابلات والأسفار فى الشهور الخمسة الأولى ، من أول خدمة لنا فى جنوب خط الإستواء .

وصلوا إلى القاهرة يوم الجمعة ٤ يونيو ٧٦ وكان عيد العنصرة على الأبواب. وما أن إلتجأ الأب الراهب للراحة بعد تعب السفر وآلام الظهر ، حتى فوجئ بزيارة من قداسة البابا شنوده المملوءة إتضاعاً ومحبة، الذى جاء إلى حجرته لكى يطمئن على صحته . ودعاه إلى مقابلة قداسته فى مكتبه فى أول فرصة بعد إكتمال راحته من السفر .

ترجمة خطاب الأب المزيد رئيس كنيسة الروح القدس القبطية
في أثريطيا

الكنيسة القبطية لروح القدس
ص.ب.٧٢٩٣٣ نيروبي
(أو ص.ب.١٢٩٣٠ غيومو)
٢ يونيو ١٩٧٩

صاحب النيافة الأنبا باخوميوس
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
ص.ب.٨٨ دمنهور- مصر

انا أحييك باسم الرب الذي نحن على الأرض لنخدمه ،

بالإشارة إلى إجتماعنا معكم يوم السبت ٢٩ مايو في سكن أبونا أنطونيوس فإنني أعبر عن رغبة كنيسي لكم أؤكد على النقاط التي تحدثنا عنها معكم في حضرة أبونا أنطونيوس وأعضاء كنيستي البارزين .

وقبل أن أقوم بهذا أحب أن أعبر عن شكرنا العميق لحضوركم عابرا كل هذه المسافات لكي تزورا أخوتكم الحبيب أبونا أنطونيوس الذي رحبنا به بقلوبنا في كينيا وكذلك واحد منا في الكنيسة القبطية لروح القدس في أثريطيا .

اشار الجميع معكم لقد دعوناكم "أبونا" وركضنا جميعا لكي نحييكم . انني أحب أن أؤكد أن كنيستنا كانت مكان الخروف الضال الذي عُثِر عليه بواسطة عاصية ، وهنا فالطفل الذي ليس له أهل - مولود بالروح القدس - ولكن الآن وجدنا أهلاً وهي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المصرية ، وكنا ليلاً ونهاراً متأملاً في هذا الأمر في وقت النوم والطبخ اوقات فترة نهالبا أن تطلب كنيستنا إنضمام عائلتي كنيسة مارمرقس كنيسة الإسكندرية ، ولأجل هذا نحب أن نسمح بتعاليم القديس مارمرقس في كل إجتماعات عائلتنا وهذا يعني التعليم الكاثوليكي الذي كنا نتبعه .

هذه المقادير يجب أن نعلم انه عاجلا لقد اسسه البابا كنودة بواسطة تيلتكم وكما اتفق أنه عندما يحين الوقت لزيارة مصر - سأكون سعيدا لأقابل صاحب القداسة لكي أناقش هذه النقاط معه ، ولكن حاليا نحن نرغب في تغيير سريع في نظام خدمة الكنيسة إلى نظام الكنيسة القبطية نميزا عن النظام الكاثوليكي - وهنا نحن نطلب إرشادكم .

وختاما يسرني أن أشكركم عاليا على الخدمات التي قمتم بها من خلال خدمة أبونا أنطونيوس ، وتبع الرب المتعالي الذي يسر مقابلتنا بعضكم - نرجو أن تخبرنا بان الكنيسة القبطية لروح القدس لوأثريطيا قد وُضِعَت في أيديكم ، الكنيسة الأم ، تطلب الإرشاد والمساعدة ، نطلب إلى الرب أن يكون معنا جميعا ويوصلنا إلى الأبد

أخوك في المسيح
المطران الأب يوحنا

The Holy Ghost Coptic Church
P. O. Box 72821
NAIROBI Tel: P.O.Box 3462, KISUMU

3rd June 1970

Your Grace Stefan Dobronos
Coptic/Orthodox Church
P. O. Box 55
Limuru
Kenya.

Your Grace,

I greet you in the name of the Lord who we are on earth to serve.

Following our meeting with you on Saturday the 30th May at Father Antonius's residence it is my inspired desire to confirm all the points we discussed with you in the presence of Father Antonius and other members of my church.

Before going that I would like to express my deep gratitude to you for having come all the way to see our dear brother Father Antonius whom we have heartily welcomed to Kenya particular), as one of us in the Holy Ghost Coptic Church of Africa.

During my speech with you, I called you our FATHER and we all look down to greet you. I would like to confirm that our church has been like the lost sheep which has now been found by the enemy. We have been like a ship without capacity - tossed by the Holy Ghost let we have now found a parrot - the Coptic Orthodox Church of Egypt. I have been retaliating all these points in my sleep and each moments and I have fully decided that our church would like a full affiliation to the Coptic Holy Church of Alexandria and we would like to further with His Holy Father's teachings in all our church services as opposed to the Catholic way we have been doing.

Some problems remain to present us in His Holiness Pope Cyrillos through your hands. As agreed when my time for visiting Egypt church, I shall be pleased to meet His Holiness and discuss these points with him. In the meantime, we are desirous of urgently sending our Sunday School to Coptic Church rather than Catholic one. Here we need your guidance.

In conclusion, I must thank you for all you have done for us through Father Antonius and pray to the most High God to bless us and be with you. Please rest assured that through the help of the Lord Jesus, Holy Ghost Coptic Church of Africa is not in your hand lacking simple I for guidance and assistance.

May the Lord be with us all and watch us for ever.

Your brother in Christ

Most Father Jon

الفصل السابع عشر

تأسيس أسقفية عامة لشئون أفريقيا

تأسيس أسقفة عامة لشئون أفريقيا :

وفى مكتب قداسة البابا استمع قداسته إلى تقرير من الأب البراموسى عن اختباراته مع الشعوب الأفريقية فى كينيا . وشرح قداسته أهمية تأسيس أسقفية عامة ترعى شئون أفريقيا، كما أن تخصيص أسقف عـام لهذه الخدمة سيعطيها كياناً وقوة . وكذلك وجود اسقف قبطى بين هؤلاء الذين يقدمون أنفسهم على أنهم بطاركة، أو أصحاب قداسة أو رؤساء أساقفة ، سوف يعطى صورة حقيقية للكنيسة القبطية فى القارة .

وفوجئ الأب الراهب بهذا ، ظاناً أن قداسة البابا يقصد راهباً آخر . وعندما سأله قداسته إن كان يفضل الرسامة على إيبارشية داخل مصر ، أجاب قائلاً : قداستكم تعلمون أن الرب دعانى لهذه الخدمة ، وأنا لازلت مثالباً فى كلية الطب ، وإن ما رأيته فى فجر ذلك اليوم قبل سفرى إلى أثيوبيا لايزال ماثلاً أمام عينى . ولا أستطيع أن أعاند تلك الدعوة والرغبة التى وضعها الله فى قلبى ، ولا تلك الرؤيا التى اعلنت لى خدمة أفريقيا. واتفقوا على رسامة الأب أنطونيوس البراموسى أسقفاً عاماً لشئون أفريقيا . وهذا فعلاً كان النطق والتقليد الذى أعلنه قداسة البابا فى طقس رسامته أسقفاً عاماً .

مع الأب مرقس الأسقيطى (المتنيح) :

وصل الراهب القس مرقس الأسقيطى إلى مصر فجأة قبل عشية الرسامة (العنصرة) بساعات . وكانت له لقاءات مع قداسة البابا والمتنيح الأنبا صموئيل ، ثم مع الراهب المرشح لأسقفية أفريقيا العامة وسئل أسئلة كثيرة عن الخدمة فى كينيا وإمكانياتها، وما هو متوقع فى المستقبل فيها ، ودعاه الأب البراموسى أن يحضر إلى أفريقيا ليخدما معاً ، حيث أن شعوب كثيرة فى كينيا تتشوق إلى تأسيس كنائس قبطية وسطهم ، وحيث أن الأب مرقس الأسقيطى كان مواطناً أوغندياً مولوداً على الحدود بين كينيا وأوغندا ، فإنه يعرف اللغات والقبائل والناس ، والفضل طريقة لخدمتهم وتدريبهم خداماً جدد من وسطهم.

وكان فى ذلك الوقت لايزال يدرس ويخدم الكنيسة القبطية فى أمريكا الشمالية .

كنيسة الرسل تم بناؤها من القاعدة إلى القمة :

قضى الأب البراموسى ساعات طويلة مع الأب مرقس الأسقيطى ، يحاول إقناعه أن يترك أمريكا ، ويعود إلى وطنه وشعبه ، حيث أن الرب أعطاه وزنة الرهبنة والكهنوت ، لكى يخدما معاً حتى يكرزوا وسط الشعوب التى ينتمى إليها ، حيث يتبعون خطوات الكاروز مارمرقس ، الذى ضم إلى الكنيسة الافاً من الأقباط ، وبهم تأسست القاعدة الشعبية ومنها يمكن اختيار شمامسة مملوئين من الروح القدس والحكمة، ليخدموا الشعب ثم من وسطهم يمكن إختيار من تتوفر فيهم شروط الكهنوت المذكورة فى كتاب العهد الجديد، لكى يخدموا الشمامسة والمؤمنين، وحينئذ تحتاج الكنيسة إلى أسقف لتدبير شئون الكنيسة فى كينيا . وكذا فى الدول التى يتم فيها إنشاء كنائس قبطية وطنية . وهذه كلها تكون تابعة لرسولية كرسى الأسكندرية ، وأعطاء مثلاً بناء الهرم، لابد من بناء القاعدة أولاً ، ثم الصف الثانى والثالث وهكذا ، حتى نصل إلى القمة وهذه كلها لأجل الخدمة وإمتداد ملكوت الله على الأرض ، وتأسيس أسقفية عامة لشئون القارة الأفريقية ، يفتح المجال لإنشاء وتأسيس كنائس وأسقفيات وطنية وسط شعوب القارة .

الكسندروس أم أنطونيوس أم مرقس :

وحدث تباحث من جهة الإسم الذى يعطى للإسقف الجديد لأفريقيا . وباعتبار أن إسم الكنيسة القبطية المعروف تاريخياً إنها كنيسة الأسكندرية ، فقد اقترح البعض أن يكون

إسمه إلكسندروس . وباعتبار أن كاروز مصر هو مارمرقس ، فقد اقترح أن يكون إسمه "مرقس" ولكن الرأى الذى قال إنه حرف وسط الأفريقيين باسم أنطونيوس، لا يجب تغييره، بل يضاف إليه إسم "مرقس" حيث أنها كرازة مرقسية .

ورحب قداسة البابا بهذا الإقتراح ، حيث أنه يمكن أن يكون للأسقفين إسمين . وهذا يتبع فى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، حيث يسمى بطريركها باسم أغناطيوس ويضاف إليه إسم البطريرك مثل مار أغناطيوس زكا قداسة البطريرك السريانى الحالى . ومار أغناطيوس يعقوب بطريركها السابق المنتيح . وتم الإتفاق أن يكون إسمه أنطونيوس مرقس . حيث أن مارمرقس هو كاروز الديار المصرية . وأن القديس الأنبا أنطونيوس هو أب الرهبان فى العالم . وهذان يشهدان بالكنيسة القبطية فى أفريقيا . وكان الأب الراهب يشترك فى كل هذا، وفى أحساس عميق حقيقى بأنه لا يستحق أياً من هذه الأسماء التى للقديسين الذين لم يكن العالم مستحقاً لهم .

عيد حلول الروح القدس عام ١٩٧٦ :

يوم ١٢ يونيو كانت عشية العنصرة . وقادوا الراهب وسط الأباء الرهبان والأساقفة إلى كاتدرائية القديس مارمرقس بالأنبا رويس بالعباسية ، حيث إمتلأت الكاتدرائية عن آخرها بشعوب أبروشيات كثيرة ، احتشدت لكى تعيد برسامة أساقفة جدد لها من المنيا وملوى وسمالوط والأقصر والمنوفية ، وأعلن قداسة البابا عن الرسامات الجديدة وسط فرحة الشعب وتهليل الآلاف ، عند سماع إسم الأسقف الجديد لكل إيبارشية .

أما الأسقف العام لشئون أفريقيا فليس له شعب بعد . وإن كانت فرحة الكنيسة بتأسيس أسقفية عامة لشئون أفريقيا لأول مرة فى عهد النهضة الحديثة فى عهد قداسة البابا شنوده الثالث، كانت واضحة وجلية ... فرحة فيها تطلع ومنها أمل ورجاء ، فى قدرة الرب التى تعطى الكنيسة أن تشهد للرب فى وسط شعوب كثيرة من القارة ، حيث ليس لنا بعد موضع لقدم .

عصا أفريقيا :

وفى يوم الرسامة فى ١٣ يونية تمت رسامة ٦ أساقفة جدد ، مع تغيير أسقفية المنتيح الأنبا بيمن من أسقف عام إلى أسقف منوى ، وكانت رسامة الأحبار الأجلاء الأنبا

أرسانيوس والأنبا بنيامين والأنبا أمونيوس والأنبا بفنتيوس والأنبا ايساك أسقفاً عاماً . وأخيراً الأسقف الجديد لأفريقيا .

وأحس الأب الراهب أثناء طقوس الرسامة ، بأنه صغير جداً على هذه المسئولية الخطيرة الجديدة من نوعها ، والمبتدئة في إمكانياتها . وكانت بالنسبة له ساعات الرسامة والقداس طويلة بسبب آلام الظهر ، بعد العملية التي لم يكن قد مر عليها أكثر من ٢٥ يوماً فقط .

وكم كانت فرحة قداسة البابا شنوده الثالث كبيرة وحماسه شديداً ، عندما سلم للأسقف الجديد عصا الرعاية قائلاً : بصوت عال "عصا أفريقيا" وسط تهليل وتصفيق الكثيرين .

الثمن ٣٥٠ قرشاً

* تم بنعمة الرب ومعونته إعادة طبع الكتاب الأول وصدرت ترجمته باللغة الإنجليزية
* وصدر أيضاً الجزء الثاني باللغة العربية .
* ويليه الجزء الثالث باللغة الإنجليزية .

يطلب من :

اسقفية شئون أفريقيا الأنبا رويس العباسية – ت: ٤٨٢٩٨١٠

مكتبة أسقفية الشباب . مكتبة المحبة .

فهرست الكتاب

صفحة

مقدمة لقداسة البابا ٦
مقدمة الطبعة الثانية ٨
الفصل الأول : نداء الرب ٩
الفصل الثانى : اذهب ١٩
الفصل الثالث : قيادة الرب ٣٥
الفصل الرابع : التجربة ٤٢
الفصل الخامس : الإمبراطورية الأثيوبية والكنيسة القبطية ٥٥
الفصل السادس : البابا شنوده الثالث وكنيسة أثيوبيا ٦٣
الفصل السابع : تغييرات جذرية فى أثيوبيا ٧١
الفصل الثامن : إلى التكريس الأمثل ٨١
الفصل التاسع : إلى الخدمة .. إذهب ٩٠
الفصل العاشر : لقاءات مع الأفريقيين ٩٧
الفصل الحادى عشر : تنقية الكرم ١٠٦
الفصل الثانى عشر : هل هناك .. موضع لقدم ؟ ١١٣
الفصل الثالث عشر : فى صبر شديد كثير .. فى الشدائد ١٢١
الفصل الرابع عشر : من هم ؟ وأين هم أفيادك كينيا ؟ وكيف يعبدون ؟ ١٣٠
الفصل الخامس عشر : الرب قريب ١٣٩
الفصل السادس عشر : شوكة فى الجسد ١٤٩
الفصل السابع عشر : تأسيس أسقفية عامة لشئون أفريقيا ١٥٥

« أنتم رسالتنا مكتوبة فى قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس مظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى. لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية ».

(٢ كو ٣:٢)

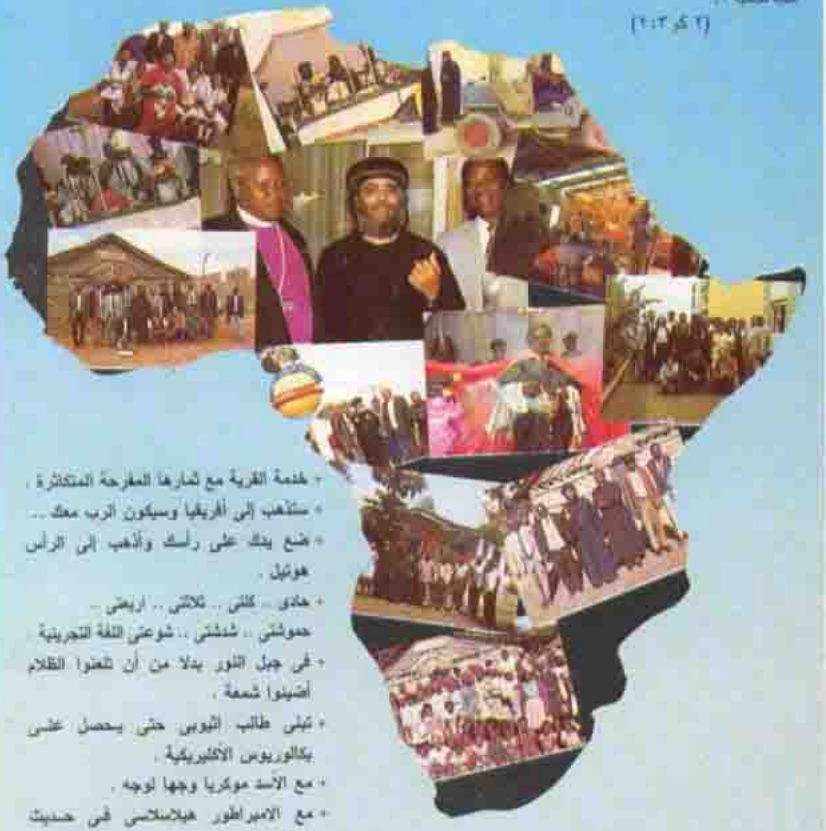

- خدمة القرية مع ثمارها المفرحة المتكاثرة .
- ستذهب إلى أفريقيا وسيكون الرب معك ..
- ضع يدك على رأسك واذهب إلى الراس هوتيل .
- حادى .. كلنى .. ثلاثتى .. اربعتى .. حموشتى .. شدشتى .. شوعتى اللغة التجريبية .
- فى جبل النور بدلا من أن تلعنوا الظلام أضيئوا شمعة .
- تبلى طالب الثوبى حتى يحصل على بكالوريوس الأكليريكية .
- مع الأسد موكريا وجها لوجه .
- مع الامبراطور هيلاسلاسى فى حديث بالأمهرية .
- لابد أن تتوقف خدمتك تماما إنها ثورة .
- اعبر إلى كينيا واعتا .
- مصر وأفريقيا .

الناشر : اسقفية شئون أفريقيا : ٢٢٢ ش رمسيس - الأنبا رويس - العباسية - القاهرة

Publisher : Bishopric of African Affairs